

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid  
Tiencen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد  
تلمسان الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

تخصص: آداب المغرب الإسلامي والحضارة المتوسطية

الحركة الشعرية وأبعادها الحضارية في عصر بني الأحمر

- مقارنة تاريخية وصفية -

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد مرتاض

إعداد الطالبة:

سمهان لحلو

رئيسا	أستاذ التعليم العالي - جامعة تلمسان	أ. د محمد زمري
مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي - جامعة تلمسان	أ. د محمد مرتاض
عضوا	أستاذ التعليم العالي - جامعة تلمسان	أ. د حسين فارسي
عضوا	أستاذ التعليم العالي - المركز الجامعي النعامة	أ. د أحمد موساوي
عضوا	أستاذ محاضر. أ. - جامعة عين تموشنت	د. رفيقة بلباد
عضوا	أستاذ محاضر. أ. - جامعة تلمسان	د. عمارة حياة

السنة الجامعية: 1442 - 1443 هـ / 2020 - 2021 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي

بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

سورة النمل: الآية 19.

قال أبو البقاء الرندي:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ      فَلَا يُغَرِّبُ طَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ  
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دَوْلُ      مَنْ سَرَّهُ زَمَنُ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

## شكر وتقدير



من باب الاعتراف بالفضل

أتقدم بأوفى عبارات الشكر

وأسمى شهادات العرفان

لمن وقف على هذا العمل ...

إشرافاً وتوجيهاً ...

أستاذي الدكتور محمد مرتاض

# إهداء



كي لا ينزعج الوفاء... لأبي وأمي

لإخوتي جميعاً... أحلام، إيمان، محمد...

لزوجي أحمد بركة وكل أفراد العائلة

لرفقاء الدرب أعضاء مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلمها في المغرب العربي

والكثيرين ممن عرفت.

## مختصرات وتوضيحات:

- د. ط: دون توضيح أو ذكر لرقم الطبعة.  
د. ت: دون تاريخ ( بالنسبة لطبعات الكتب).  
ص: صفحة.  
ط: طبع أو (.طبعة)  
ع: عدد.  
تح: تحقيق  
تر: ترجمة.  
و: تاريخ المولد.  
ت: تاريخ الوفاة.  
مج: المجلد.  
ج: الجزء.

# مقدمة

تعدُّ الحضارة الأندلسية واحدة من أهم حضارات المغرب الإسلامي، فقد دام حكم العرب المسلمين فيها ما يقارب ثمانية قرون من الزمن، تعاقبَ على حكمها عدد من الإمارات والدويلات. وتمثّل مملكة بني الأحمر آخر الممالك الأندلسية سقوطاً، فقد استطاعت أن تصمد أمام الإسبان مدة قرنين ونصف قرن من الزمن. كما عرفت هذه المملكة نهضة حضارية وفكرية في مختلف الميادين، ويعدُّ الأدب أحد أهم الآثار التي خلّفها هذا العصر، وبما أن تخصُّصنا يجمع بين الأدب والحضارة فقد أثرنا أن نقفَ على حضارة بني الأحمر من منظور موروثهم الشعري. لأن الأديب ابن بيئته فلا بدّ لنتاجه أن يكون جزءاً من حضارته.

موضوع هذا البحث وأساسه يدور حول الموروث الشعري النَّصري، والوقوف على الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي والفكري في تلك الفترة، والترجمة لعدد من أعلام الشعر وإبراز نتاجهم، مع ذكر المضامين الشعرية وتبيان أبعادها الحضارية. هذه الدراسة لها حد جغرافي وحد زمني، الحد الجغرافي محدّد بمملكة بني الأحمر، والحد زمني محدّد من بداية تأسيس هذه المملكة إلى سقوطها.

من أفاق هذه الدراسة نحاول وضع معجم للتعريف بأعلام الشعر الأندلسي ليس في هذه الفترة وحدها ولكن في جميع الفترات، وجمع نتاجهم في دواوين منفردة، وكذلك البحث عن الأعلام المغمورين.

ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع مصادفة بل كان إملاءً لرغبة شخصية تمثّلت في البحث في مجال الدِّراسات الأندلسية مُسبقاً، ولإعجابنا بجمال مملكة غرناطة وحضارتها، واهتدينا إلى عنوان بحثنا الموسوم: " الحركة الشعرية وأبعادها الحضارية في عصر بني الأحمر - مقارنة تاريخية وصفية - " وذلك بتوجيه من أستاذاي المشرف.

لقد سعينا في هذا البحث إلى الإجابة عن مجموعة من التّساؤلات، نذكر منها:

- ما طبيعة الموروث الشعري والإنجاز الحضاري الذي خلفته مملكة بني الأحمر؟
- هل نجحت الحركة الشعرية في رسم معالم الحضارة الأندلسية؟

- هل استطاع الشعراء أن يواكب النهضة الحضارية التي شهدها هذا العصر؟
  - ماهي أهم الموضوعات التي طرقتها الشعراء؟
  - وما هي الأبعاد الحضارية التي جسدها الشعر على عصر بني الأحمر؟
- وبطبيعة الحال فإنّ هذا البحث قد سبقته بحوث أخرى أفاد منها تصب في هذا الموضوع أهمها:

- الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب
- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة" لابن الخطيب.
- نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب للمقري.
- جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى لابن عاصم.
- مشاهدات لسان الدين بالخطيب لأحمد مختار العبادي
- دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع لعبد الله عنان.
- مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر لأحمد محمد الطوخي.
- أفاق غرناطة: بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي لعبد الحكيم الذنون.
- غرناطة في ظل بني الأحمر ليوسف شكري فرحات.
- واستعنا ببعض الدواوين الشعريّة كديوان ابن الخطيب، ابن زمرك، ابن فركون، ابن خاتمة، ابن الجياب.
- وقصد الإحاطة بالموضوع، استعنا بخطة تمثلت في مقدمة ومدخل وأربعة فصول مذيّلة بخاتمة وملاحق.

تطرقنا في المدخل إلى علاقة الأدب بالحضارة، وحاولنا من خلاله الوقوف على مفهوم اللفظتين، لغة واصطلاحاً، ثم التترق إلى تبيان العلاقة التي تجمع بينهما. وخصصنا الفصل الأول للتعريف بمملكة بني الأحمر، من خلال التحديد الجغرافي، وذكر مختلف الجوانب السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية. ثم انتقلنا إلى الحديث عن الجوانب الفكرية والثقافية، والمؤسسات العلمية مع إبراز إسهاماتهم في مختلف العلوم.

بينما تناولنا في الفصل الثاني أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار ونشاط هذه الحركة الشعرية، وعرضنا تراجم لأعلام الشعر، ثم انتقلنا للحديث عن الموشحات والأجزاء.

وتناولنا في الفصل الثالث أهم الأغراض الشعرية التي عرفت رواجاً في تلك الفترة. وتطرقنا في الفصل الرابع إلى الأبعاد الحضارية التي عكسها شعر هذه الحقبة، لتبيان مدى مواءمته لها. وختمنا البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التي توصلنا إليها. وأضفنا ثلاثة ملاحق لأهميتها في هذا الموضوع، الملحق الأول يتضمن بنود تسليم غرناطة، والملحق الثاني به مجموعة من الخرائط توضح جغرافية المملكة، والملحق الأخير خصصناه لبعض الصور التي تبين معالم هذه المملكة.

وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع الاعتماد على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، كون البحث يتضمن تفاصيل لحضارة سقطت من مئات السنين، فاستحضارها يستلزم المنهج التاريخي وذكر تفاصيلها يستلزم المنهج الوصفي.

وأما الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث فتتمثل في طبيعة الموضوع الواسعة والمتشعبة، فهي تجمع بين الشعر والحضارة بأبعادها ومظاهرها في مدة تزيد عن القرنين ونصف قرن من الزمن، وعدم توفر العديد من الدواوين الشعرية، فاعتمدنا في أغلب الأحيان على الأشعار التي وردت في المصادر، وعدم ضبط أغلب الأبيات الشعرية بالشكل، قد حاولنا جاهدين ضبطها بالشكل قدر المستطاع، كما واجهنا صعوبة في تحديد أعلام الشعر في هذا العصر لاختلاف تواريخ الميلاد ووفيات الشعراء، وبخاصة امتداد عمر بعضهم إلى دول سابقة أو لاحقة، بالإضافة وجود بعض شعراء من العائلة نفسها، وكذلك اختلاف أصولهم وهجراتهم ورحلاتهم المتكررة صوب المشرق والمغرب، مما فرض علينا تضييق نطاق البحث والاكتفاء بما كان إبداعه أندلسياً سواء من حيث القائل أو البيئته.

ومن باب الاعتراف بالفضل لذويه نود أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والاحترام إلى أستاذي الدكتور " محمد مرتاض " على متابعته هذا البحث، وتصويبه على

الرغم من انشغالاته المتعددة، ونشكر لجنة المناقشة الكريمة لتجشّمهم عناء قراءة هذه الرسالة ومناقشتها.

كما نخص بالشكر كل من قدم يد العون لي من قريب أو من بعيد، خاصة زملاء الدرب أعضاء "مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي من التأسيس إلى غاية القرن العشرين".

وعلى الله قصد السبيل، ومنه سبحانه وتعالى نستلهم التوفيق والسداد.

مغنية في: 3 محرم 1442هـ

22 أوت 2020

سمهان لولو

## مدخل: علاقة الأدب بالحضارة

أولاً: تعريف الأدب

ثانياً: تعريف الحضارة

ثالثاً: علاقة الأدب بالحضارة

سعى الإنسان منذ أن وُجد على سطح هذه المعمورة إلى البحث والاستكشاف، بدايةً من النَّار حتى وُصوله إلى سطح القمر، وفي رحلته الطويلة هذه استطاع أن يتأقلم مع المتغيّرات وأن يُطوّر مَهَارَاتِهِ. فكانت اللُّغة أهم الوسائل التي اعتمد عليها في عملية التَّواصل، حيث ابتكرَ طُرُقًا جديدة للتعبير عن أفكاره وأحاسيسه ومشاعره.

يُمثِّل الأدب أرقى أشكال التَّواصل اللغوي، التي اعتمد عليها الإنسان على مر العصور وتعاقب الحضارات. بيد أن الإشكال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: هل هناك علاقة تجمع بين الأدب والحضارة؟ وما هي طبيعة هذه العلاقة؟ وهل الأدب جزء من الحضارة؟ وهل للأدب دور في بناء الحضارات؟ وما هو الأدب الحضاري؟ للإجابة عن هذه التساؤلات وجب علينا البحث والتنقيب في مفهومي الأدب والحضارة.

### أولاً: تعريف الأدب

#### 1- لغة:

الأدبُ في اللغة من مادة (أدب)، سنورد في هذا الصدد بعض التعريفات من المعاجم العربية بإيجاز:

- قال ابن منظور: «الأدبُ الذي يتأدَّبُ به الأديبُ من النَّاسِ، سُمِّيَ أدباً لأنَّه يُأدَّبُ النَّاسَ إلى المَحَامِدِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمَقَابِحِ. وَأَصْلُ الْأَدَبِ الدُّعَاءُ. وَأَدَّبَهُ فَتَأَدَّبَ: عَلَّمَهُ. وَالْأَدَبُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ أَدَّبَ الْقَوْمَ يَأْدِبُهُمْ بِالْكَسْرِ، أَدْباً إِذَا دَعَاهُمْ إِلَى طَعَامِهِ. وَالْأَدَبُ: الدَّعِي إِلَى الطَّعَامِ»<sup>1</sup>.

- وذكر الجوهري في معجمه أن: «الأدبُ: أدبُ النَّفْسِ والدَّرْسِ، تقال منه: أدبُ الرَّجُلِ بالضم فهو أديبٌ، وأدبته فتأدَّبَ. وابن فلانٍ قد استأدَّبَ، في معنى تأدَّبَ. والأدبُ أيضاً: مَصْدَرُ أَدَّبَ الْقَوْمَ يَأْدِبُهُمْ بِالْكَسْرِ، إِذَا دَعَاهُمْ إِلَى طَعَامِهِ. واسم الطعامِ المَأْدَبَةُ والمَأْدَبَةُ»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - لسان العرب، بن منظور، دارصادر، لبنان، د ط، د ت، مج 1، مادة (أدب)، ص 206.

<sup>2</sup> - لصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، كانون الثاني 1410هـ/يناير 1990م، مج، ص 86.

-وقال الفراهيدي: «أدب: رجلٌ أديبٌ مُؤدَّبٌ يُؤدِّبُ غيرهُ ويتأدَّبُ بغيره. والأدبُ: صاحبُ المأدِّبة»<sup>1</sup>

## 2- اصطلاحاً:

لقد تعددت تعريفات الأدب وتنوعت بتعدد المفكرين والباحثين، لكن قبل ذكر هذه التعريفات سوف نتطرق لتاريخ هذه الكلمة.

فإذا رجعنا إلى العصر الجاهلي ألفينا لفظة "أدب" بمعنى الداعي إلى الطعام، جاء على لسان طرفة بن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر<sup>2</sup>.

ومعنى البيت أنهم في فصل الشتاء، يدعون عامة الناس إلى الطعام، وأن الأدب فيهم لا يختار بين الناس، فلا يفرق بين العامة وعلية القوم. وهذا نوع من الافتخار بالكرم الذي كان موجوداً في ذلك العصر.

في العصر الإسلامي نلاحظ أن كلمة "أدب" لم ترد في القرآن الكريم، على الرغم من ورود أكثر من آية في معناها وشدة اتصالها بأغراضه وموضوعاته، أما النصوص المنسوبة إلى الرسول وصحابته فكثيرة تعددت فيها معنى كلمة "أدب"<sup>3</sup>، وانصرف معناها إلى الدعوة إلى مكارم الأخلاق والمعاملة الحسنة للناس.

وفي عصر بني أمية أضيف إلى هذه الكلمة معنى جديد، وهو معنى تعليمي، فقد وجدت طائفة من المعلمين تسمى "المؤدبين"، كانوا يعلمون أولاد الخلفاء ويلقنونهم الشعر والخطب وأخبار العرب وأنسابهم.

1- كتاب العين مُرتباً على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1424 هـ/2003 م، ج 1، ص 60.

2- ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2 سنة 1423 هـ/2002 م، ص 43.

3 - ينظر: أدب صدر الإسلام، واضح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1414 هـ/1994 م، ص 12.

ثم توسَّع معناها ليشمَلَ كل العلوم «وأتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة الأدب أن تُصبح مقابلة لكلمة العلم الذي يُطلق حينئذ على الشريعة الإسلامية وما يتصل بها من دراسة الفقه والحديث النبوي وتفسير القرآن الكريم»<sup>1</sup>.

لخَّصَ لنا "واضح عبد الصمد" المراحل التي مرَّ بها المصطلح فقال: «إن العرب عرَّفُوا الأدب كما يلي:

- أ- بمعنى الخلق الكريم والدَّعوة إلى مَأدبة في العصر الجاهلي.
- ب- ثم استخدم بمعنى الثقافة والعلم في أول الإسلام.
- ج- واقتصر على ما يلقيه المؤدِّبون من شعرٍ ونثرٍ وما يرتبط بهما من أخبار وأنساب وشرح في العصر الأموي.
- د- وفي العصر العباسي شَمَلَ الثقافة العربية كلَّها بل والأجنبية أيضاً.
- هـ- ثم عاد إلى الضيق فوقف عند حدود العربية وحدها في عصر الانحطاط.
- و- وأخيراً استقر في حدود الشعر والنثر وفي المعنى الذي نعرفه للأدب في عصرنا الحاضر»<sup>2</sup>.

من هنا يتبيَّن لنا أن مفهوم كلمة "الأدب" كان يَضيقُ ويتَّسع باختلاف العصور، فنجدُه يتسع حيناً فيشمل كل ألوان المعرفة، ويضيق حيناً آخر فيقف عند الكلام الجيد من الشعر والنثر وما يتصل بهما.

كانت هذه نبذة عن تاريخ مصطلح "الأدب" والتحوُّلات التي مرَّ بها عبر العصور. ومن المحاولات التي قام بها الباحثون لتحديد مفهوم الأدب، ما قاله ابن خلدون: «هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها وإنما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم.

<sup>1</sup> - تاريخ الأدب العربي- العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دارالمعارف، القاهرة، مصر، ط 11، دت، ص 8.

<sup>2</sup> - أدب صدر الإسلام، واضح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص 17.

فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة»<sup>1</sup>. فهو بذلك أقرَّ على أن الأدب علم من علوم اللغة العربية ويشمل المنظوم والمنثور وما يتصل بهما، مع الإحاطة بأخبار العرب وأنسابهم وحفظ أشعارهم. لتهذيب اللسان وتطوير الملكة اللغوية.

وقال أحمد أمين: «خَيْرُ تَعْرِيفٍ لِلأَدَبِ أَنَّهُ التَّعْبِيرُ عَنِ الحَيَاةِ أَوْ بَعْضُهَا بِعِبَارَةٍ جَمِيلَةٍ»<sup>2</sup>. فقدم لنا هذا الناقد تعريفاً مُبَسَّطاً ومختصراً بحيث أنه جعل العمل الأدبي مرآة عاكسة للمجتمع. وحدد لنا العناصر المكوِّنة له في قوله: «إن الأدب يتكوَّن من عناصر أربعة: العاطفة، المعنى، الأسلوب، الخيال»<sup>3</sup>. فكل عمل أدبي يشتمل على هذه العناصر ولكن بنسب متفاوتة، فالشعر مثلاً يحتاجُ إلى مقدار من الخيال أكثر مما تحتاج إليه الحكمة مثلاً.

من التعريفات الحديثة للأدب قول ميشال عاصي: «الأدبُ هو أحد الفنون الجميلة الخمسة: كالرَّسْمِ والنَّحْتِ والرَّقْصِ والموسيقى مثلها جميعاً صناعةً فنيَّةً يعبرُ بها التعبير المؤثر الجميل عن طَوَايَا النَّفْسِ البشريَّةِ في كل ما تضرب به، من أشتات الرُّؤْيِ وَخَوَاطِرِ الوجدانِ، ولا يختلف عنها في شيء من حيث الغاية التَّأثيريَّةِ التي يسعى إليها كل فنٍّ جميلٍ.»<sup>4</sup> أن هذا التعريف جعل الأدب من الفنون الجميلة لما فيه من تأثيرات على النفس البشرية.

ويعرفه حسن خميس المليجي فيقول: «الأدبُ هو أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجملِ عواطف وأفكار الإنسان بأرقى الأساليب الكتابية، التي تتنوعُ من النَّثرِ إلى النَّثرِ المنظومِ إلى الشَّعرِ الموزونِ. يرتبط الأدب ارتباطاً وثيقاً باللغة، فالنتائج الحقيقيَّة للُّغة

<sup>1</sup> - مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه، وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه عبد الله محمد درويش، داريعرب، سوريا، ط1 سنة 2004م، ج 2، ص376.

<sup>2</sup> - النقد الأدبي، أحمد أمين، دارالكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، سنة 1387هـ / 1968م، ص18.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص38

<sup>4</sup> - الفن والأدب، ميشال عاصي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د ط، د ت، ص74.

والثقافة المدونة يكون محفوظاً ضمن أشكال الأدب وتجلياته التي تتنوع باختلاف المناطق والعصور»<sup>1</sup>.

أحصى لنا "شوقي ضيف" بعض المصنفات في ميدان الأدب<sup>2</sup>، والتي وجب على كل من أراد أن يعرف من علم الأدب أن يطلع عليها: كتاب "البيان والتبيين للجاحظ"، كتاب "الكامل في اللغة والأدب للمبرد"، وكتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة، وكتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه، وكتاب "زهر الآداب للحصري" وغيرها من الكتب.

### ثانياً: تعريف الحضارة

#### 1- لغة:

جاءت كلمة "حضارة" من فعلها الثلاثي (حَضَرَ)، سنورد في هذا الصدد بعض التعريفات من المعاجم العربية بإيجاز:

- يقول ابن منظور: «حضر: الحَضْرُ: نقيض المَغِيبِ والغَيْبِ، والحَضْرُ: خلافُ البدو والحاضر: خلاف البادي، والحِضارة: الإقامة في الحضر، والحَضْرُ والحَضْرَةُ والحَاضِرَةُ: هي المَدُنُ والقُرَى سُمِّيَتْ بذلك لَأَنَّ أَهْلَهَا حَضَرُوا الأَمْصَارَ وَمَسَاكِنَ الدِّيَارِ التي يكون لهُم بها قَرَارٌ، وَحُضِرَ المَرِيضُ وَاحْتُضِرَ إِذَا نَزَلَ بِهِ المَوْتُ»<sup>3</sup>.
- وذكر الزبيدي في معجمه أن: «حَضَرَ، كَنَصَرَ وَعَلِمَ، حُضْرًا وَحِضَارَةً، أُطْلِقَ فِي المَصْدَرِينِ وَقَضِيَّةِ اصطلاحه أن يكونا بالفتح... والحُضُور: ضِدُّ المَغِيبِ والغَيْبَةِ. والحَاضِرَةُ والحَضْرَةُ والحَضْرُ هي المَدُنُ والقُرَى والرِّيف»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - الأدب العربي لغير الناطقين بالعربية، حسن خميس المليجي، عمادة شؤون المكتبات، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت، ص 14.

<sup>2</sup> - ينظر: تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص 9.

<sup>3</sup> - لسان العرب، ابن منظور، مج 4، ص (196 - 197).

<sup>4</sup> - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق إبراهيم التريزي، راجعه عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1392 هـ - 1982 م، ج 11 مادة حضر.

- على حين أنّ الفراهيدي يرى أنّ: «الحضْرُ: خلافُ البدو، والحاضرةُ خلافُ البادية لأنَّ أهلَ الحاضرةِ حضروا الأمصارَ والديار... والحضر والحضار: من عدو الدابة، والمحاضرة: أن يُحاضرَكَ إنسانٌ بحقك فيذهب به مُغالبةً ومكابرةً»<sup>1</sup>.  
وَرَدت كلمة "حضر" في القرآن الكريم بمعنى: الشَّهادة والحضور

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُاتِنَا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>2</sup> صدق الله

- قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾<sup>3</sup> صدق الله

مما سبق يتبين لنا أن هذه الكلمة لها عدة معانٍ منها: الحضور الذي هو نقيض الغياب، والشهادة، والحضر خلاف البدو.

<sup>1</sup> - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج 1، مادة حضر.

<sup>2</sup> - سورة البقرة، الآية: 133.

<sup>3</sup> - سورة النساء، الآية: 07.

## 2- اصطلاحا:

لقد استعصى على الباحثين وضع مفهوم اصطلاحي للحضارة وهذا راجع إلى تعدد دلالاتها. سنذكر بعض هذه التعريفات بإيجاز:

قال ابن خلدون: «والحضارة إنما هي تَفَنُّنٌ في التَّرْفِ وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفُرش والأبنية ، فلكل واحد منها صنائع في استجداته، والتأنق فيه، تختصُّ به ويتلو بعضها بعضا، وتتكاثر باختلاف ما تنزعُ إليه النفوس من الشهوات والملاذِّ والنعم بأحوال الترف، وما تتلَوَّن به من العوائد» لقد ركز ابن خلدون في تعريفه هذا على الجانب المادي للحضارة، ولخصها في أنواع الترف، والبذخ في المسكن والملبس والمأكَل والمشرب وغيرها من مظاهر الرفاهية في العيش.

حاول "حسين مؤنس" وضع تعريف عام لها فقال: «الحضارة هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، سواء أكانت الثمرة مادية أو معنوية»<sup>2</sup>. وجعل من الأخلاق العنصر الحاسم في بناء الحضارة. فشبَّه الحضارة بالنبتة أو العمارة، التي تحتاج إلى مجهود، وإلى صبر وإرادة واعية هادفة... لكي تنمو وتزدهر. واعتبر الأخلاق وحدها هي التي توفر هذه الأشياء<sup>3</sup>.

بمعنى آخر أن الأخلاق هي التي تُنظِّم المجتمع الحضاري، وتُرشد النَّاس إلى أهدافهم، وبالأخلاق يتماسك المجتمع كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضا. أما إذا فسدت الأخلاق وتَفَشَّت الفوضى والتَّرف والبذخ... سقطت الحضارة.

<sup>1</sup> - مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، ج1، ص338.

<sup>2</sup> - الحضارة - دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، حسين مؤنس، عالم المعرفة، إصدار المجلس الثقافي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، سنة 1977م، ص13.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

نستشهد هنا بهذه الآية قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا

فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝ صدق الله<sup>1</sup>

أما "مالك بن نبي" فعَرَفَ الحضارة وفق المعادلة التالية:

الحضارة = الإنسان + التراب + الوقت.

وأضاف الدين كمركب أساس في مزج هذه العناصر الثلاثة<sup>2</sup>. فهو من هذا المنطلق جعل من الإنسان العنصر الفَعَّال والمؤثِّر في العناصر الأخرى، فالتراب يُمثل الجانب المادي للحضارة منه تستمد قوتها وازدهارها، أما الوقت فيمثل المجال الزمّني الذي تظهر فيه الحضارات أو تختفي وتسقط، وجعل من الدين المركب الأساس لتفاعل هذه العناصر فيما بينها.

من الذين وافقوا مالك بن نبي في هذا الرأي نجد "محمد حسناوي" الذي يرى: «أنَّ الحضارة تتألف من اتحاد عناصر ثلاثة هي (الإنسان، الزمن، التراب) اتِّحادًا متينًا موجبًا فعالاً. والذي يجمع بين الإنسان والزمن والتراب. جمعًا تركيبيا فعالا هو شيء خاص يسمى الثَّقافة»<sup>3</sup>. لقد جعل بذلك الثقافة هي المركب الأساسي لاتحاد العناصر الثلاثة المكونة للحضارة- أي أن الثقافة جزء من الحضارة- على خلاف "مالك بن نبي" الذي وضع الدين هو المركب الأساس لذلك.

أما في الدراسات الغربية نجد (ول وإيريل ديورانت William James Durant) قال : «الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة من إنتاجه الثقافي، وإنما تتألف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية،

1- سورة الإسراء، الآية: 16.

2- ينظر: شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة عمر كامل السقاوي وعبد الصبور شهين، دار الفكر، سوريا، د ط، سنة 1986، ص 45.

3- في الأدب والحضارة، محمد حسناوي، دار عمّار عمان، ط 1، 1405 هـ - 1975 م، ص 9.

ومتابعة العلوم والفنون، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطوع، وعوامل الإبداع، وبعدها لا تنفك الحوافز الطبيعية تستمضيه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها<sup>1</sup>. أن وصفه للحضارة بالنظام الاجتماعي دليل على أنها نتاج الجماعة، وجعل الأمن والاستقرار شرطاً للتقدم الحضاري.

ولقد ذكرنا عدة عوامل تؤثر على الحضارة وتغوق مسارها:

- أولها العوامل الجيولوجية وذكر منها " شيطان الزلزال" كما سمّاه. فهزة أرضية خفيفة كافية لتحطيم المدن والمنشآت.
- ثانيها العوامل الجغرافية كالحرارة المرتفعة المؤدية إلى الجفاف، والمؤثرة على الزراعة، وبالمقابل تحدث عن الأمطار المؤدية إلى الفيضانات.
- ثالثها العوامل الاقتصادية أشار فيها إلى الزراعة والصناعة واعتبرها أهم هذه العوامل لما لها من دور في تيسير سبل الازدهار.
- رابعها النظم السياسية لما لها من أثر على الاستقرار النفسي للجماعات.
- وأضاف إلى ذلك الثقافة، والعقائد الدينية، والأخلاق، والتربية كوسيلة لنقل هذه المكتسبات وتوريثها من جيل إلى جيل حتى تصل إلى قِمة التقدم الحضاري<sup>2</sup>.
- كما أشار (أرلوندتومبي Arnold Toynbee) إلى مسألة ارتقاء الحضارات، وقال إن الارتقاء لا يتم بالغزو للخارج ولا بالتقدم التكنولوجي، إنما يتم وفق عملية يدعوها بالتسامي وهي عملية روحانية أكثر منها مادية، تستهدف إطلاق طاقات المجتمع من عقلها،

<sup>1</sup> - قصة الحضارة، ول وايريل ديورانت، تقديم معي الدين جبار. ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، د ت، مج 1، ص 3.

<sup>2</sup> - ينظر: المرجع نفسه ص (4- 8).

وهذا الأمر لا يكون إلا على يد ما يدعوه بالقلة (أو الصفوة) المبدعة، فهو يعتبر أفرادها عباقرة بالمعنى الحرفي لا المجازي<sup>1</sup>.

### 3- الفرق بين الحضارة والمدنيّة والثقافة:

- اختلف الباحثون في تحديدهم لمصطلح الحضارة، وهذا الإشكال نتج عن عملية الترجمة، ما أدى إلى اضطراب ولُبس وتداخل في استخدام المصطلحات التالية: الثقافة، الحضارة، المدنيّة. وذلك لتداخل المعنى الأجنبي مع المعنى العربي الذي يحدد مفهوما لكل مصطلح من المصطلحات الثلاثة، أما اللغة الأجنبية فلم تعرف سوى كلمتي "civilisation" و "culture".

أشار ناصر محمد عارف إلى هذا التشابك والتعقيد في دلالة مصطلح الحضارة حين قال: « لقد تأرجحت دلالة المفهوم طبقاً للمصدر المعرفي الذي استقى الباحث منه، وتوزّعت الدلالات، وطُمس أغلبها، وحدث نوع من التّشويه أدى إلى إخراج المفهوم عن دلالاته الأصلية وتلبسه بدلالات أخرى، لا يَسْتوعبها جذره اللغوي، بحيث لا نكاد نجد له معنى محدّداً أو تعريفاً واحداً لدى أي من الذين تناولوه، بل إن استخدامهم له لم يجد اتفاقاً في اللفظ الأجنبي الذي استقوه منه فأحياناً يُستقى من "culture" وأخرى من "civilisation" والثالثة على أنه يشملهما معاً.»<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - مختصر دراسة للتاريخ، أرنولد توينبي، تر: فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غرب، تقديم عبادة كحيل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، د ط، 2011م، ج 1، ص 13.

<sup>2</sup> - الحضارة- الثقافة- المدنية " دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم "، نصر محمد عارف، سلسلة المفاهيم والمصطلحات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 2، 1415 هـ / 1994م، ص 18.

## -المدنيّة:

لقد ذكر "ناصر محمد عارف" أن كلمة "civilisation" يعود أصلها إلى الجذر اللاتيني "civites" بمعنى مدينة، و"civilis" بمعنى ساكن المدينة، ولم يشتق منها "civilisation" حتى القرن الثامن عشر.<sup>1</sup>

وهذا ما جعلها تلتقي مع لفظة "المدنيّة" التي اختلف الباحثون في تحديد جذرها اللغوي فأرجعها البعض إلى (مَدَنَ) بمعنى أقام في المكان، وأرجعها آخرون إلى (دَانَ) وهي جذر مفهوم الدين وتعني خضع واطّلع.

ورد في معجم لسان العرب: «مدن: مَدَنَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ، وَمِنْهُ الْمَدِينَةُ، وَهِيَ فَعِيلَةٌ، وَتُجْمَعُ عَلَى مَدَائِنٍ وَمُدُنٍ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ، وَفِيهِ قَوْلٌ آخَرٌ: أَنَّهُ مَفْعَلَةٌ مِنْ دِنْتُ، مُلَكَّتُ.»<sup>2</sup>.

ظهرت كلمة "المدنيّة" في أوائل القرن التاسع عشر، ومن الذين استخدموا هذه المصطلح نجد "محمد قدوري" الذي نشر رسالة في التمدن جاء فيها: «التمدن هو اجتماع الناس في المدن والأمصار للأنس والتعاون، فهو أخص من العمران الذي هو مطلق الاجتماع الإنساني سواء في البوادي والقفار أو في المدن والأمصار»<sup>3</sup> وذلك على اعتبار أن الإنسان إذا صار مدنيًا فإنه سيكون على طباع أهلها، من لطافة، ورفقة طبع. كما تشمل "المدنيّة" كل الظواهر المادية في حياة المجتمع. وهذا يعني أنها تمثّل الجزء المادي من أي حضارة فهي تابعة لها وناجئة عنها.

<sup>1</sup> - ينظر: المرجع السابق، ص (35-37).

<sup>2</sup> - لسان العرب، ابن منظور، مج6، مادة (مدن).

<sup>3</sup> - الحضارة-الثقافة-المدنية " دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم"، نصر محمد عارف ص45. عن رسالة جليلة في التمدن، محمد قدوري، القاهرة.

## - الثقافة:

لقد استعمل العرب كلمة الثقافة من فعلها الثلاثي "ثَقَّفَ"، قال ابن منظور: «ثَقَّفَ السَّيِّءُ ثَقْفًا وَثُقُوفَةً: حَدَقَهُ، وَرَجُلٌ ثَقْفٌ، وَثَقِفٌ وَثُقُوفٌ: حَادِقٌ فِيهِمْ، وَثَقَّفَ الرَّجُلُ ثِقَافَةً أَيْ صَارَ حَادِقًا خَفِيفًا.»<sup>1</sup> الثقافة هنا جاءت بمعنى إتقان الفرد لعمله، مما يجعله حاذقًا وفطنًا وواعيًا مسخرًا فطرته فيما ينفعه.

- وعرفها الفيروز أبادي في قوله: «ثَقَّفَ كَكَرَّمَ وَفَرَحَ ثَقْفًا وَثِقَافَةً، صَارَ حَادِقًا خَفِيفًا فَطِنًا... وَثَقَّفَهُ كَسَمِعَهُ صَادِفَهُ أَوْ أَخَذَهُ أَوْ ظَفِرَ بِهِ أَوْ أَدْرَكَهُ، وَأُثْقِفْتُهُ أَيْ قُبِضَ لِي، وَثَقَّفَهُ تَثْقِيفًا سَوَاءً»<sup>2</sup> أشار صاحب المعجم أن كلمة ثقف جاءت بمعنى حدق وفطن، فالفطنة من ممتلكات الإنسان التي تعينه على التمييز بين الأمور الحسنة والسيئة. وفي ضوء ما أسلفنا الذكر يتبين لنا أن "ثَقَّفَ" لها عدة معاني أغلبها سرعة الفهم، والحدق والفطنة.

- كما ورد ذكر هذا المصطلح في القرآن الكريم بمعنى الإدراك والأخذ والظفر قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ ۖ﴾ صدقة الله<sup>3</sup>.

لمَّا نبحت عن دلالتها في اللغات الأجنبية نجدها تقابل كلمة "culture" في اللغة الفرنسية. تعود إلى أصلها للاتيني الذي يعني حرث الأرض وزرعها.

يعد "سلامة موسى" من الأوائل الذين استعملوا كلمة "ثقافة" مقابل اللفظ الأجنبي "culture"، وعرفها على أنها هي المعارف والعلوم والآداب والفنون التي يتعلمها

<sup>1</sup> - لسان العرب، بن منظور، مج 1، ص 492.

<sup>2</sup> - القاموس المحيط، الفيروز أبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1979 م، ج 3، ص 117.

3 - سورة البقرة، الآية: 191.

النَّاسِ وَيَتَّقُونَ بِهَا وَقَدْ تَحْتَوِيهَا الْكُتُبُ وَمَعَ ذَلِكَ هِيَ خَاصَّةٌ بِالذَّهْنِ. أما الحضارة "civilisation" فهي: مادة محسوسة في آلة تُخترع وبناء يُقام ونظام حكم يُمارس، ودين له شعائر ومناسك وعادات ومؤسسات، فالحضارة مادية والثقافة ذهنية.<sup>1</sup> فهو هنا قد فرق بين الثقافة والحضارة وجعل الحضارة تهتم بالجانب المادي فقط أما الثقافة فهي تختص بالجانب الذهني.

من الغربيين الذين عرّفوا مصطلح "الثقافة" نجد (إدوارد تيلور Edward Taylor) الذي وضع تعريفا شاملا لها لما قال: «هي ذلك الكل المركّب الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع».<sup>2</sup>

في العصر الحديث نجد "عبد العزيز التويجري" تحدث عنها قائلا: «الثقافة هي روح الأمة وعنوان هويتها، وهي من الركائز الأساسية في بناء الأمم وفي نهوضها، فلكل أمة ثقافة تستمد منها عناصرها ومقوماتها وخصائصها»<sup>3</sup> فمن هذا المنطلق يتبين لنا أن لكل مجتمع ثقافته الخاصة به فنجد: الثقافة الهندية، الثقافة الأندلسية، الثقافة الجزائرية وغيرها. وقال أيضا: «الثقافة هي الكلُّ المركَّب الذي يتضمن المعارف، والعقائد، والفنون، والأخلاق، والقوانين، والعادات»<sup>4</sup>. لقد ذكر لنا بعض العناصر التي تشكل الثقافة من معارف وعلوم وفنون وأخلاق وعادات وتقاليد كلها تساهم في تشكيل وتكوين الثقافة.

<sup>1</sup> - ينظر: الحضارة-الثقافة-المدنية "دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم"، نصر محمد عارف، ص29.

نقلا عن الثقافة والحضارة، سلامة موسى، مجلة الهلال، القاهرة مصر، د ط، ديسمبر 1969، ص181.

<sup>2</sup> - مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة،

لبنان، ط1، 2007م، ص31. عن

TYLOR.E.B.Primitiveculture.newyork.bretanos(1924)

<sup>3</sup> - الثقافة العربية والثقافات الأخرى، عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية

والعلوم والثقافة، ط 2، سنة 1436هـ/ 2015م، ص 11.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ص12.

مما سبق يتبين اضطراب العلاقة بين الحضارة والثقافة والمدنية فبعض الباحثين جعلوا الثقافة جزءاً من الحضارة، ويرى بعض الآخر أنه لا علاقة تجمع بينهما، وحصروا الحضارة في الجانب المادي والثقافة في النتاج المعرفي، وهناك طرف ثالث اعتبرهما مصطلحين مُسَمَّيَ واحد ولا فرق بينهما، وفي المقابل يقرب بعض الدارسين أن المدنية تشمل الجانب المادي فقط، أما الحضارة فتشمل الجانب المعرفي.

لكن الرأي الذي نميل إليه هو أن الحضارة شاملة للثقافة والمدنية لجمعها بين الجانبين المادي والمعنوي.

عمد الإسلام إلى إقامة مفهوم كامل للحضارة قوامه الحركة المادية والمعنوية في نفس الوقت وحياطة التقدم المادي بالأخلاق والتقوى وتوجيهه إلى صالح الإنسانية وحماية المجتمعات من الفساد والانحراف<sup>1</sup>.

لقد قامت الحضارة الإسلامية على أساس مفهوم الإسلام ومدتها القرآن والسنة النبوية بالروح وضوابط العمل وأعطياها القوة والتماسك. كما اتسمت الحضارة الإسلامية بالسماحة والإنسانية والعالمية.

### ثالثاً: علاقة الأدب بالحضارة

من خلال ما سبق من التعريفات يتبين لنا أن العلاقة التي تجمع بين الأدب والحضارة هي علاقة الجزء بالكل. لأن الأدب من إبداع الإنسان، والإنسان هو العنصر الأساسي في تكوين الحضارة. وهذا أمر منطقي لأن الأديب هو بن بيئته فلا بد لنتاجه سواء كان شعراً أو نثراً أن يكون جزءاً من حضارته.

<sup>1</sup> - الحضارة في مفهوم الإسلام، أنور الجندي، دار الأنصار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، د ط، د ت، ص 8.

أكد على ذلك " عز الدين إسماعيل " ذلك حين قال: «الأدب ليس سوى مسرّباً من المسارب الكثيرة التي يصبُّ فيها عصر من العصور نشاطه في حركاته السياسية، وفي فكره الديني، وفي نظره الفلسفي، وفي فنه، نجد نفس النشاط وقد اتخذ صوراً أخرى من التعبير»<sup>1</sup>.

تجدد بنا الإشارة هنا إلى ما يسمى بـ "الأدب الحضاري" سوف نحاول لأن نقدم تعريفاً له وبعض خصائصه المميّزة.

تحدث عنه محمد حسناوي قائلاً: «إن زيت الحضارات ومشكاتها عبر الأجيال والعصور هو الأدب الحضاري»<sup>2</sup> فهو هنا قد وصفه بأنه المصباح الذي ينير الحضارات. وقدّم له تعريفاً شاملاً: «هو ذلك الأدب الذي مهّد لظهور الحضارات الإنسانية أو رافقها منذ نشأتها، وساعد على اكتمالها وازدهارها. والمتأمل الواعي للذرى الحضارية التي شهّدتها الإنسانية، وما انطوت عليه من مدلولات. يتعرّف على الدور الفعال الحاسم الذي لعبه الأدب الحضاري أولاً ويقف على الخصائص الأساسية العامة لذلك الأدب ثانياً»<sup>3</sup>.

وذكر العديد من الصّفات التي تعبر عن مكانته وأهميته «الأدب الحضاري: أدب جميل، أدب هادف، أدب جاد، أدب صادق، أدب معقول، أدب خالد»<sup>4</sup>.

أما عن خصائصه فيمكننا حصرها في عدة خصائص ولعل أهمها: (الجد -الهدف -الصدق في العاطفة والموقف -الفن-التنوع-الرصيد الفكري-التدوين).

- فالجدُّ: نقصد به أن ينصرف الأدب للموضوعات الهامة، كالموضوعات التي تقرر مصير الجماعات في العيش بالكرامة والحرية.

-الهدف: على الأديب أن يحدد هدفه أو الغاية من عمله.

<sup>1</sup> - الأدب وفنونه دراسة ونقد، دكتور عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، د ط، سنة 1434هـ/2013م، ص 29.

<sup>2</sup> - في الأدب والحضارة، محمد الحسناوي، ص 39.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 38.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ص 40.

-الصدق في العاطفة والموقف: إن قيمة الأفكار ترتبط بأصحابها، فيظهر صدقها بصدق عواطفهم ومواقفهم.

-الفن: يعتبر الفن وسيلة من وسائل الأدب الحضاري لأن اكتمال الجانب الفني في الأدب الحضاري كمال لهذا الأدب نفسه، فإذا أضفنا الخاصية الفنية البيانية (كالخطابة والقصة والشعر والمقال...) تنوع الأساليب والقوالب والموضوعات.

-الرصيد الفكري: لا يشترط في الرصيد الفكري أن يكون على قد واحد من الكثافة في جميع الأعمال الأدبية لكن لا بد له أن يكون صحيحا علميا بناءً.

- التدوين: هو عنصر أساس في الأدب الحضاري يتفرع منه النشر والتوزيع وحسن العرض<sup>1</sup>. كانت هذه أهم خصائص الميزة للأدب الحضاري.

مما سلف ذكره يتبين أن العلاقة التي تجمع بين الأدب والحضارة هي علاقة الجزء بالكل، وكذلك "علاقة التأثير والتأثر"، فالأدب يتأثر بالحضارة ويصوّر مدى تقدّمها وازدهارها، من خلال العمل الأدبي سواء كان منظومًا أو منثورًا، وفي المقابل نجد أن الأدب يؤثر في الحضارة ويساهم في تطويرها لأنه جزء منها.

<sup>1</sup> - ينظر: في الأدب والحضارة، محمد الحسنوي، بتصرف ص (40-44).

# الفصل الأول: التعريف بمملكة بني الأحمر

أولاً: التحديد الجغرافي

ثانياً: الجوانب السياسية والإدارية

1- الجوانب السياسية

2 - الجوانب الإدارية

ثالثاً- الجوانب الاجتماعية والاقتصادية

1- الجوانب الاجتماعية

2- الجوانب الاقتصادية

رابعاً: العمران

خامساً: الجوانب الفكرية والثقافية

1- المؤسسات العلمية

2- أصناف العلوم وأشهر العلماء

تطرقنا فيما سبق إلى تعريف الحضارة وتبيان العلاقة التي تجمع بينها وبين الأدب، وخلصنا لعلاقة التأثير والتأثر بينهما، وقبل التطرق للحركة الشعرية لابد لنا من أن نتعرف على البيئة التي ترعرع وازدهر فيها هذا الفن. وسنحاول في هذا الفصل أن نتعرف على المعالم الحضارية في هذا العصر. مُبتدئين بوصف المملكة بتحديد موقعها وجغرافيتها، لننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن الحياة السياسية والإدارية، ثم نتعرف على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمران لنختم هذا الفصل بالتطرق للحياة الفكرية والثقافية.

لكن قبل الغوص في غمار البحث لا بد من تحديد التسمية التي عُرفت بها هذه البقعة الأندلسية، فالمُتصفح لكتب التاريخ الأندلسي يلاحظ اختلافاً في التسمية، منهم من يطلق عليها اسم الدولة ومنهم من يُسميها بالمملكة. وهذه التسميات هي كالتالي:

- مملكة غرناطة: وهي أشهر تسمية عُرفت بها هذه البقعة الأندلسية. وتُنطق غرناطة بفتح الغين المعجمة، وسكون الراء المهملة، وفتح النون وألف وطاء مهملة وهاء. ويُقال أغرناطة بهمزة في أولها<sup>1</sup>. والصواب هو "أغرناطة" ومعناها "الرمانة" بلسان عجم الأندلس<sup>2</sup>.

اختلف المؤرخون في تحديد أصل هذه التسمية، منهم من قال إنها مُشتقة من الكلمة الرومانية "Granata" أي الرمانة، أو أنها سُميت كذلك لكثرة حدائق الرمان بها، أو لأنها كانت تقع على تلتين فتشبه بهذا الرمانة المشقوقة<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: صبح الأعشى في صناعة الانشى، أحمد ابن علي القلقشندي، المؤسسة المصرية لتأليف والترجمة والطباعة. د ط. د ت، ج 5، ص 214.

<sup>2</sup> - الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة بيروت، لبنان، ط 2، سنة 1984م، ص 45.

<sup>3</sup> - مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، تقديم أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، د ط، سنة 1998م، ص 48.

وذكرَ المُستشرق الإسباني (سيمونيت Simonent) تحليلاً آخرَ لما قال أنه «يرجع إلى أصل قُوطي وأنه مؤلف من كلمتين "ناطة" وهو اسم لربضٍ قديمٍ كان يقع على مَقْرِبَةٍ من (ألبيرة Ivira)، و "غار" هو المَقْطَعُ الذي أضافه المسلمون إليها وبمعنى كهف أو وادي عميق، فصارت غرناطة. أو رُبما كانت كلمة غرناطة تتكوّن من مقطعين (قرن Kurn) بمعنى تل و(ناطة nattah) بمعنى الغريب، فيُصبح اسم المدينة "تل الغرباء"<sup>1</sup>. ولكن أغلب الظن أنها سُميت كذلك لكثرة الرُمان الذي يُزيّن أرضها.

-مملكة بني نصر أو المملكة النّصريّة: هذه التّسمية أُخذت من اسم مؤسسها "محمد بن يوسف بن نصر" وسُلالتة التي تربعت على العرش بعده.

- مملكة بني الأحمر: سُميت بهذا الاسم نسبة إلى لقب مؤسسها "ابن الأحمر" وذريته التي تناوبت على الحكم من بعده. وقيل أيضاً أن تسميتهم ببني الأحمر ترجع إلى شُقرة فيهم.

أول من تلقّب بالأحمر جدُّهم الأكبر "عقيد بن نصر" وذلك لشُقرة فيه. واستمرَّ ظهور هذا اللون في بعض أفراد هذه الأسرة، مثل محمد السادس الذي تُطلق عليه المصادر الإسبانية لقب "البرميخو" ومعناه اللون البُرْتقالي الضّارب إلى الحُمْرة وهو لون شعره ولحيته، ويرى البعض أنها أسبغت عليه لإنشائه حصن الحمراء<sup>2</sup>.

-غرناطة اليهود: سُميت بذلك لأن طارق بن زياد لما فتحها وجد بها يهوداً فضمَّهم إلى قصبته فأصبحت تُعرف بهذا الاسم، وهذا ما أكده الحميري في قوله: «تُعرف بأغرناطة اليهود، لأن نازلتها كانوا يهوداً»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر 403-483هـ/1012-1090، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط، سنة 1414هـ /1994م، ص 30، عن Simonent- Descripcion del rein de Grnada p40

<sup>2</sup> - تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار عبادي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان. د ط، سنة 1978م، ص 227.

<sup>3</sup> - الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، تحقيق احسان عباس، مكتبة بيروت، لبنان، ط 2، سنة 1984م، ص 45.

-دمشق الأندلس: قيل إنها سُميت بذلك لشيءٍ بها بدمشق في غزارة الأنهار، وكثرة الأشجار<sup>1</sup>.  
إذن كانت هذه لمحة عن التسميات التي عرفت بها هذه البقعة الأندلسية، سوف  
نستخدم تسمية مملكة بني الأحمر، مملكة بني نصر، مملكة غرناطة في ثنايا هذا البحث،  
لأنها أكثر تداولاً في الدراسات الأندلسية.

### أولاً: التَّحْدِيدُ الجغرافي

لم تكون حُدودُ هذه المملَكة ثابتةً ومُستقرَّةً، بل أنَّها كانت تَضيقُ وتَتَّسعُ من حينٍ  
إلى آخر، حسبَ ميزانِ القوةِ، والظُّروفِ السِّياسيةِ، والحروبِ مع جيرانها في تلك الفترة.  
ولكن يُمكنُ لنا أن نرسم لها الحُدودِ الآتية<sup>2</sup>: فنقول أنَّها كانت تقعُ في الطَّرَفِ الجَنوبي  
الشَّرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية «تَنحدرُ جنوباً وراء نهر الوادي الكبير حتى ساحلِ البحرِ  
الأبيض المتوسط وجبل طارق، بينما كانت حدودها الشَّرقية تشمل ولاية مُرسية، كما  
وصلت الحدودُ الشَّرقية إلى ولاياتِ أشبيلية وقرطبة وجيان، والغربية إلى أرضِ الفرنتيرية  
وولاية قادس»<sup>3</sup>.

في حين نجد أن القلقشندي حدَّدَ مَوقِعَها بطريقةٍ أخرى: «مَوقِعُها في الإقليمِ الرَّابِعِ  
من الأقاليم السبعة، الطولُ إحدى عشرة درجة وأربعون دقيقة، والعرضُ سبعُ وثلاثون  
درجة وثلاثون دقيقة»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المقري شهاب الدين أحمد بن محمد، حققه إحسان عباس، دار  
صادر للطباعة والنشر، بيروت، د.ط. سنة 1407 هـ/1977 م، ج1، ص148.

<sup>2</sup> - راجع ملحق الخرائط.

<sup>3</sup> - كناسة الدُكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن  
الثامن هجري، ابن الخطيب، تحقيق د. محمد كمال شبانة، مراجعة د. حسن محمود، دارالكتاب العربي  
للطباعة والنشر، مصر، د.ط، د.ت، ص18.

<sup>4</sup> - صبح الأعشى في صناعة الانشى، أحمد ابن علي القلقشندي، ج 5، ص214.

وكانت تضم ثلاث مدن كبرى هي:

**-غرناطة: في الوسط ممتدة نحو البحر وأهم مدنها:**

- غرناطة العاصمة،

- (وادي أش Guadix)<sup>1</sup>،

- (بَسطة Baza)<sup>2</sup>

- (الحامة Alhama)<sup>3</sup>

- (المنكب AlMunecar)<sup>4</sup>.

**-ألمرية: وأهم مدنها:**

- (ألمرية Almeria)<sup>5</sup>،

- (بيرة vera)<sup>6</sup>،

---

<sup>1</sup> - مدينة وادي أش: وهي مدينة تقع شمال شرق غرناطة، اسمها القديم Acci، وهي مدينة زراعية تكثرت بها المياه. ينظر: مشاهدات لسان الدين في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، سنة 1983م. ص 28.

<sup>2</sup> - مدينة بسطة: تقع شمال شرق غرناطة، مشهورة بمنتجاتها الزراعية وبمنسوجاتها الحريرية، وصفها ابن الخطيب ببحر الطعام. ينظر: المصدر نفسه، ص 31.

<sup>3</sup> - مدينة الحامة: اشتهرت بينابيعها الحارة ومياهها المعدنية. ينظر: نفح الطيب، المقري، ج 1، ص 166.

<sup>4</sup> - مدينة المنكب: وهي مدينة تقع على تلة صخرية قريبة من الشاطئ اتخذها بنو الأحمر كحصن يؤمن سلامة الطريق الساحلية. ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 368.

<sup>5</sup> - مدينة ألمرية: وهي مدينة ساحلية، اشتهرت بصناعة الحرير والرصاص والحديد والنحاس والزجاج والرخام، ينظر: المصدر نفسه، ج 1، ص 123.

<sup>6</sup> - مدينة بيرة: تقع في أقصى الحدود الشرقية للملكة، تعرف بوعورة تضاريسها وقلّة سكانها لصعوبة موقعها. ينظر: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، أحمد مختار العبادي، ص 41.

- (برجة Berja) <sup>1</sup>

- (دلالية dalias) <sup>2</sup>

- (أندرش Andarax) <sup>3</sup>.

- مالقة: إلى الشرق من غرناطة أهم مدنها:

- (مالقة Malg) <sup>4</sup>,

- (قمارش Camares) <sup>5</sup>

- (أرشدونة Archidona) <sup>6</sup>

- (رندة Randa) <sup>7</sup>

- (الجزيرة الخضراء Algeciras) <sup>8</sup>

- (طريف Tarife) <sup>9</sup>.

---

<sup>1</sup>-مدينة برجة: تقع غرب المرية، تتمتع بطبيعة فاتنة ومزارع فسيحة. ينظر: نفح الطيب، المقري، ج1، ص.143

<sup>2</sup>- مدينة دلالية: تقع في الوسط بين مدينتي وادي آش والمرية، اشتهرت بالحير والمعادن. ينظر: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، أحمد مختار العبادي، ص81.

<sup>3</sup>- مدينة أندرش: تقع غرب المرية على نهر صغير ينبع من جبل شلير. ينظر: المصدر نفسه، ص88.

<sup>4</sup> مدينة مالقة: وهي مدينة ساحلية اشتهرت بإنتاج التين الذي ضرب المثل لحسنه ووصل إلى الصين والهند، كما عرفت بصناعة الفخار المذهب. ينظر: نفح الطيب للمقري، ج1، ص 151.

<sup>5</sup>-مدينة قمارش: تقع على مقربة من مدينة غرناطة، تعرف بخصوبة تربتها، اشتهرت بزراعة الكروم والزيتون والحبوب. ينظر: مشاهدات لسان الدين بالخطيب، ص79.

<sup>6</sup>-مدينة أرشدونة: تقع شمال مالقة في واد عميق، تحيط بها الجبال من كل جهة. ينظر: الروض المعطار، الحميري، ص12.

<sup>7</sup>-مدينة رندة: هي مدينة خصبة كثيرة الخيرات، تعرف بآثارها التاريخية الكثيرة، بها عين تعرف بعين البراوة. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج3، ص73.

<sup>8</sup>- الجزيرة الخضراء: تقع غرب مدينة مالقة على ساحل البحر المتوسط، اتخذها المغاربة معبرا وحصنا لهم، بها دارصناعة الأساطيل، اشتهرت بطبيعتها الساحرة من أنهارها نهر العسل. ينظر: الروض المعطار، الحميري، ص73.

<sup>9</sup>-مدينة طريف: هي مدينة صغيرة أعطاها القائد البربري طريف اسمه، بعد اجتيازه بحر الزقاق ونزوله الأندلس بأمر من طارق بن زياد وموسى بن نصير. ينظر: نفح الطيب للمقري، ج1، ص229.

- كانت التجمعات السكّنيّة في هذه المملكة تشتمل على عددٍ كبيرٍ من الأرابيض والأحياء والأزقة. بها أربعة أرابيض رئيسة وهي: "ربض البيازين"<sup>1</sup>، ربض باب الرملة، ربض نجد، ربض الفخارين"<sup>2</sup>.

هذه الأرابيض تتفرع عنها مجموعة من الأحياء صنّفها "سلي الجيوسي" إلى نوعين: حي كبير "حارة" وآخر صغير "درب"، يتجمع فيها السكان حسب عقيدتهم الدنية: كحي اليهود وحي المستعربين. أو بحسب أصولهم: كأحياء غمارة وزناتة. وبعض هذه الأحياء حمل أسماء الحرف التي تُمارس فيها: كحي الفخارين وحي البيّازين وغيرها من الأحياء<sup>3</sup>. إن الزائر لهذه المملكة يلاحظ مدى جمال الطبيعة، فقد جمعت بين مزيج مدهش من المروج والوديان الخصبة، والجبال الوعرة، والهضاب التي استمدت منها أسباب القوة والازدهار.

تزرخ هذه المملكة بعدة أنهار كانت تفيض على بساطها وتزودها بالمياه، منها:  
- نهر (شنيل Genil أو Xenil): ويُعرف أيضا اسم نهر سنجيل، ولع الشعراء بوصفه، وفضّلوه على نهر النيل، يقول ابن الخطيب: «مَا لِمَصْرَ تَفْخَرُ بِنِيلِهَا، وَأَلْفٌ مِنْهُ فِي شَنِيلِهَا»<sup>4</sup>. كان لأهل غرناطة شغفٌ كبيرٌ بالجلوس على ضفاف هذا النهر، يقضون به الأمسيات خاصّة في فصل الربيع والصيف<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - يرى بعض الباحثين أن كلمة البيّازين جاءت بسبب اشتغال سكان تلك المنطقة بتربية البزاة- وهو نوع من الصقور- التي كانت تستخدم في الصيد. ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس عصر بني الأحمر، أحمد الطوخي، ص 60.

<sup>2</sup> - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، بن فضل الله العامري، تحقيق كمال سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1 سنة 2010. مج 8، ص 100.

<sup>3</sup> - الحضارة العربية في الأندلس، سلى الجيوسي. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان، تشرين الثاني. نوفمبر سنة 1999. ج 1. ص 157.

<sup>4</sup> - الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، شرحه وضبطه وقدّم له يوسف على الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2014، مج 1، ص 124.

<sup>5</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس - عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، تقديم أحمد مختار عبادي، مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية مصر، د ط، سنة 1988، ص 54.

- نهر (حدره Darro): يَقَطُّعُ هذا النَّهْرُ غرناطةَ آتياً من الشَّرْقِ وَيَلْتَقِي بِنَهْرِ شَنْبِلٍ خارجَ المدينة، وَيَمْرُؤُ على البساتينِ والمزارعِ، تَقَعُ عليه خُمُسُ قناطرٍ<sup>1</sup>، مازالت آثارها باقيةً إلى اليوم<sup>2</sup>.

- نهر (وادي المنصورة Guadal manzor): وكان يُسَمَّى أيضاً بوادي بيرة لأنَّ مياهُه كانت تَصُبُّ في البحرِ المتوسطِ عندَ بلدةٍ (بيرة Vera)<sup>3</sup>.

- تُعدُّ هذه المملكة واحدةً من أشهر المناطقِ الجبليةِ في اسبانيا، «وهي عبارة عن سلاسل جبلية شامخة مليئة بالرخام والغرانيت، وعبر هذه الجبال الموحشة القاسية تبرز أحيانا مناظر قري أو مدن محصنة كأنها أعشاش النسور فوق المنحدرات»<sup>4</sup>، فبالإضافة إلى ميزتها الدفاعية، باطنها غنيٌّ بأنواعٍ مُختلفةٍ من المعادن.

وهذا ما أكده لنا ابن الخطيب: «ومن فضائلها أن أرضها لا تعدم زريعةً ولا ريعاً أيام العام، وفي عمالتها المعادنُ الجوهريَّةُ من الذهب، والفضَّة، والرَّصاص، والمرقشيشا<sup>5</sup>، واللازورد<sup>6</sup>، وبيجبالها ويطاحها السُّنبِلُ، والجنطيانا<sup>7</sup>، والقرمز<sup>8</sup>»<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> - هذه القناطر هي: قنطرة ابن رشيق، قنطرة حمام جاش، القنطرة الجديدة، وقنطرة الفود، وقنطرة القاضي. ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشئ، القلقشندي، ج5، ص215.

<sup>2</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس - عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، ص55.

<sup>3</sup> - ينظر: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، أحمد مختار العبَّادي، ص34.

<sup>4</sup> - الحمراء قصة أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الأندلس وإسبانيا، واشنطن ايرفينغ ترجمة هاني يحي نصري. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. ط1، سنة 1951. ص28.

<sup>5</sup> - المرقشيشا: وتعرف أيضاً باسم مرقشينة أو مرقشيطا، وهي مادة القصدير. ينظر: تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي مكتبة لبنان، بيروت، سنة 1968، د ط، ج2، ص592.

<sup>6</sup> - اللازورد: وهو نوع من المعادن، تكملة المعاجم العربية، رينهارت دوزي، ج2، ص195.

<sup>7</sup> - الجنطيانا: هونبات طبي، يستخدم في إعداد الأدوية ترياقية. ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج1، ص98.

<sup>8</sup> - القرمز: هو صبغ أحمر يستخدم في صباغة الثياب. ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة قرمز.

<sup>9</sup> - اللمحة البدرية، ابن الخطيب، ص22.

- من أشهر جبالها:

- جبل الفتح: يُعرف بهذا اسم «نسبةً إلى مدينة الفتح التي أنشأها الموحّدون على سفح هذا الجبل، كان يُطلق عليه قبل الفتح الإسلامي الاسم الفينيقي ( Mons Calpe) ومعناه التجويف، أمّا اليوم فيعرف باسم (Gilbraltar)»<sup>1</sup>. ويُعرف أيضا باسم جبل طارق نسبة إلى طارق بن زياد. يُمثل هذا الجبل موقعا استراتيجيا إذ يُعتبر همزة وصل بين المغرب والأندلس، فمن خلاله كانت تردّ إلى الأندلس المُعدّات والجنود للمشاركة في الجهاد ضد الاسبان.

وصفه "ابن بطوطة" فقال: «جبل الفتح هو معقل الإسلام المُعرض شحي في حُلُوم عبدة الأصنام، ومحلّ عدد الجهاد ومفرّ أساد الأجناد»<sup>2</sup>. وقال بن الخطيب فيه أيضا: «هو ذو المناقب التي لا تحصرها الألسنة ولا تُوفيها، وأطلّ بأعلاه قصر، وأطلّه فتح ونصر. إلا أنّه بعيد الأقطار، كثير الرياح والأمطار. مكتنف بالرمل المخلف، قليل المرافق، وساكنه حي في قبر»<sup>3</sup>.

- جبل شلير: يُطلق عليه بالبعث اسم "جبل الثلج" لأنّ قممه مُغطاة بالثلوج صيفا وشتاء. كما يُعرف أيضا باسم (سييرانيفادا Sierra Nevada) أي الجبال الثلجة، وتسمى قمّته حتى الآن (مولاي حسن Cerro de Mullacen)<sup>4</sup>.

ومن هذه الجبال أيضا نذكر جبل الفخار وهو أحد شعب جبال سييرانيفادا ويسمى اليوم (MonteAlfacar). وجبال البشرات التي يطلق عليها اسم (Alpuarras)<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط- د ت، ص. (403- 413).

<sup>2</sup> - تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة. دار صادر للطباعة والنشر. بيروت لبنان. ط 3. سنة 1428هـ/2007م. ص 678.

<sup>3</sup> - معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ابن الخطيب، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ط، سنة 1423هـ/2002م، ص 83.

<sup>4</sup> - ينظر: مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، أحمد مختار العبادي، ص 80.

<sup>5</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس عصر بني الأحمر، أحمد الطوخي، ص 57.

- تزخر هذه المملكة بعددٍ من البساتين الخصبة، الغنيّة بمختلف أنواع المزروعات. تُعرف باسم "الجَنّات" منها: جَنَّة العريف، وجَنَّة ابن عمران، وجنة نجد<sup>1</sup>.

- أما مناخها فهو قريب إلى الاعتدال شديد البرودة شتاءً، قال فيها بن الخطيب: «ولكنها والله بردها يطفئ حرّ الحياة، ويمنع الشفاه عن ردّ التحيات»<sup>2</sup>.

إن هذا الموقع وهذا التنوع الطّبيعي مَنحها مزايا كثيرة تميّزت بها على غيرها من المدن، وهذا ما جعلها محط إعجاب الكثير من الدارسين والزوّار. فهذا بن بطوطة يقول فيها: «قاعدة بلاد الأندلس وعروسُ مُدنها، وخارجها لا تُظير له في البلاد»<sup>3</sup>. هذا اعتراف صريح منه بمدى روعة جمال هذه المملكة.

ووصفها بن الخطيب فقال إنها: «سنام الأندلس وقاعدة الدنيا، لا يُقابلها في داخلها ولا خارجها بلدٌ من البلدان، ولا يُضاهيها في اتّساع عمارتها، وطن من الأوطان، ولا يأتي على حصرٍ أوصاف جمالها قلم البيان»<sup>4</sup>. إن هذا الوصف يعبر عن مدى قوة هذه المملكة وجمال طبيعتها وإن كان فيه بعض المبالغة.

مما سبق نخلص أنّ المملكة على الرغم من صغرها وانكماش رقعتها، كانت غنيّة بالموارد الطبيعية، إلى جانب وديانها الخصبة التي تفيض على البساتين والتي تزودها بأشهى الثمار، والجبال الوعرة التي تحيط بها من كل صوب، الغنيّة بالثروات المعدنية.

### ثانياً: الجوانب السياسية والإدارية.

#### 1- الجوانب السياسية:

كانت هذه البقعة الأندلسية تتعرض للعدوان كثيرا في تلك الفترة، فقد كانت تمهزم وتسقط بعض مُدنها تارة، ثم تُقاوم وتتحرّر وتُسترجع قواها تارة أخرى، بقيت على

<sup>1</sup>- اللوحة البدرية، بن الخطيب، ص23.

<sup>2</sup>- ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج1، ص96

<sup>3</sup>- ينظر: تحفة النظاري في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، ص665.

<sup>4</sup>- ينظر: المصدر السابق، مج1، ص91.

هذه الحال حتى سَقَطت في نهاية القرن التاسع، سنحاول أن نعرض بإيجاز أهم الأحداث التي مرت بها، والسلاطين الذين تربعوا على عرشها من بداية تأسيسها حتى سقوطها.

لقد اختلّت الموازين السياسية في الأندلس أوائل القرن السابع الهجري بعد انهيار دولة الموحدين<sup>1</sup>، وأخذت القواعد تُخرج من قبضة الموحّدين واحدة تلوى الأخر. فانتزع أصحاب المطامع الفرصة وأعلنوا استقلالهم عنها، فانتزع البعض منها ابن هود<sup>2</sup>، وانتزع النّصاري البعض الآخر<sup>3</sup>.

في تلك الأثناء ظهر " محمد بن يوسف بن نصر"<sup>4</sup> الملقب بابن الأحمر، كان قائداً شجاعاً انعقدت عليه الآمال في جمع الشّمل، التفّ حوله أنصاره في أرجونة حيث بُوع له بعد صلاة الجمعة يوم 26 رمضان عام 629هـ<sup>5</sup>. ثم ما لبثت دعوته أن انتشرت في المناطق المجاورة.

وفي أول رمضان من عام 634هـ هاجم سگان مدينة غرناطة عتبة بن يحيى المغيلي<sup>6</sup> والي ابن هود على المدينة وقتلوه، ثم دخلوا في طاعة ابن الأحمر وبعثوا إليه ببيعهم، ولجئ

<sup>1</sup> - تأسست دولة الموحدين على يد المهدي بن تومرت وأبو محمد عبد المؤمن بن علي التاجري النّدرومي، امتازت بعظمتها وقوتها، استمر حكمهم بين (1129- 1268م). ينظر: تاريخ دولة الدولتين الموحّدية والحفصية، أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالمراكشي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، سنة 2002، ص (05-18).

<sup>2</sup> - هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود، الملقب بسيف الدولة وبالمتوكل على الله والمستعين، ظهر بطريقة متواضعة، ثم تطورت مكانته وبياعه أتباعه في رمضان 625هـ، وانضم إليه الكثيرون بعد انهيار دولة الموحدين. راجع: نفح الطيب، المقري، ج1، ص 447.

<sup>3</sup> - المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، د ط، د ت، ص (251- 252) بتصرف.

<sup>4</sup> - وهو محمد بن يوسف بن أحمد بن حسين بن نصر بن قيس الأنصاري، ترفع المصادر التاريخية نسبة إلى سيّد أنصار الرسول وسيّد الخزرج سعد بن عبادة بن الصامت الخزرجي رضي الله عنه، وهو مؤسس دولة بني الأحمر (629هـ-671هـ) لقبّ ابن الأحمر والشّيخ. راجع: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق عادل مرشد، دار الإعلام، عمان، سنة 2002، ط1، ص 469.

<sup>5</sup> - ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص (374- 382).

<sup>6</sup> - عتبة بن يحيى المغيلي، هو والي ابن هود على غرناطة، وكان ظالماً وجائراً لذلك ثار عليه أهل غرناطة وقتلوه. ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص 22.

دعوتهم، ودخل غرناطة في يوم من أيام رمضان عام 635هـ فنزل بجامع القصبه وأمّ الناس لصلاة المغرب، ومنذ تلك اللحظة أصبحت غرناطة عاصمة لدولته.<sup>1</sup>

وبعدما أسّس ابن الأحمر مملكته واستقر في غرناطة وتوجه إلى فتح مناطق أخرى<sup>2</sup>. ولكن واجهته عدة صعوبات، ما جعله يستنجد ببني مرين<sup>3</sup>، ويعهد قيادة الجيوش لقيادة زناته<sup>4</sup>، الذين عرفوا في التاريخ الأندلسي باسم شيوخ الغزاة<sup>5</sup>.

في 29 جمادى الثانية عام 671هـ توفي محمد الأول بن الأحمر على إثر سقوطه من جواده، كان قد أخذ البيعة لولده محمد قبل وفاته، فأضفى بذلك على أسرته مبدأ الملكية الوراثية<sup>6</sup>. اعتلى محمد الثاني<sup>7</sup> المعروف بالفقيه العرش في جمادى الثانية 671هـ، وحقّق عدة انتصارات. كان عهده مليئاً بالأحداث، فقد واجهته عدة مُشكلات، داخلية وخارجية منها: حروب الرؤساء من بني اشقليولة، استيلاء ملك المغرب على مالقة، توفي في شعبان عام 701هـ<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، عبد الله عنان، ص 40.

<sup>2</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس عصر بني الأحمر، أحمد الطوخي، ص (33-35).

<sup>3</sup> - تأسست الدولة المرينية على يد يعقوب بن عبد الحق، امتدت من المغرب الأقصى إلى جهات أندلسية مسلمة، كانت مدينة فاس عاصمة لها، راجع: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، تقديم محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، د ت، ج 2، ص (417-437).

<sup>4</sup> - تأسست الدولة الزيانية بسيوف بني عبد الواد وتنسب إلى زيّان بن ثابت بن محمد بن مطاع من بني عبد الواد، شهدت القيام الفعلي على يد يغمراسن بن زيّان سنة 633هـ إلى أن سقطت سنة 957هـ، ينظر: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك بن محمد الميلي، ص (439-446).

<sup>5</sup> - ينظر: العبر، ابن خلدون، ج 7، ص (448-433).

<sup>6</sup> - ينظر: اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص 36.

<sup>7</sup> - محمد الثاني (672هـ - 701هـ) عرف بالفقيه لاهتمامه بقراءة القرآن الكريم وطلب العلم، ترع على عرش غرناطة وهو في سن 38 سنة، عرف بالقوة والحكمة والحزم. شجع طلبه العلم ودعمهم، واهتم بالعمران وأضاف عدة منشآت إلى قصر الحمراء. ينظر: تاريخ بن خلدون، ج 4، ص 172. أو اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص 44.

<sup>8</sup> - ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج 1، ص 570.

وخلّفه في الحكم ولده أبو عبد الله محمد<sup>1</sup> الذي تَمَرَّس على شُؤُونِ الحُكْمِ في عهد أبيه، من انجازاته فتح مدينة سبتة، لكن هذا الفتح أدى إلى تدهور العلاقات بين غرناطة وفاس<sup>2</sup>. وفي عهده تحالفت كل من مملكة قشتالة<sup>3</sup>، ومملكة أراغون<sup>4</sup> لغزو المملكة في وقت واحد، حينما وصل الخبر إلى المملكة اشتعلت نار الفتنة بقيادة أبي الجيوش نصر<sup>5</sup>، فاعتقل السلطان وأجبر على التنازل عن العرش وقاموا بنفيه. وترجع أبو الجيوش نصر على عرش غرناطة<sup>6</sup>. يصف لنا ابن الخطيب فترة حكمه فيقول: «كانت أيامه -كما شاء الله- أيام نحسٍ مُستمر، شملت المسلمين فيها الأزمة»<sup>7</sup>. فقد كثرت الفتن الداخلية والخارجية في عهده، توفي عام 722هـ<sup>8</sup>.

<sup>1</sup>- هو ثالث ملوك بني الأحمر يلقب بالملخوع (701هـ - 708هـ). عرف بحدة طبعه وقسوته أصيب بمرض في عينيه، قيل إنه اغتيل غريقاً في بركة القصر والبعض قال إنه أصيب بسكتة قلبية أمانته. ينظر: تاريخ ابن خلدون، ج 7، ص 228. أو الإحاطة، ابن الخطيب، مج 1، ص 554.

<sup>2</sup>- ينظر: اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص 53.

<sup>3</sup>- مملكة قشتالة هي من أهم الممالك النصرانية في شبه الجزيرة الإيبيرية، وأكثرها حقدا على الوجود الإسلامي في اسبانيا، من ملوكها ألفونسو السادس، ألفونسو السابع، ألفونسو العاشر، راجع: أعمال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ابن الخطيب، تحقيق سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط، د ت. ص ( 284 - 290).

<sup>4</sup>- مملكة أراغون: وهي من الممالك النصرانية، والقوة الثانية بعد مملكة قشتالة، هدفها هو السيطرة على كامل حوض البحر الأبيض المتوسط. ينظر: نهاية الوجود العربي في الأندلس، علي حسن الشطشاط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 200، ص 61.

<sup>5</sup>- هو نصر بن محمد (708هـ - 713هـ) كان محبا للخير، أديبا وعالما، تسلم الحكم وهو ابن 23 سنة. ينظر: اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص (70 - 75).

<sup>6</sup>- ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 408.

<sup>7</sup>- ينظر: اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص 57.

<sup>8</sup>- ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس عصر بني الأحمر، أحمد الطوخي، ص (38 - 39).

وخلّفه أبو الوليد اسماعيل بن فرج<sup>1</sup>، في عهدِه قام القشتاليون بهجومٍ كبيرٍ على مدينة غرناطة، انتهى بِمَقْتَلِ الأميرين القشتاليين في مروجِ غرناطة سنة 719هـ<sup>2</sup>، فانتَهز السلطان الفرصة وقام بالاستيلاءِ على بعض المذن مثل: (بسطة Baza) (وأشكر Huescar)، حيث تمَّ استخدام المدافع لأول مرة<sup>3</sup>. وبعد عودة السلطان مُنتَصِرًا قُتِلَ أَمَامَ بابِ قصر عام 725هـ<sup>4</sup>.

تربّع على العرش بعده أبو عبد الله محمد الرابع بن إسماعيل<sup>5</sup>، حَدَثَتْ في عهده فتن داخلية كثيرة استغلها القشتاليون، فقاموا بالاستيلاء على عدة حصون وهذا ما دفع السُلطان إلى عبور البحر نحو المغرب عام 732هـ، لِيَسْتَصْرِخَ بني مرين، فَأَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وسَاعَدُوهُ في استعادة جبل الفتح عام 733هـ، لكن سُرِعَانَ ما اغتيل السلطان<sup>6</sup>.  
خلفه أبو الحجاج يوسف الأول<sup>7</sup> عام 732هـ، يُعَدُّ عَصْرَهُ عَصْرًا ذَهَبِيًّا، عرفت فيه المملكة القوّة والازدهار، فعلى عهدِه تأسّست المَدْرَسَةُ النَّصْرِيَّة، وأُنشئتِ المَصَانِعُ، وَحُصِّنتِ المَمْلَكَةُ<sup>8</sup>، توفي قتيلا في أول شوال عام 755هـ.

<sup>1</sup>- أبو الوليد إسماعيل بن فرج ابن إسماعيل، خامس ملوك بني الأحمر (713-725هـ)، عرف بين رعيته بعدله وميليه إلى الصيد، توفي قتيلا، فقد اغتاله ابن عمه محمد بن إسماعيل صاحب الجزيرة طعنا بالخنجر. ينظر: اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص (76-78).

<sup>2</sup>- ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 412.

<sup>3</sup>- ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، ص 40.

<sup>4</sup>- ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج 1، ص 450.

<sup>5</sup>- هو محمد بن إسماعيل بن فرج، كنيته أبو عبد الله، عرف بشجاعته وحبّه للصيد، كان مهتما بالأدب والشعر بشكل خاص، وقعت فيه أيامه فتن كثيرة. ينظر: الإحاطة، ابن الخطيب، مج 1، ص 535.

<sup>6</sup>- ينظر: اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص (80-83).

<sup>7</sup>- هو أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل (733-755هـ)، وصفه بن الخطيب أنه كان أبيض البشرة مليح القد كثيف اللحية، قوية البنية، تولى الملك وهو بن 26 سنة كان له دور بارز في تاريخ غرناطة، ولكثرة الإنجازات التي حققها، وصف عصره بالعصر الذهبي. قتل بطعنة خنجر بمسجد غرناطة. ينظر: اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص (103-110).

<sup>8</sup>- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 31.

تولَّى الحُكْمَ بعده ولده الغني بالله<sup>1</sup> عَرَفَ عهده العديد من الفتن الداخلية، أدَّت إلى وقوع انقلاب في المملكة انتهى بخلعه، وتولية أخيه أبو الوليد إسماعيل الثاني<sup>2</sup> في رمضان عام 760هـ<sup>3</sup>. ولكن سرعان ما قام انقلاب آخر في شعبان 761هـ أودى بحياة السلطان، واعتلى على العرش بعده ابن عمِّه وزوج أخته أبو سعيد محمد البرميخو، ثمَّ يَتَغَيَّرُ مَسَار الأحداث، لِيَقُومَ مَلِكٌ قَشْتَالَةَ بِإِرْسَالِ طَلَبٍ لِلغني بالله بُغِيَةَ مُسَاعَدَتِهِ فِي استعادة عرشه، فَحَدَثَ ذَلِكَ بالفعل واسترجع الحكم<sup>4</sup>.

انتهت تلك الأحداث بعقد اتفاقية صلح بين قشتالة وأرجون وغرناطة والمغرب سنة 771هـ<sup>5</sup>، ثم يتوفى السلطان الغني بالله سنة 793هـ، لتدخل المملكة بعد ذلك في عصر الاضمحلال والسُّقُوط، وتدخل في دوامة من الفتن والمؤامرات حول العرش.

في تلك الفترة عرفت اسبانيا نهضة سياسية كبرى، توجت بزواج فرناندوا الثالث ملك أراغون بإيزابيل ملكة قشتالة عام 1469، وكان هذا الحدث بمثابة بداية نهاية الدولة النُصْرِيَّة.

لقد تولَّى العرش بعده ولده يوسف أبو الحجاج (يوسف الثاني) في عهده قامت بعض المعارك بين الطرفين، حيث قاموا بالإغارة على أراضي النصارى في أحواز مرسية

<sup>1</sup> - هو الغني بالله محمد بن يوسف (755هـ-760هـ) كان حسن الصورة، عفيف النفس، محبا للخير. ينظر: الإحاطة، ابن الخطيب، مج 2، ص 15.

<sup>2</sup> - السلطان إسماعيل الثاني كانت فترة حكمه قصيرة، أقل من سنة، ذكر ابن الخطيب انه كان وسيما وبيدنا، محبا للترف واللذات وهذا ما شغله عن إدارة المملكة. ينظر: اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص (126-128).

<sup>3</sup> - ينظر: نفح الطيب، المقري، ج 7، ص (23-25).

<sup>4</sup> - ينظر: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ابن الخطيب، نشر وتعليق، أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الاهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء المغرب، د ط، د ت، ج 2، ص (18-24).

<sup>5</sup> - ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 447.

ولورقة، وهاجم النصارى من جانبهم على فحص غرناطة، واستمر الامر على هذا الحال، حتى الهدنة بين الطرفين. توفي سنة 797هـ<sup>1</sup>.

خلفه ولده محمد السابع بعد أن دبّر أمره مع زعماء المملكة لإقصاء أخيه الأكبر يوسف من العرش، استمر هذا السلطان في سياسة الهدنة التي عقدها والده مدة من الزمن، لكن لم يمضي القليل حتى أغار القشتاليون على بسائط غرناطة واشتعلت نار الصراعات والمعارك من جديد، وفي نفس الوقت سعى السلطان لتوطيد العلاقة مع مملكة أراجون وعقد معها معاهدة صداقة وتحالف<sup>2</sup>.

لما توفي خلفه أخوه يوسف الثالث الذي كان سجيناً بقلعة شلوبانية، أوّل ما سعى إليه هو تجديد الهدنة مع قشتالة، فاستجابت لذلك، لكن بعد مضي عامين أعلنت الحرب وأسقطت مدينة أنتقيرة، حدثت فيها خسائر فادحة بالمسلمين، اجتناباً لاستمرار هذه المعارك ارتضى بلاط قشتالة وعقد السلم بين الطرفين مرة أخرى<sup>3</sup>.

بعد وفاته تولى الحكم محمد الثامن الملقب بالأيسر<sup>4</sup>، ثم محمد التاسع الملقب

---

1- السلطان يوسف الثاني: هو يوسف بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف كانت فترة حكمه قصيرة لم تدم سوى ثلاثة أعوام وبضعة أشهر، توفي سنة 797هـ، ينظر: دولة الإسلام في الاندلس، ص 149-150.

2- السلطان محمد السابع: هو محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، فترة حكمه (797هـ-811هـ) كان وافر العنف والشجاعة. ينظر: المصدر نفسه، ص (150-152).

3- السلطان يوسف الثالث: هو يوسف بن يوسف بن محمد الغني بالله بن يوسف النصري بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، فترة حكمه (811هـ-820هـ)، ينظر: المصدر نفسه، ص 153-154.

4- السلطان محمد الثامن: هو أبو عبد الله محمد ابن السلطان أبي الحجاج يوسف الملقب بالأيسر، كان صارماً متعالياً على أهل دولته، بعيداً عن الاتصال بشعبه، حكم الفترة الأولى (820هـ-831هـ)، أما الفترة الثانية (835هـ-837هـ)، كذلك الفترة الثالثة وخلع سنة 845هـ. ينظر: المصدر نفسه، ص 155-156.

بالزغير<sup>1</sup>، ثم محمد العاشر الملقب بالأعرج<sup>2</sup>.

ثم تربع على العرش السلطان سعد بن محمد<sup>3</sup>. ولكن سرعان ما ثار عليه ابنه أبو الحسن علي<sup>4</sup> واستولى على الحكم، في عهده اشتعلت الحروب الأهلية<sup>5</sup>، كان له ولدان من بنت عمّه عائشة الحرة وهما: أبو عبد الله محمد ويوسف. لكنّه تزوّج عليها من (إيزابيل دي سوليس Isabel de Solis)<sup>6</sup>، وهذا ما أغضب عائشة الحرة فغادرت القصر صُحبة ولديها، وبعد ذلك ثار الأميران وأعلنوا الثورة ضدّ والدهما، فقامت حروبٌ كبيرة راح ضحيتها الأمير يوسف، وما لبثت غرناطة العاصمة أن انضمت إلى الأمير أبوعبد الله<sup>7</sup>، وطُرد السلطان أبو الحسن منها ولجأ إلى مدينة بسطة<sup>8</sup>.

1 - السلطان محمد التاسع: هو محمد بن نصر بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف، كان وافر الفروسية، لكنه لم يوفق في اخماد الفتن المستمرة، فترة حكمه (831-835هـ)، ينظر: دولة الإسلام في الاندلس، ص. 156.

2 - السلطان محمد العاشر تولى الحكم ( )، والفترة الثانية (849-863هـ).

3 - سعد بن محمد بن يوسف المستعين بالله المعروف بابن الأحمر (863-867هـ)، ينظر: المصدر نفسه، ص. 167.

4 - هو أبو الحسن علي بن سعيد بن إسماعيل النصرى، عُرف بين الإسبان باسم مولاي حسن Muley Hacén (868هـ -887هـ)، يعرف اسم مولاي حسن، كان شجاعاً حازماً، عرف عهده الكثير من الاضطرابات والفتن. ينظر: نفع الطيب، ج4، ص (111-114).

5 - ينظر: نبذ العصر في أخبار ملوك بني نصر، مؤلف مجهول، ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر، ط1، ص 1463هـ/2002م ص (24-26).

6 - وهي رومية اعتنقت الإسلام واتخذت ثريا اسما لها.

7 - هو أبو عبد الله محمد بن الحسن علي بن سعيد بن إسماعيل النصرى، هو آخر سلاطين بني الأحمر (887هـ -897هـ)، شهد عهده الكثير من الأحداث، ولفظت غرناطة أنفاسها على يديه بتوقيعه معاهدة تسليم المملكة مع القشتالين. راجع نفع الطيب، المقري، ج4، ص (522-529).

8 - ينظر: المصدر نفسه، ج6، ص (261-262).

وفي عام 888هـ وقع السلطان أبو عبد الله أسيراً في يد الإسبان، ثم أُطلق سراحه بعدما قرضوا عليه مجموعة من الشروط، في تلك الفترة تُوفِّي والده أبو الحسن وخلفه أخوه أبو عبد الله محمد بن سعيد الملقب بالزغل عام 890هـ<sup>1</sup>.

استغل الإسبان الفرصة وقاموا بالاستيلاء على بعض المُدن مثل رندة ولوشة ومالقة وتأزمت الأوضاع، ووجد زعماء المسلمين حلاً يُرضي الطرفين، وقالوا من الأفضل اقتسام ما بقي من المملكة بين الزغل<sup>2</sup> وابن أخيه. في تلك الأثناء بعث الإسبان إلى الزغل يعرضون عليه مبلغاً من المال مُقابل تسليمه ما تحت يده من مدن، فوافق على ذلك، ورحل إلى المغرب.<sup>3</sup>

وهكذا أصبح الحكم بيد السلطان أبو عبد الله، فاستغل الإسبان الفرصة وطالبوه بتسليم غرناطة، لكنّه رفضَ وقرَّر القتال<sup>4</sup>. بعد أن أدرك المملكان الإشبانيان صعوبة الاستيلاء على المدينة بالقوة، قرَّرا في سنة 896هـ حصارها وقطع جميع الإمدادات عليها<sup>5</sup>. استمرت فترة الحصار لمدة سبع أشهر، فانتشرت المجاعة بين الأهالي، وتفشَّت الأمراض، بالإضافة إلى دخول فصل الشتاء، وهطول كميات كبيرة من الثلوج<sup>6</sup>.

وأمام هذه الأوضاع الكارثية وجد السلطان أبو عبد الله الصغير نفسه أمام خيارين: إما تسليم المملكة، أو البقاء تحت الحصار والدِّفاع حتى الموت، مأل أغلب القادة إلى قرار تسليم المملكة. من بين الرافضين لهذا الأمر رجل يدعى موسى بن أبي غسان الذي قال قولته المشهورة: «اتركوا العويل للنساء والأطفال، فنحن رجال لنا قلوب لم تخلق لإرسال

<sup>1</sup> ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص (465-466).

<sup>2</sup> هو أبو عبد الله الزغل (890هـ-892هـ) لقب بالزغل كناية على قوته وشجاعته، وصفه المقري بأنه كان قليل الخبرة، فلم يحسن استغلال الظروف وتسيير ممتلكاته. ينظر نفع الطيب، المقري، ج 4 ص (519-520).

<sup>3</sup> ينظر: نبذة العصري في أخبار ملوك بني نصر، مؤلف مجهول، ص (38-42).

<sup>4</sup> ينظر: أفاق غرناطة، عبد الحكيم الذنون، دار المعرفة، دمشق، ط 1، سنة 1408هـ/1988م ص 50.

<sup>5</sup> ينظر: سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس، واشنطن إيرفينغ، ص (380-381).

<sup>6</sup> ينظر: نبذة العصري في أخبار ملوك بني نصر، مؤلف مجهول، ص 40.

الدَّمع، ولكن لتقطر الدماء»<sup>1</sup>، وقال أيضا: «إنَّه لخيري أن أحصى بين الذين ماتوا دِفَاعاً عن غرناطة، من أن أحصى بين الذين شَهِدوا تَسليمها»<sup>2</sup> وبالفعل كان له ما أراد .

لكن بعد التفاوض مع الأعيان، تم الإجماع على تشكيل وفد للتفاوض مع الملكين فرديناند وايزابيلا، والتي انتهت بتوقيع الاتفاقية<sup>3</sup>، والتي من ضمن بنودها تسليم غرناطة<sup>4</sup>.

فانتهى الاتفاق على شروط التسليم في 25 نوفمبر 1491م/21 محرم 897هـ، ولمَّا تَسرَّب الخبر إلى أهل غرناطة أعلنوا الثَّورة على السُّلطان، فاتَّفَق مع الملكين على تسليم المدينة في 2 يناير 1492م/الثاني من ربيع الأول 897هـ<sup>5</sup>.

ودَخَلَ الجَيْش القَشْتالي وَرَفَعوا عَلمهم على الحمراء، وتمَّ تعليق صَليب فِضي على أبراج الحمراء، وقام القَساوسة باحتلال الجامع ووضع صليب في محرابه والنواقيس في المِئذنة، وأعدُّوا العدة لدخول إيزابيلا وفرناندو إلى غرناطة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>- أفاق غرناطة: بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، عبد الحكيم الذنون، 53.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup>- في حقيقة الأمر كان هناك اتفاقان: سرية وعلنية، الأولى وقعها أبو عبد الله الصغير مع فرديناند وايزابيلا، ووافق على تسليم غرناطة مقابل امتيازات مادية له وحاشيته. أما الاتفاقية الثانية فهي علنية وهي محاولة للتغطية عما اتفق عليه سرًا وإضفاء صفة الشرعية على الاتفاق. راجع: التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكين (1474-1516م)، محمد عبده حتامله، ساعدت الجامعة الأردنية على نشره، ط1، 1980م، ص (17-57). راجع: ملحق الوثائق- بنود تسليم غرناطة..

<sup>4</sup>- ينظر: سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس، واشنطن إيرفينغ، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1988م ص 397. أو أفاق غرناطة، عبد الحكيم ذنون، ص 54.

<sup>5</sup>- تخلط معظم الروايات بين تاريخ التوقيع على معاهدة التسليم وبين تاريخ استيلاء النصارى الفعلي عليها. ينظر: الأندلسيون المواركة، عادل سعيد بشتاوي، دار الكتب، القاهرة مصر، ط 1، 28 يناير 1983،

ص 104. أو دولة الإسلام في الأندلس-العصر الرابع، عبد الله عنان، ص 257.

<sup>6</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص 105.

في يوم التسليم- الثاني من يناير 1492م- انتظر الملكان قُدوم عبد الله الصغير مع حاشيته وسلّمهم مفاتيح المدينة. ورحل بعدما ألقى النظرة الأخيرة على قصور الحمراء. وهنا زَفَرَزَفَرَةً عميقة اتبعها بَعبراته، فقامت عائشة الحرة بِمسح دموعه وربتت على كَتفه وهي تقول قولتها الخالدة:

ابك مثل النِّساء مُلكاً مُضاعاً لم تُحافظ عليهِ مثلَ الرِّجال<sup>1</sup>.

ولخّص لنا "علي حسين الشطشاط" أسباب سقوط غرناطة في عنصرين هما:

«- الضَّغَط الخارجي: تمثل في عنصرين أساسين:

1- عامل اقتصادي: تمثّل في انعدام التِّجارة، وحرِق المزارع وقَطع الطُّرقات، استنزاف طاقات الدولة بسبب الإتاوات التي فرضت عليها قلة المساعدات العربية من بني مرين وغيرهم في الفترة الأخيرة.

2- العامل السياسي: تمثل اتِّحاد مملكتي قشتالة وأراغون عن طريق زواج الملك فيرناندو بالملكة ايزابيلا.

- الصِّراع الدَّاخلي: هو الصِّراع الذي حدث دخل الأسرة الحاكمة على العرش»<sup>2</sup>.

بعد سُقوط غرناطة بدأت مُعاناة كبيرة للمسلمين الذين فَضَّلوا البَقَاء بغرناطة لمَّا نكث الإسبان بِشروط معاهدة التسليم. وأمروا الأهالي بِجلب كل ما لديهم من المخطوطات وحملها إلى ساحة المدينة، اختاروا منها ما يَنفعهم في الطب والكيمياء والرياضيات وغيرها أما الباقي فأحرقوه. وكان ذلك محاولة منهم على مسح التاريخ الغرناطي ودفع الأهالي نحو التَّنصر<sup>3</sup>.

<sup>1</sup>- راجع: أفاق غرناطة، عبد الحكيم الذنون، ص73.

<sup>2</sup>- نهاية الوجود العربي في الأندلس، علي حسين الشطشاط، ص63.

<sup>3</sup>- الأندلسيون المواركة، عادل سعيد بشتاوي، ص116.

### 2- الجوانب الإدارية:

كان نظام الحكم في المملكة كما ذكرنا سابقاً وراثياً، لكن لم تكن هناك قواعد وأصول محددة يتم بموجبها وراثتها الحكم، فنجد أنّ محمداً الرابع تولى الحكم وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، وكذلك يوسف الأوّل تقلّد الحكم وهو لا يزال مُراهقاً<sup>1</sup>. كما أشرك بعض السلاطين وليّ العهد في الحكم وهو ما حدث مع محمّد الفقيه. وكذلك لم يكن من الضروري أن يرث الابن الأكبر العرش.

لقد اتخذ السلاطين لقب "أمير المسلمين"، وقلّدوا أسلافهم في اتخاذ ألقاب مستمدة من الدين الإسلامي كلقب "الفقيه"، "الناصر لدين الله"، "القائم بأمر الله"، "الغني بالله"، "المستعين بالله".

كان هؤلاء السلاطين «يدينون بمبدأ الحكم المطلق، ولا يرون له بديلاً، على أنه في وقت الخطر كانوا يستعينون برأي الزعماء والقادة»<sup>2</sup> وهذا يعني أنهم لم يستبدوا بالحكم، بل استعانوا بمشورة أهل الرأي والحكمة في المسائل المصيرية. ولم يتخذوا التاج كعلامة للملك، بل اتخذوا الصولجان إضافة إلى الخاتم الملكي، كما كانت لهم أملاك خاصة تعرف باسم "المستخلص"<sup>3</sup>.

- كانت الوزارة تُسند غالباً لأحد أعلام الأدب، نذكر على سبيل المثال: ابن الحكيم اللُّخمي، ابن الخطيب، ابن زمرك. «كانت مهامهم تتلخص في أن يتلقّى الوزير أوامر من السلطان، ويعمل على تنفيذها، ويُعنى بتحرير المكاتبات السلطانية، وصياغة المراسيم، كما كان الوزير يتولى مهام السلطة في غياب السلطان ويقوم بقيادة الجيش بدلاً عنه»<sup>4</sup>.

- بالإضافة إلى الوزارة توجد مجموعة من الدواوين مقسّمة حسب المهام منها "ديوان الإنشاء" الذي يتولّى كتابة الرسائل السلطانية، و"ديوان الحسبة" المختص في حصر

<sup>1</sup>- ينظر: أعمال الأعلام، ابن الخطيب، ص301.

<sup>2</sup>- دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع، عبد الله عنان، ص441.

<sup>3</sup>- ينظر: الإحاطة، ابن الخطيب، مج1، ص231.

<sup>4</sup>- المرجع السابق، ص442.

أملاك الدولة وتقدير مداخيلها وتحديد الضرائب، و"ديوان الجند" الذي تُثبِتُ فيه أسماء الجنود وكل المعلومات الخاصة بهم، وغيرها كثير<sup>1</sup>. وما يُلاحظ على هذه الدواوين «هو اتِّخَاذُ اللَّوْنِ الْأَحْمَرِ فِي الْمِدَادِ، وَالرَّسَائِلِ كَانَتْ إِجْمَالًا تَنْتَهِي بِالذُّعَاءِ وَبِالشَّعَارِ الْمَلِكِيِّ (لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ)، ثُمَّ تُلَفُّ بِشَرِيْطٍ بِخْتَمِ السُّلْطَانِ إِشَارَةً إِلَى أَهْمِيَّتِهَا»<sup>2</sup>.

-كان القضاة يجري على مذهب الإمام مالك، يتمُّ في المسجد<sup>3</sup>. يُشترطُ في القاضي: الإسلام، البلوغ، العلم، العدالة، سلامة الحواس، أن يكون فطناً، نزيهاً، حاذقاً، مُستشيراً لأهل العلم والرأي<sup>4</sup>، أرفع المناصب كانت منصب "قاضي الجماعة"، ويُعرف أيضاً باسم "قاضي الحضرة" أو "قاضي غرناطة"<sup>5</sup>.، يتمتع هذا القاضي بالسلطة على سائر القضاة، فيشرف عليهم، ويتأكد من صحة الأحكام التي يُصدرونها.

-ويتبع القضاء وظيفة الحسبة «وهي وظيفة دينية تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يختصُّ صاحبها بمطاردة المنكرات، والعمل على احترام الأحكام الشرعية وقمع الغش»<sup>6</sup>. يطلق على المحتسب أحياناً تسمية "صاحب السوق"، لأنه يقوم بمراقبة الحركة الاقتصادية من خلال السهر على مراقبة الأسواق<sup>7</sup>، ورعاية الصحة العامة<sup>8</sup>. من خلال هذا التعريف نستشف أنها وظيفة حساسة.

<sup>1</sup>- ينظر: مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر، الطوخي، ص (188-190).

<sup>2</sup>- غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص 65.

<sup>3</sup>- ينظر: صبح الأعشى، القلقشندي، ج 1، ص 143.

<sup>4</sup>- ينظر: تاريخ قضاة الأندلس المسلمين المسمي بالمراقبة العليا فيمن استحق القضاء والفتيا، أبو الحسن النباهي، تحقيق لجنة التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت لبنان، ط 5، د ت، ص 21 بتصرف.

<sup>5</sup>- دولة الإسلام في الأندلس - العصر الرابع، عبد الله عنان، ص 444.

<sup>6</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص 445.

<sup>7</sup>- لمعرفة أحكام البيع والشراء والكرء راجع: العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، ابن سلمون الكناني، تعليق محمد عبد الرحمان الشاغول، دار الأفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط 1، سنة 1432هـ-2011م. ص (196-345).

<sup>8</sup>- ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الطوخي، ص 199.

- كانت قيادة الجيوش من أهم المناصب وقد اختصَّ بهذا المنصب الخطير "أسرة بني العلاء"، وهي أحد بطون بني مرين<sup>1</sup>. وهذا يدل قوة العلاقة التي كانت بين دولة بني الأحمر وبين بني مرين وكذلك على الثقة الكبيرة التي منحت لهم حتى أوكلت لهم إدارة هذا المنصب الحساس في الدولة.

كان هذا الجيش عبارة عن خليط من مختلف الأجناس منها: الفرق الأندلسية والبربرية والزناتية، والمماليك. وشكّل الجنود المغاربة النسبة الكبيرة تَلَقَّبَ قَادَتُهُ بلقب "شيخ الغزاة"<sup>2</sup>.

- لقد تألّف الجيش العسكري من الشُرطة. كان يعرف صاحب هذا المنصب بـ "صاحب المدينة" من مَهَامِهِ السَّهْر على أمن النَّاس، وتنفيد العُقوبات. أما حُرَّاس القصر فأغلبيتهم من النَّصاري المُرتدِّين عن دينهم، أطلق عليهم ابن الخطيب اسم المماليك<sup>3</sup>.

- كما كان للقوات البحرية هي الأخرى دور بارز في الدفاع، من مَهَامِهَا بعد حماية الشواطئ والمدن الساحلية، وتأمين الاتصال بين المملكة ودول الإسلامية<sup>4</sup>. لقد تكوّن الأسطول من سُفن مختلفة منها: سُفن لحمل الأسلحة ونقل الخيل، السفن مُزوّدة بالمدافع، بالإضافة إلى سفن الصَّيد، وأخرى لنقل الأشخاص<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - دولة الإسلام في الأندلس - العصر الرابع، عبد الله عنان، ص 443.

<sup>2</sup> - غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص 74.

<sup>3</sup> - اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص 48.

<sup>4</sup> - دولة إسلام في الأندلس - العصر الرابع، عبد الله عنان، ص 444.

<sup>5</sup> - مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر، الطوخي، ص (249-252).

ثالثاً: الجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

### 1- الجوانب الاجتماعية:

كانت هذه المملكة تُعاني من اكتظاظ سكاني رهيب، ويَرجعُ ذلك لِتدفُّق الوافدين عليها من المدن أندلسية التي سَقَطت في أيدي الاسبان. يمكنُ حصرُ هذه العناصر السُّكانية في الطوائف الدِّينية أي الإسلام والنصرانية واليهودية.

- يمثِّل المسلمون أكبرَ نسبةٍ من السَّاكنة، وهم خَلِيطٌ من العربِ والبربر<sup>1</sup>. ومذهبهم وهو مذهب الإمام مالك بن أنس، وهذا ما ذكره ابن الخطيب في قوله: «أحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سُنيَّة، والأهواء والنَّحل فيهم معدومة، ومذهبهم على مذهب مالك ابن أنس إمام دار الهجرة»<sup>2</sup>.

- أما البربر فقد تَجَمَّعوا في المناطقِ الجبليَّة، حيث تزايد عددهم إثر اختلاطِ جماعاتٍ منهم في صُفوف الغُزاة<sup>3</sup>. كما تحدث المؤرِّخون عن وجود جاليات إسلامية قادمة من الهند وخراسان وإيران، سكنت ضواحي غرناطة<sup>4</sup>.

- وقطن في ربوع هذه المملكة طائفة من النَّصارى عاشوا في ذمة المسلمين، كانت لهم حقوق وعليهم واجبات مقدَّرة في الشريعة الإسلامية، وكانوا يدفعون الضَّرائب، ويَرتدون ملابس تميزهم عن المسلمين<sup>5</sup>. تجدر بنا الإشارة إلى وجود قنصليات لممالك "أراغون وقشتالة"، كانت مهمَّتها تسهيل أعمال رعاياها من التجار والاهتمام بقضاياهم<sup>6</sup>.

- أما اليهود فقد عاشوا في غرناطة منذ زمن بعيد، حتى أنَّها أُطلق عليها اسم غرناطة اليهود، «كانوا يقطنون في تجمُّعات بعيدة عن المسلمين، وتمتعوا بحرية تأدية شعائهم

<sup>1</sup> - ينظر: دولة الإسلام بالأندلس - العصر الرابع: نهاية الأندلس، عبد الله عنان ص 100.

<sup>2</sup> - اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، ابن الخطيب، ص 38.

<sup>3</sup> - ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص 92.

<sup>4</sup> - ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج 01، ص 115.

<sup>5</sup> - ينظر: اللوحة البدرية، لسان الدين الخطيب، ص 50.

<sup>6</sup> - ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص 95.

الدَّيْنِيَّة وتقاليدهم، ومنحتهم المملكة حماية مقابل تأديتهم الجزية»<sup>1</sup>، ويتردون غفائر صوف صفراء ليتميزوا بها<sup>2</sup>.

إن هذا الخليط والتنوع في الأعراق والثقافات التي كانت تحت راية بني الأحمر، ساهم في مدِّ المملكة بأسباب القوة والازدهار في مختلف جوانب الحياة، وسنتعرف على بعض السمات التي تميزها هذا المجتمع.

- لقد تمتع الشعب الغرناطي برقة الطباع وحسن المعاملة والنباهة<sup>3</sup>، أمّا عن صفاتهم الجسمانية فقد كانت «صورهم حسنة، وأنوفهم معتدلة، وألوانهم بيضاء، وقدودهم متوسطة»<sup>4</sup>.

- وتميّزت المرأة بقسط وافر من الجمال، قال ابن الخطيب في ذلك: «حريمهم حريمٌ جميلٌ، موصوفٌ باعتدالِ السُّمنِ، واسترسالِ الشُّعورِ، وطيبِ الشَّدَى، وخِفَّةِ الحَرَكَاتِ، ونُبْلِ الكلامِ، وحُسْنِ المُحاورَةِ، إلا أنّ الطُّولَ يندرُ فيهم»<sup>5</sup>.

وما يمكن قوله إجمالاً عن المرأة أنّها لم تكن في عزلة تامّة عن مجتمعها، بل كانت تتمتع بقدرٍ من الحرّية، فقد كانت تخرج للأسواق وتختلط بالرجال في كثيرٍ من المناسبات والاحتفالات وكانت لها مشاركات في ميادين السياسة والعلم<sup>6</sup>.

- أما فيما يخص اللباس، «فقد غلب على الغرناطيين ارتداء الملف المصبوغ في الشتاء، والكتّان والحريير والقطن والأردية الإفريقية والمقاطع التونسية والمآزر صيفاً»<sup>7</sup>. وهذا يدلُّ

<sup>1</sup> - مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر، أحمد الطوخي، ص 148.

<sup>2</sup> - الغفائر: هي جمع غفيرة أو غفارة، وهي لباس يغطي الرأس يشبه الشاشية. راجع: نفع الطيب في غص الأندلس الرطيب، المقري، ج 1، ص 208.

<sup>3</sup> - الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج 1، ص 134.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 138.

<sup>5</sup> - اللوحة البديرة في الدولة النصرية، ابن الخطيب، ص 41.

<sup>6</sup> - ينظر: دولة الإسلام في الأندلس: العصر الرابع - نهاية الأندلس، عبد الله عنان، ص 83.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص 449.

على تنوع الرّي، وتأثره بملابس المسحيين والمغاربة والأفارقة الذين وفدوا إلى المملكة. بالإضافة إلى أناقة الملبس كانوا يعمدون إلى كثرة الألوان تقول سلمى الجيوسي في ذلك: «كان الغرناطيون يرتدون ملابس بَرّاقة الألوان، جَدّابة إزاء الجدران المطلية بالأبيض مما جعلها تبدو كالزهور»<sup>1</sup>.

- كان لباس الرّأس الأكثر شيوعاً هو القلنسوة<sup>2</sup> المصنوعة من الصّوف وتسمى أيضاً بـ " غفارة " المصبوغة باللّون الأحمر أو الأخضر خلافاً لليهود والنّصارى الذين أُجبروا على ارتداء قلنسوة صفراء ليميّزوا بها على المسلمين<sup>3</sup>. بالإضافة إلى العمامة التي اختص بلباسها العلماء وفقهاء والقضاة<sup>4</sup>.

- كان الحجاب منظرًا مألوفاً لدى المرأة إجمالاً، ولكن هذا لا ينفى وجود فئة من النساء لا يرتدين الحجاب الشرعي ويخالطن الرجال، حدّثنا عن ذلك عبد الله عنان: «كان نساءً غرناطية، يشهدن الحفلات سافرات، ويسبغن بوجوههن عليها روعة وسحرًا»<sup>5</sup>.

- كما تعودت النّسوة على صبّاعة الشّعر باللّون الأحمر. وتجدر الإشارة إلى أن الرجال كذلك كانوا يصبغون دقونهم بالحنّاء. من هنا نستشف أنّ اللّون الأحمر كان طاغيًا على كل شيء. فقد كان شعارًا لدولتهم، وظاهرًا في ملبسهم وحتى في شعورهم ولحاهم، وهذا يبيّن لنا مدى تعلق هذا الشّعب بدولته وشعارها. فكانت بحق مملكة بني الأحمر قلباً وقالباً.

- عرف هذا المجتمع لغات ولهجات مختلفة، غير أن اللّغة العربية كانت هي اللّغة الرسمية، وهذا ما أكده ابن الخطيب حين قال: «كانت ألسنتهم فصيحة عربية تغلب

<sup>1</sup> - الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلمى الجيوسي مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت لبنان ، د ط، تشرين الثاني/ نوفمبر، 1999، ج 1، ص 158.

<sup>2</sup> - هي قبعةٌ مُدوّرة الشّكل تُغطي الرّأس. وتعرف أيضاً باسم الطاقية أو الشّاشية.

<sup>3</sup> - ينظر: دولة الإسلام في الأندلس: العصر الرابع - نهاية الأندلس، عبد الله عنان، ص 450.

<sup>4</sup> - ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج 1، ص 38.

<sup>5</sup> - المرجع السابق، ص 541. عن Prescott.Ferdinand Isabella. p192.

عليها الإمالة»<sup>1</sup>. فقد كان أهل غرناطة يُبدلون القَافَ كَافاً فيقولون "حك" بدلاً من "حق"، ويقلبون الألفَ ياءً، مثل "بيب" بدلاً من "باب"، و"صيم" بدلاً من "صام". كما أدخلوا بعض الألفاظ الأعجمية من جيرانهم الإسبان والمغاربة، وكذلك بعض الألفاظ المشرقية التي جاء بها الفاتحون الأوائل للأندلس.<sup>2</sup>

- لقد كان المطبخ غنيًا ومتنوعًا بمختلف الأصناف، فقد امتزجت فيه الأطباق العربية، البربرية، المغربية، الأندلسية، الأوروبية<sup>3</sup>. من بين هذه الأطباق نذكر: الثريد، الكسكس، المروزية، والتفايا، العُصبان، المُجَبَّنات<sup>4</sup>.

- يعدُّ القمح الغذاء الأساسي وهذا حسب ما قاله بن الخطيب «وقوتهم الغالب البُرُّ الطَّيب، عامة العام»<sup>5</sup>. كما اهتم السَّاكنَةُ بالصَّيد في المناطق الجبلية، هذا ما جعل أطباقهم تشتمل على أشهى أنواع اللُّحوم. كما عُرفت المناطق السَّاحلية بِطَبْخها للسمك بمُختلف أنواعه أشهرها مدينة "شلوبانية" التي قيل فيها أن «حوت هذه السَّواحل أغزُرُ من رَمله»<sup>6</sup>.

- لقد تنوّعت العادات والتقاليد في هذه البقعة الأندلسية، من أشهرها عادةٌ " إهداء بواكير الفاكهة"<sup>7</sup>، والحديث بالألغاز، بالإضافة إلى المبالغة في النظافة<sup>8</sup>. ومن العادات التي استهجنوها التَّسْوُل قال "المقري" "أنهم «إذا رأوا شخصاً سليماً يَطْلُبُ، سَبُّوه وأهانوه، فلا

<sup>1</sup>- الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج1، ص 134.

<sup>2</sup>- ينظر: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المقري. ج3، ص ( 293- 295).

<sup>3</sup>- ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحان. ص، 107.

<sup>4</sup>- ينظر: مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر، أحمد الطوخي، ص (93- 95).

<sup>5</sup>- الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج1، ص136.

<sup>6</sup>- معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ابن الخطيب، ص97.

<sup>7</sup>- ينظر: نفع الطيب، المقري، ج9، ص 172.

<sup>8</sup>- ينظر: دولة الإسلام في الأندلس: العصر الرابع، عبد الله عنان، ص450.

تَجَدُّ سَائِلًا إِلَّا إِنْ كَانَ صَاحِبَ عَذْرِ<sup>1</sup>. وعادةً شرب الخمر، والمخدرات، والحشيش، وزيارة المشعوذين والمنجمين والسحرة قصد معرفة الغيب<sup>2</sup>.

- كما عشق هذا الشعب مَبَاهِجَ الحِياةِ والاحتفالات، فقد احتفلوا كغيرهم من المسلمين بالأعياد والمناسبات الدينية<sup>3</sup>. وبعض الأعياد النصرانية والفارسية، كعيد رأس السنة، وعيد النيروز<sup>4</sup>، وعيد العصير<sup>5</sup>.

- من المظاهر التي شاعت في هذه الاحتفالات نذكر رياضة الفروسية، والصَّيد، وسباق الخيلِ وقِتالِ الحيوانات الذي انتشر في تلك الفترة. فقتال الثور لا زال إلى اليوم رياضةً مفضَّلةً في اسبانيا<sup>6</sup>. واهتموا بالألعاب العقلية، كلعبة الشطرنج التي نالت رواجاً واسعاً، أقبل عليها الملوك والأعيان والعامّة. ونُشير أيضاً إلى لعبة الحظ كالنرد والرَّهان على أنواعه وألعاب الميسر التي كانت تلعب سرّاً لأن الدين يحظره<sup>7</sup>.

مما سبق يتبين لنا أن المجتمع النَّصري عَرَفَ تَنوعاً في تَرَكيبته السكانية، والتي أدَّت إلى التَّنوع في الملبسِ والمأكَلِ والعاداتِ والتقاليدِ، بالإضافة إلى تَمَتُّعه بقسطٍ وافٍ من الحُرِّيَّةِ، فهو لم ينس حياة المرح حتى في أيام المحن والحروب.

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 1، ص 205.

<sup>2</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس على عصر بني الأحمر، أحمد الطوخي، ص 137.

<sup>3</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس-عصر بني الأحمر، الطوخي، ص (120-122).

<sup>4</sup> - النيروز أو النوروز: ومعناه اليوم الجديد. وهي تتألف من كلمتين فارسيتين هما "نو" بمعنى جديد و"روز" بمعنى يوم. ويكون في شهر "فروردين" في التقويم الفارسي-شهر مارس- تُصنَعُ فيه دُمى من الفخار والخزف على شكل حيوانات على الرغم من تحريم الفقهاء على ذلك.

<sup>5</sup> - عيد العصير: كان يقام سنوياً عند جني محصول العنب وعصره، في هذا العيد كان الغرناطيون يتوجّهون إلى حدائق الكرم، مرتدين أجمل الملابس ليحتفلوا بالرقص والغناء.

<sup>6</sup> - ينظر: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المقري، ج 6، ص 460.

<sup>7</sup> - ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص (118-119).

### 2- الجوانب الاقتصادية:

لقد كانت نُقُودُ الْمَمْلَكَةِ تَتَمَتَّعُ بِجُودَةٍ عَالِيَةٍ، «كانت تُصنَعُ من مزيجٍ من الدَّهَبِ والفضَّة، وهذا ما مَنَحَهَا عِيَاراً في غاية الدقة والجودة»<sup>1</sup>. وصفها ابن الخطيب بشيء من التفصيل فقال: «درهمهم مرَّع الشَّكْل، في الأوقية منه سبعون درهما، يختلف الكِتَبُ فيه، فعلى عهدنا ق8هـ في شق "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، وفي شق آخر "لا غالب إلا الله"، ونصفه هو القيروط، ودينارهم في الأوقية منه ستة دنانير وثلاثا دينار»<sup>2</sup>. من خلال هذا الوصف نلاحظ أن السَّلاطين. قد منحوا هذه العُملة النَّقديَّة الطَّابع الديني من خلال الكتابات المنقوشة عليها، ليَطْرَحَ اللهُ فيها البركة.

تُشير الدِّراسات إلى أن العُملة الذهبية كانت نادرة في القرن التاسع الهجري، نظراً للمشاكل الاقتصادية التي عانت منها المملكة في تلك الفترة، فقد كانت تُصنَعُ من الفِضَّة والنُّحاس والبرونز حتى خَالَهَا بعض الباحثين أنَّها عُملة مُزَيَّفَةٌ<sup>3</sup>. وفيما يتعلَّق بالموازن فقد استعملوا المِثقال لوزن المعادن والتوابل، واستعملوا الرطل لوزن المواد الغذائية، أما الحبوب فيتم وزنها بالمد. وطول الأشياء يقاس بالذراع<sup>4</sup>.

-على الرغم من صِغَر رُقْعَتِهَا الجغرافية إلا أنها كانت تزخر بثروات طبيعية وفيرة، وهذا ما جَعَلَ الزِّراعة تُمَثِّلُ أهمَّ دعائم الاقتصاد. فلقد برع الغرناطيون في زراعة الأَرْضِ وتربية المواشي، وتنظيم طرق الري، ومعرفة أحوال الطقس<sup>5</sup>. كما جلبوا من المشرق والمغرب أنواعاً من النباتات كالقطن، النخيل، الزعفران، وكثيراً من الأشجار المثمرة<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - دولة الإسلام في الأندلس - العصر الرابع، عبد الله عنان، ص 449.

<sup>2</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج 1، ص (143-144).

<sup>3</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الطوخي، ص 277.

<sup>4</sup> - ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص 127.

<sup>5</sup> - ينظر: الزراعة في الأندلس، يوسف نكاري، مطبعة الجسور، وجدة المغرب، ط1، سنة 2007، ص (223-233).

<sup>6</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 237.

وتجدر بنا الإشارة هنا إلى حادثة خطيرة أثّرت على الحياة الاقتصادية، وهي قصة الجراد الذي هاجم المملكة عام 852هـ، بأعداد هائلة وألحق بها خسائر كبيرة، تحدث ابن عاصم عنها فقال: «كانت تلك الفجاج الفيحُ تموجُ بهم موجًا، وما على وجه الأرض من عشب أو نبات يستأصلُ بسارحه أكلاً، ويذر الأرض بعده جرداء كأنما لم ينبت في عامها خضرا، فكادت تستأصل جلَّ الأقوات وتلحق الأحياء من عدم الطَّعمة بالأموات»<sup>1</sup>.

- ومن جهة أخرى نجد الصِّناعة كانت تمثل وجهاً آخر للنشاط الاقتصادي في المملكة، وذلك راجع إلى هجرة الحرفيين إليها<sup>2</sup>. بالإضافة إلى وفرة المواد الأولية مثل: المعادن، والأخشاب، والمنتجات الزراعية والحيوانية. من أهم الصِّناعات نذكر: صناعة الأسلحة، صناعة الحرير، صناعة الأقمشة والنسيج، صناعة الخزف، صناعة الورق، صناعة الرِّسم بالذهب التي برع فيها عدد كبير من الحرفيين<sup>3</sup>. أما الصناعات الغذائية فقد عرفت تنوعاً كبيراً لكثرة الثمار ووفرتها منها: صناعة السكر، وصناعة الزبيب، وصناعة الخمر على الرغم من تحريم الدين الإسلامي لها<sup>4</sup>.

- إن هذا الواقع الاقتصادي والتنوع في المنتجات الزراعية والصناعية، ساهم في نشاط الحركة التجارية على نطاق واسع، وساعدها على ذلك «موقعها الممتاز وكثرة ثغورها، وتوسطها بين أوروبا وإفريقيا، وانتظام صلاتها البحرية، مع سائر ثغور البحر المتوسط»<sup>5</sup>. لقد ازدهرت التجارة الداخلية وذلك لكثرة السكان فيها<sup>6</sup>. فتنوعت الأسواق بتنوع السلع التي تُعرض فيها.

1- جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى، ابن عاصم، تحقيق صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، سنة 1989، ج1، ص221.

2- ينظر: نفح الطيب، المقري، ج1، ص200.

3- دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع، عبد الله عنان، ص (447- 448).

4- ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الطوخي، ص (309- 311).

5- ينظر: دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع، عبد الله عنان، ص 448

6- ينظر: مقدمة ابن خلدون، ص362.

- كانت تستورد المملكة ما ينقصها من المنتجات المختلفة كالتوابل والقمح، وقطعان البقر والأغنام من إفريقيا، والعمود والأخشاب من الهند، والعاج من أواسط أفريقيا، وغيرها من المنتجات لتسد حاجياتها من هذه المواد<sup>1</sup>.

- بالنسبة للصناعات كان "الحرير" يحتل المراتب الأولى، فقد كان يُصدّر إلى بلدان أجنبية كثيرة<sup>2</sup>. وتليه السكر، بالإضافة إلى بعض المواد الغذائية الأخرى، خاصة الفواكه خشية فسادها لكثرة إنتاج المملكة لها، والعمود والحلي والرّخام، وغيرها من المنتجات. فقد وصلت السفن التجارية أحيانا إلى مصر والقسطنطينية وبلاد الشام<sup>3</sup>.  
مما سبق يتبين لنا قوة الاقتصاد النّصري، ونلاحظ أن الحركة التجارية كانت نشيطة إلى حد بعيد، إلا أن فترة الحروب، كانت تؤثر على هذه المبادلات التجارية بشكل كبير.

### رابعاً: العمران

يمثل فن العمارة الغرناطية رائعة من الروائع التي أنجزتها الأنامل العربية في هذا القطر، فبمجرد الحديث عنه يتبادر إلى الذهن، صور عديدة لروائع العمران، من القصور والمساجد والحصون المزخرفة على الطراز الإسلامي الأندلسي.

لقد تنوعت المنشآت المعمارية في المملكة، يُمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف كالآتي:

#### 1- العمارة الدينيّة:

تمثّلت في المساجد والمصليّات، والتي لم تكن دوراً للعبادة فقط، بل كانت تُعقد فيها الاجتماعات العامة والمجالس العلمية<sup>4</sup>. من أهمها: "مسجد غرناطة الجامع" الذي

1- ينظر: نفع الطيب، المقري، ج1، ص198.

2- ينظر: الروض المعطار، الحميري، ص24.

3- ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص123.

4- راجع: العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، بانسيليو بابون مالدونادو، ترجمة: علي إبراهيم،

مراجعة وتقديم: محمد حمزة حداد. المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2005،

القاهرة، مج1، ص83.

«كان من أبداع الجوامع وأحسنها منظراً»<sup>1</sup>. ومسجد أبي العاص، مسجد القيسارية، مسجد الفخارين، مسجد المنصورة، مسجد المرابطين، مسجد التائبين.<sup>2</sup>

من المميّزات التي انفردت بها المساجد تجميلُ صُحونها بالفاكهة، واستخدام الرخام في الأعمدة. وكثرة الزخارف والنقوش التي تحمل آيات كريمة وشعارات منها: "أقبل على صلاتك ولا تكن من الغافلين". وهذا يدل على مدى جمالها، واتقان صنعها، حتى قيل إنها كانت تُلهي المصلين عن أداء الصلاة.<sup>3</sup>

### 2- العمارة المدنية:

#### أ- المنازل:

كانت بوجه عام صغيرة الحجم، بيضاء اللون، ومتلاصقة لدرجة أنه يُمكن التّنقل من سطح إلى آخر. يبدو الحائط الخارجي خالياً من النوافذ المطلّة على الشوارع، كما نجد بعض المنازل يتخلّل جدرانها نوافذ صغيرة ومُشبّكة تعرف باسم "المشربيات". صُمّمت بهذا الشكل لتخدم غرض الحجاب.<sup>4</sup>

#### ب- الحمامات:

لقد اهتمّ السّاكنة بالنّظافة، لذلك اشتملت المملكة على حمامات كثيرة، وهي على صنفين: حماماتٌ للملوك والأعيان، وحماماتٌ للعامة من النّاس. كانت الحمامات السلطانية رُخامية مزيّنة بالنقوش<sup>5</sup>. أما حمامات العامة كانت بسيطة تتواجد في الأحياء الشعبية، ارتادتها النساء بكثرة. إذ لم تكن مكان للاغتسال فقط. بل كانت مركز تجمع النسوة يعقدن فيه اللقاءات ويتبادلن أطراف الحديث<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، بن فضل الله العامري، مج 2، ص 41.

<sup>2</sup> - ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج 1، ص 391.

<sup>3</sup> - ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، ص 242.

<sup>4</sup> - راجع: أفاق غرناطة: بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، د عبد الحكيم الذنون، ص 104.

<sup>5</sup> - ينظر: المدن والآثار الإسلامية في العالم. أحمد أرشد الخالد. دار المعتر للنشر. ط 1. 2010. ص 39.

<sup>6</sup> - ينظر: العمارة الإسلامية - عمارة المياه، بابيليون مالدونادو. ترجمة علي ابراهيم علي منوفي. مراجعة وتقديم، محمد حمزة اسماعيل الحداد. مكتبة زهراء الشرق. القاهرة. ط 1. 2007. ص (332 - 337).

### ج- البيمارستانات:

اشتملت المملكة على عددٍ من المستشفيات، والتي حملت تسمية "بيمارستان" على غرار نظيرتها في المشرق، بُنيت على الطراز الإسلامي، كانت تتألف من جناحين، واحد للرجال وآخر للنساء. كما خصّصت مستشفيات للأمراض العقلية<sup>1</sup>. وهذا كان من مفاخر المملكة. ويدل على مدى تطوّر الطبّ في ذلك العصر.

### د- المقابر:

يُطلق عليها اسم "الرّوضة" أو "الجبّانة"، كانت تتواجد خارج أسوار المدينة، نذكر منها: روضة الفقيه سهل بن مالك، روضة نُميل، مقبرة الغرباء، مقبرة العسال، جبّانة باب الفخارين، مقابر القصبة القديمة.

### هـ- القصور:

اشتهرت المملكة بمجموعة من القصور الفارهة أهمها:

### \*قصر الحمراء:

يعدُّ من أبدع الآثار الإسلامية الأندلسية، يُشرف من الشّمال والغرب على المدينة وعلى فحص غرناطة، ويُشرف من الشرق والجنوب على جبل سيرا نيفادا. تنقسم أبنية قصر الحمراء إلى جانبين كبيرين رئيسيين:  
- الجناح الأوّل هو جناح قصر قمارش ويضم ساحة "فناء الريحان"<sup>2</sup>، يفضي هذا الفناء إلى أفخم أبهاء الحمراء وهو "بهو قمارش"<sup>3</sup>. شرق "فناء البركة" تقع "قاعة الأختين".

<sup>1</sup> - ينظر: الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلى الجيوسي، ج1، ص175.

<sup>2</sup> - فناء الريحان: هو فناء كبير مستطيل الشكل مكشوف، تتوسطه بركة ماء تظللها أشجار الريحان، ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، ص294.

<sup>3</sup> - بهو قمارش: هو عبارة عن بهو مستطيل، طوله18م وعرضه11م، تعلوه قبة خشبية، حفرت عليها مجموعة من النقوش والزخارف الرائعة ويعرف أيضا باسم "المشور". ينظر: المصدر نفسه، صفحة نفسها.

- الجناح الثاني: نجد "بهو الأسود"<sup>1</sup> وفي منتصف الناحية الجنوبية يوجد مدخل "قاعة بني سراج"<sup>2</sup> ومن الناحية الشرقية للهو يوجد مدخل "قاعة الملوك"<sup>3</sup>، وفي شمال فناء الأسود تقع "منظرة للندراخا"<sup>4</sup>. تلك هي محتويات قصر الحمراء بإيجاز، لا يتسع المقام لذكرها بالتفصيل.

### \*قصر جنة العريف:

يقع في الشمال الشرقي للحمراء، وهو مكوّن من مجموعة حدائق ملحقة بالقصر كان مَصيْفاً ومُنْتزَهاً للسلّاطين، يُؤمُّونه للاستجمام والاستمتاع بجمال موقعه، وروعة المناظر الطبيعية المحيطة به: لقد عدّه "عبد الحكيم ذنون آيةً من آياتِ فنِّ الحدائقِ عند العرب: «حيث ترى أشجار الصنوبر والريحان والأزهار والورود من كل صنفٍ ولونٍ»<sup>5</sup>. كما أقام السلّاطين قصوراً أخرى ك: "قصر شنيل"<sup>6</sup>، و"قصر دار الحرة" وغيرها من القصور التي لا زال أثرها باقياً حتى اليوم.

<sup>1</sup> - بهو الأسود: هو فناء مستطيل مكشوف، طوله 35م وعرضه 20م تحيط به من الجوانب الأربع أروقة ذات عقود، في وسط الفناء، نافورة الأسود الشهيرة، وهي نافورة ماء حولها 12 أسداً على شكل دائرة. ينظر: المصدر السابق ص 296.

<sup>2</sup> - قاعة بني سراج: وهي قاعة مستطيلة الشكل، بها بقع داكنة ثابتة، تزعم الأسطورة أنها آثار دماء أسرة بني سراج، غطيت أرضها بالرخام المرمرى وزُيّنت بنقوش وزخارف رائعة. ينظر: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال - دراسة تاريخية أثرية، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1417هـ / 1997م، ص 210.

<sup>3</sup> - قاعة الملوك: قاعة بها صورة لعشرة فرسان مسلمين، يجلسون على وسائل، يُقال إنها صورة لملوك غرناطة الذين سبقوا أبي عبد الله في تولي العرش. ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، عبد الله عنان، ص 297.

<sup>4</sup> -منظرة للندراخا: هي قاعة عبارة عن فناء صغير، يفضي إلى رواق ذو نافذتين تطل على فناء يحمل نفس الاسم، به نافورة ماء وبعض الأشجار. ينظر: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال - دراسة تاريخية أثرية، محمد عبد الله عنان، ص 211.

<sup>5</sup> - آفاق غرناطة، بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، عبد الحكيم الذنون، ص 125.

<sup>6</sup> - قصر شنيل: يقع على الضفة اليسرى لنهر الشنيل، يرجع تأسيسه إلى سنة 615 هـ، تم ترميمه في عصر بني الأحمر، واستخدم كقصر للضيافة. ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، ص (63، 64).

- ومن المنشآت المدنيّة المهمة في المملكة نذكر «المدرسة اليوسفيّة» أو "المدرسة النّصريّة" كما يسمّيها البعض<sup>1</sup>، وغيرها من المدارس والكتاتيب التي خُصّصت لتحفيظ القرآن الكريم. وتعليم اللغة العربية.

### 3- العمارة العسكرية:

لقد حرص السّلاطين على تأمين المملكة بالحصون والأسوار التي كانت تحمّل وظيفة دفاعية، وحفر الخنادق حول بعض المدن<sup>2</sup>، واهتمّوا بإقامة الأبراج على ارتفاع كبير، وشيّدوا سلسلة أبراج متفرقة نُصبت لحماية المزارعين في المروج<sup>3</sup>.

- ما يلفت الانتباه عند دراسة العمارة هو "خاصية الجوانية" ونقصد بها زخرفة الجانب الداخلي واعتماد البساطة من الخارج<sup>4</sup>. وهذه القيمة الحضارية تدلّ على تواضع غرناطيين وبعدهم عن التفاخر.

لقد تنوعت المواد المستعملة في علمية الزخرفة نذكر منها: الحجارة، الجص، الخزف، الخشب، النحاس، الذهب، الحديد، العاج، الرخام<sup>5</sup>. كما أن الألوان كانت مستخلصة من الطبيعة، وهذا ما جعلها تصمد وتبقى على صفتها الأولى.

من الأشكال الزخرفية نذكر: «المقرصنات»<sup>6</sup>، و"التّوريق"<sup>7</sup>. و"الفسيفساء"<sup>8</sup>. ومن أبرز التقنيات ما يعرف بـ «النّقش»<sup>9</sup> و"الرّقم"<sup>10</sup>. اللذان ارتبطا بالخط العربي، وهذا

<sup>1</sup> - الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال - دراسة تاريخية أثرية، محمد عبد الله عنان، ص 179.

<sup>2</sup> - ينظر: نوح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المقري، ج 1، ص 219.

<sup>3</sup> - ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحان، ص 73.

<sup>4</sup> - ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>5</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 153.

<sup>6</sup> - المقرصنات: تقوم أساسا على الجص وزخرفته في قوالب تتنوع أشكالها وأحجامها. ينظر: المرجع نفسه، ص 160.

<sup>7</sup> - التوريق: سُمّي بهذا الاسم لأن هذه التقنية تعتمد على الأوراق المرصوفة والأزهار في اللوحات الزخرفية.

<sup>8</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 162.

<sup>9</sup> - النّقش: يكون على مادة صلبة كالخشب، الجص، الحديد، الفخار... الخ.

<sup>10</sup> - الرّقم: وهو بمثابة الطّرز يكون في الأقمشة والأثواب والجلود.

التزاوج بينهما منحها قيمة فنيّة رائعة، كان الخط الغالب على تلك الكتابات هو الخط الكوفي مع اعتماد خط النسخ في بعض الأحيان. فقد نُقشت ورُقمت مجموعة من الآيات القرآنية والأبيات الشعرية، دون أن ننسى شعار الدولة بني الأحمر " لا غالب إلا الله" الذي لا يخلوا أي ركن من أركان المملكة منه.

### خامساً: الجوانب الفكرية والثقافية

ولا يمكن للباحث في تاريخ المملكة وحضارتها، إغفال ما كان يبيده السلاطين من اهتمام وعناية بالعلم والعلماء، على رأسهم مؤسسها - محمد بن يوسف بن نصر- وابنه الذي لُقّب بـ "الفقيه"، لحرصه على رعاية العلماء. وكذلك السلطان محمد الثالث، هذا بشهادة ابن الخطيب الذي قال: «كان أعظم أهل بيته صيتاً وهمّة، يقرض الشعر ويؤثب عليه ويُجيزُ العلماءَ ويعرفُ مقدار العلم والعلماء»<sup>1</sup>. والأمر نفسه يقال على بقيّة السلاطين، الذين حرصوا على تنشيط الحركة الثقافية والفكرية من خلال المشاركة فيها، والاهتمام بالعلماء وإكرامهم، يقول عبد الله عنان: « كان ملوك غرناطة من حُماة العلوم والآداب، وكان البلاط يسطعُ بتقاليده الأدبية الزّاهرة، وكان أمراء بني الأحمر أنفسهم في طليعة العلماء والأدباء»<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص 60.

<sup>2</sup> - دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع، عبد الله عنان، ص 460.

### 1 - المؤسسات التعليمية:

لم تعرف المملكة نظام المدارس، بل كان التعليم يُمارسُ في المساجد<sup>1</sup>. فقد لعب المسجد دورًا رياديًا في الحياة ثقافية والفكرية كونه أوّل مؤسسة تعليمية، فضلاً عن مهمّته الدّينية، كان يُؤدي دورَ المعهد أو الجامعة من خلال تقديم الدُّروس، وعقدِ حلقاتِ العلم وتنظيمِ المناظرات<sup>2</sup>.

كما كانت "الزّوايا" هي الأخرى من المؤسسات التّعليمية البارزة، التي اهتمت بتدريس مختلف العلوم الدّينية، بالإضافة إلى تدريس اللُّغة العربية وقواعدها<sup>3</sup>. أما "الكتاتيب" فكانت تخصّص لتدريس الصّبيان، يتم فيها تحفيظ القرآن والتجويد، وتعليمهم القراءة والكتابة بالطريقة التقليدية وهي اللّوح ودواة الحبر.

ومن طرق التعليم أيضاً ما يُعرف بـ «الدُّروس الخاصة»، فقد كان الطُّلاب يتلقّون العلم في المساجد أو في بيوت الأساتذة مقابل دفع مبلغ مالية<sup>4</sup>. كانت هذه الطريقة تستخدم في تعليم أبناء السلاطين والوزراء وعلية القوم غالباً.

خلال فترة حكم بني الأحمر، تم بناء أول مدرسة بمعناها التقليدي، وهي "المدرسة اليوسُفية"، نسبة لمؤسسها أبو الحجاج يوسف الأول في سنة 750 هـ، واشتهرت أيضاً باسم "المدرسة النّصيرية"، و"مدرسة غرناطة" وبدأت كمركزٍ للعلوم الدّينية، وفيما بعد أصبحت تهتمُّ بمختلف فروع العلوم. وتذكّر كتب التاريخ أن هذه المدرسة نالت شهرة واسعة في تلك الفترة، واستقطبت الكثير من طلبة العلم من الأندلس وخارجها.

<sup>1</sup> - ينظر: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المقري، ج1، ص 205

<sup>2</sup> - ينظر: الأندلس في عهد بني الأحمر- دراسة تاريخية وثقافية (897-635هـ/1238-1492م)، بوحسون عبد القادر، إشراف عبدلي لخضر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، سنة 2012/2013، ص 122 بتصريف.

<sup>3</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، ص344.

<sup>4</sup> - ينظر: نفع الطيب، المقري ج 1 ص164.

### 2: أصناف العلوم ومشاهير العلماء.

كانت هذه المملكة مركز إشعاع ثقافي، ومَقْصِدًا للعلماء من مختلف الدول الإسلامية، الذين اهتموا بجميع أصناف العلوم، فتجدُ العالم منهم له مُصنَّفات في مختلف الميادين: في الفقه والطب والأدب والجغرافيا... وغيرها.

يمكن تصنيف هذه العلوم على النحو الآتي:

#### أ- العلوم الدينية:

- علوم القرآن الكريم: والتي من فروعها علم القراءات الذي يتطلب معرفة كل القراءات المشهورة، أُلِّفَ فيه العديد من المُصنَّفات أبرزها كتاب محمد الشرسبي المسَمَّى "مورد الظمآن في فن الرسم والضبط باعتبار قراءة الإمام نافع".
- علم التفسير: برز فيه العديد من العلماء منهم: الشيخ القرطبي (ت671هـ) صاحب كتاب "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السُّنة وآي القرآن" والمعروف بتفسير القرطبي، أبو حيان الغرناطي (ت745هـ) من مصنِّفاته: "البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم" و"إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب"<sup>1</sup>.
- علم الحديث: الذي يعد المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، برع فيه العديد من العلماء والمشايخ منهم: محمد بن جزي الكلبي (ت741هـ) صاحب كتاب "الأنوار السننية في الألفاظ السننية من الأحاديث النبوية، وأبو جعفر الثقفي (ت780هـ)، ومحمد بن يوسف المسدي الغرناطي صاحب كتاب "المسند الغريب" الذي جمع فيه مذاهب علماء الحديث"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، ص353.

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص352.

- علم الفقه: كان لهذا العلم مكانة عظيمة لدى أهل المملكة، حتى أن ثاني سلاطينها حمل هذا اللقب كما رأينا سابقا. وُضعت فيه عدة مصنفات نذكر منها: كتاب "الحلل المرقومة في اللحم المنظومة" لابن الخطيب، وكتاب "أشرف المسالك إلى مذهب مالك" للقلصادي (ت791هـ)، وكتاب "القواعد الفقهية في تلخيص مذهب المالكية"، و"تقريب الوصول إلى علم الأصول" لأبي القاسم بن جزى الكلبي. وكتاب "أصول الفقه" لإبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي. "ت790هـ".<sup>1</sup>

- علم التصوف: لقد كثر في ذلك العصر الصالحون وأهل التصوف، وهذا ما أدى إلى نشاط هذا العلم، نذكر منهم: أبو عبد الله الشاطبي (ت672) الملقب بشيخ الصالحين من مصنفاته "كتاب الحرفة في لباس الخرقة" و"النبذ الجليلة في ألفاظ اصطلاح عليها الصوفية"، وابن سبعين (ت669) الملقب بقطب الدين، له العديد من المؤلفات منها "كتاب بدأ المعارف" و"كتاب السفر"، وابن الحاج البلفيقي (ت771) صاحب كتاب «الإفصاح فيمن عرف بالأندلس بالصلاح»، ولسان الدين بن الخطيب الذي ذاع صيته في هذا العلم له مصنفات عدة منها "روضة التعريف بالحب الشريف" و"استنزال اللطف الموجود في سر الوجود"<sup>2</sup> وما هؤلاء إلا عينة من المتصوفة الذين عاشوا في فترة بني الأحمر.

مما سبق يتبين لنا أن ساكنة المملكة قد اهتموا بالعلوم الدينية، وهذا يدل على تمسُّكهم بتعاليم الدين الإسلامي رغم ويلات الحروب والفتن والصراعات، بل لعل هذه الحروب المتكررة دفعتهم إلى اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى .

1 - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، ص (347-348).

2 - ينظر: المرجع نفسه، ص (349-352).

ب- علوم اللغة والأدب:

عَرفت الحياة الأدبية ازدهارا كبيرا، فقد توسَّعت دائرة الاهتمام بها حتى وصلت إلى السَّلاطين، قال عبد الله عنان: «إن الحركة الفكرية في ذلك العصر، تكاد تنحصر في النواحي الأدبية، فقد ازدهر الأدب والشعر، وحفلت غرناطة بجمهرة من أكابر الأدباء والشعراء»<sup>1</sup>.

- الشعر: برع الغرناطيون في قرضِ الشُّعر بشكل كبير، ومن يتصفح كُتب التَّراجم، لا يجدُ شاعرا متخصصا انقطع للشُّعر دون سواه من الفنون المختلفة، وهذا ما أكده الطوخي في قوله: «فهؤلاء الأدباء لم يتَّخذوا قول الشُّعر حرفة ومهنة، بل يرون الشُّعر من المَلح التي يجب أن يتحلَّى بها كل أديب، سواء كانت له موهبة الشُّعر أو لم تكن إنما يتكلَّفها تكلُّفاً»<sup>2</sup>. وهذا يعني أن الشعر كان يعد من مكملات ثقافة ذلك العصر.

من أشهر أعلام الشُّعر في ذلك العصر نذكر: ابن الخطيب، وابن الحكيم الرندي، وابن الجياب، والشريف العقيلي، ابن خاتمة الأنصاري، ابن فركون وغيرهم كثير. ومن الفنون الشُّعرية التي برعوا فيها، فن الموشحات فقد أحب الغرناطيون هذا اللون الشعري وتعلقوا به، ومن أئمة الوشاحين ابن الخطيب وله كتاب "جيش التوشيح"<sup>3</sup>. وكذلك تلميذه ابن زمرك، وابن حيان الغرناطي وغيرهم كثير. بالإضافة لفن الرِّجل الذي كان يكتب باللهجة العامية، كانوا ينظمونه على شكل أغنية مستخدمين أوزان الشعر القديم،

- النثر: كانت الفنون النثرية كسابقتهما من حيث الجودة والتنوع، فقد تعدت أشكالها من مقامة وخطابة ورسائل على اختلاف أغراضها: سياسية، دينية، إخوانية، ديوانية.

<sup>1</sup> - مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الطوخي، ص 461.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 350.

<sup>3</sup> - ينظر: جيش التوشيح، ابن الخطيب. تقيق هلا ناجي ومحمد ماضور، مطبعة المنار، تونس، 1967، ص

برع فيها العديد من الأعلام منهم: ابن الخطيب الذي وضع مقامة "خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف"، وصف فيها رحلة قام بها السلطان أبو الحجاج يوسف لتفقد المملكة<sup>1</sup>. ومقامة "مفاخرة مالقة وسلى" والتي جعلها حول المفاضلة بين المغرب والأندلس من خلال هاتين المدينتين، أبدى فيها تعصبه وحبه للوطن.<sup>2</sup> ومقامة "معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"<sup>3</sup>، كما وضع "أبو الحسن النباهي" مقامة "النخيلة"، وهي عبارة عن مجادلة بين نخلة وكرمة<sup>4</sup> وغيرها من المقامات رائعة.

وكانت الخطب تستخدم غالبا كوسيلة للحث على الجهاد، وشحذ الهمم لمواصلة الكفاح<sup>5</sup>. من خلال التذكير بفضل الجهاد وما أعدّه الله سبحانه وتعالى للمجاهدين. أما الرسائل فقد كان نصيها أكثر من غيرها من الفنون النثرية الأخرى، فقد نوعت أغراضها وتعددت أشكالها وشملت جميع الرسائل المعروفة من ديوانية ودينية وإخوانية وسياسية<sup>6</sup>.

- علم اللغة: عرفت المملكة كوكبة من اللغويين الذين ذاع صيتهم في علوم النحو والصرف، فعلى حد قول المقرئ: «كان النحو عندهم في نهاية من علو الطبقة، حتى أنهم في هذا العصر كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه»<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - للاطلاع على المقامة راجع: ربحانة الكتاب ونفحة المنتاب، ابن الخطيب. تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1981، ط1، ج 2، ص 248.

<sup>2</sup> - ينظر: النثر الفني عند لسان الدين ابن الخطيب، عبد الحليم حسين الهروط، دار الجيل للنشر والتوزيع، عمان، 1426 هـ، ط 1، ص 94.

<sup>3</sup> - راجع: ربحانة الكتاب وتحفة المنتاب، ابن الخطيب، ج 2. ص (270-278).

<sup>4</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، الطوخي، 360.

<sup>5</sup> - ينظر: النثر الفني عند لسان الدين ابن الخطيب، عبد الحليم حسين الهروط. ص 107.

<sup>6</sup> - ينظر: المرجع نفسه، ص 124.

<sup>7</sup> - نفح الطيب، المقرئ، ج1، ص 181.

ومن أقطاب اللغة نذكر: أبا جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الحافظ النحوي (ت708هـ) صاحب كتاب "صلة الصلة"، وأبو حيان الغرناطي (ت645هـ)، الذي له مؤلفات فاقت الخمسين منها: "منهج المسالك في الكلام على ألفية ابن مالك" و"نهاية الأعراب في علم التصريف والإعراب"، وكتاب "تحفة الندس في نحاة الأندلس"، وأبو بكر محمد بن أدريس الفراني القضاعي (ت707) الذي ذاع صيته في علم العروض، من مؤلفاته "الختم المفوض عن خلاصة علم العروض"<sup>1</sup>.

### ج- العلوم الاجتماعية:

-علم التاريخ: كان للأحداث التي مرت بها المملكة من قيامها حتى السقوط، الأثر الكبير في تطوُّر علم التاريخ. ويعد ابن الخطيب أبرز الشخصيات في هذا العلم، ترك لنا عدة مصنّفات منها: كتاب "رقم الحلل في نظم الدول"، وكتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" الذي يُعد موسوعة لتاريخ غرناطة، وكتاب "اللمحة البدرية في الدولة النصرية"<sup>2</sup>.  
ومن المؤرخين نذكر أيضا المقري صاحب كتاب "نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، وأبو الحسن النباهي صاحب كتاب "تاريخ القضاة بالأندلس"<sup>3</sup>، وكذلك الأمير "أبو إسماعيل بن الأحمر (ت810هـ) من مصنّفات "حديقة النسرين في أخبار بني عبد الواد وبني مرين"، خلّف لنا ابن عصام كتاب "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى"<sup>4</sup>.

-علم الجغرافيا: لقد أعتاد الغرناطيون على تدوين انطباعاتهم وأخبار المدن والأماكن التي زاروها، دَوَّنوها على شكل رحلات، من هؤلاء نذكر "ابن الخطيب" الذي ترك لنا عدة

<sup>1</sup>- ينظر: غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، ص143.

<sup>2</sup>- ينظر: نفع الطيب، المقري، ج7، ص304.

<sup>3</sup>- ينظر: تاريخ قضاة الأندلس المسى المرقبة العليا فيمن استحق القضاء والفتيا، النباهي أبو الحسن.

تحقيق لجنة التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت. ط 5. سنة 1403هـ / 1973م.

<sup>4</sup>- ينظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، ج5، ص82.

مصنفات منها: "نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" و"خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف" و"معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار"<sup>1</sup> ورحلة خالد البلوي الموسومة ب"تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"<sup>2</sup>، ورحلة القلصادي المسماة" تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب"<sup>3</sup> التي تعد من أبرز الرحلات الحجازية الأندلسية في عصر بني الأحمر، لأنها كانت مزيجا بين العبادة وطلب العلم.

### د - العلوم العقلية:

شهدت العلوم العقلية تقدماً كبيراً، ولكنها لم تكن بنفس الكم مقارنة بالعلوم الأدبية والدينية. ونقصد بها علم الرياضيات، الكيمياء، الفلسفة، الطب وغيرها من العلوم المجردة.

- الرياضيات: من أشهر العلماء الذين برعوا في ذلك نذكر: أحمد بن محمد التجيبي صاحب كتاب "مشاركة في العدد والتكسير"، وابن الحاج المهندس (ت714هـ) الذي كان ضليعا في الهندسة، وأبو الحسن علي بن محمد القرشي البسطي (ت891هـ) من مؤلفاته "كشف الجلباب عن علم الحساب"، "قانون الحساب"، و"رسالة في الجبر"<sup>4</sup>.

- الطب والصيدلة: نبغ فيه العديد من الأعلام نذكر منهم" ابن الخطيب" من مؤلفاته الطبية: «عمل من طب لمن حب»، "الرجز في عمل الترياق"، "رسالة تكوين الجنين"، "مقنعة السائل في المرض الهائل"<sup>5</sup>، و"أبو عبد الله اللخمي الشقوري" الذي كان طبيبا خاصا للسلطان محمد الخامس من مصنفاته: "مجريات حول أمراض

<sup>1</sup> - ينظر: لسان الدين ابن الخطيب . حياته وتراثه الفكري . عبد الله عنان، مكتبة الخانجي . القاهرة، سنة 1388هـ / 1968م، ص ( 85 . 96 )

<sup>2</sup> - ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بن الأحمر، الطوخي، ص367.

<sup>3</sup>-راجع: رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجدان، الشركة التونسية للتوزي، د ط، سنة 1978، تونس.

<sup>4</sup>- ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بن الأحمر، الطوخي، ص374.

<sup>5</sup>- ينظر: دولة الإسلام في الأندلس-العصر الرابع، عبد الله عنان، ص480.

الرجال من الرأس إلى القدم"، وكتاب "تحفة المتوسل وراحة المتأمل"<sup>1</sup>، "محمد بن فرج القربلياني" (ت761هـ) الذي لقب باسم "الشِّفرة" له كتاب "لاستقصا والابرام في علم الجراحات والاورام"<sup>2</sup>.

- الكيمياء: تمكّن العلماء في دراسة هذا العلم، ولعل أكبر دليل على هذا ذلك «مَعرفتهم لمُدفع البارود وتمكُّنهم من معرفة بعض العمليات الكيميائية مثل: التصعيد والتخمير والتكليس والتحليل»<sup>3</sup>.

- علم الفلك: أُلِّفت فيه عدة مصنِّفات منها كتاب "ترحل الشمس ومعرفة الأوقات" لأبي بكر بن عبد الملك القضاة (ت707هـ)، وكتاب "منظوم في علم النجوم ورسالة في الإسطرلاب" لأبي يحيى بن رضوان الوادي أشي (ت757هـ)<sup>4</sup>. كما ارتبط هذا العلم بـ "التنجيم"، حدثنا ابن الخطيب عن الفلكي "أبو جعفر احمد الأنصاري" (ت763) الذي تنبأ للسلطان "أبي سعيد البرميخو" بعودته للعرش وتحقق نبوءته<sup>5</sup>. وترك لنا "ابن الحكيم اللخمي" مصنفاً أسماه "بشارة القلوب بما تخبر به الرؤيا من العيون"<sup>6</sup>.

- الفلسفة: كان هذا العلم من الدراسات غير المرغوب فيها في ذلك العصر، أگد على هذا المقري حين قال: «وكل العلوم عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم فإنه كَلِّمًا قيل إن فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم، أطلقت عليه العامة اسم زنديق»<sup>7</sup>. لذلك نجد عدد الفلاسفة قليل مقارنة بالعلوم الأخرى. نذكر منهم "عبد

<sup>1</sup> ينظر: غرناطة في ظل بن الأحمر، يوسف شكري فرحان، ص 137.

<sup>2</sup> ينظر: مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بن الأحمر، الطوخي، ص (376-379).

<sup>3</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 8، ص 305.

<sup>4</sup> - ينظر: المصدر السابق، ص 374.

<sup>5</sup> - ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج 1، ص 212.

<sup>6</sup> - ينظر: المصدر نفسه، مج 1، ص 202.

<sup>7</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 1، ص 181.

الحق بن سبعين" (ت669هـ)<sup>1</sup>، و"أبو بكر محمد بن عبد الله بن منظور القيسي" (ت750هـ) صاحب كتاب "السحيم الواقفة والظلال الوارفة في الرد على ما تضمنه المظنون من اعتقادات الفلاسفة"<sup>2</sup>، و"ابن الخطيب «الذي برع في عرض القضايا الفلسفية ومعالجتها.

من خلال هذه الجولة في مختلف جوانب الحياة في مملكة بني الأحمر يتبين لنا أنها على الرغم من الاضطراب والظروف غير المستقرة، إلا أنها عرفت تقدماً وازدهاراً في مختلف المجالات: السياسية، الحربية، الاجتماعية، الاقتصادية والعمرانية، كما شهدت نهضة ثقافية وفكرية فقد تنوعت فيها العلوم والمعارف.

---

<sup>1</sup> - ينظر: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، أيار/مايو 2002، ط5، ج4، ص51.

<sup>2</sup> - ينظر: تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن النباهي، ص154.

## الفصل الثاني: ملامح الحركة الشعرية في عصر بني الأحمر أولاً: عوامل ازدهار الحركة الشعرية

1- العوامل الداخلية

2- العوامل الخارجية

ثانياً: تراجم شعراء بني الأحمر

1- شعراء مرحلة تأسيس المملكة

2- شعراء مرحلة الازدهار

3- شعراء مرحلة السقوط

ثالثاً: الفنون الشعرية

1- الموشحات

2- الازجال

عرفت الحركة الشعرية في عصر بني الأحمر أوجَ ازدهارها، وبرزت عدّة شخصيات في هذا الميدان، ذكّرتها المصادر التاريخية وبيّنت لنا جهودهم في مجال الشعر. سنناول في هذا الفصل العوامل التي ساهمت في ازدهار حركة الشعر ونشاطها.

### أولاً: عوامل ازدهار الحركة الشعرية

#### 1- العوامل الداخلية:

##### • تشجيع السلاطين:

كان السلاطين من حُماة العلوم والآداب، حتى أنّهم كانوا يدورهم شعراء. على رأسهم السلطان "محمد بن يوسف بن نصر وابنه الذي عُرفَ بـ "الفقيه"، والسلطان "محمد الثالث"، الذي قال فيه ابن الخطيب أنه «كان يقرضُ الشعر ويثيبُ عليه، ويُجيزُ العلماء ويعرفُ مقدار العلم والعلماء»<sup>1</sup>. والأمير "أبو إسماعيل بن السلطان يوسف" صاحب كتاب "نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان" الذي ترجم فيه لأعلام شعر في عصره<sup>2</sup>. و"السلطان يوسف الثالث" الذي نظم فيه مختلف الأغراض الشعرية. الأمر نفسه يقال على بقيّة السلاطين الذين حرصوا على تنشيط الحركة الشعرية من خلال المشاركة فيها، والاهتمام بالشعراء وإكرامهم. وهذا ما أكّده "عبد الله عنان" في قوله: «أن بلاط غرناطة كان يسطعُ بتقاليده الأدبية الزاهرة والمجالس الشعرية، وكان أمراء بني الأحمر أنفسهم في طليعة الأدباء»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - اللوحة البدرية، ابن الخطيب، ص 60.

<sup>2</sup> - نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان هو نفسه كتاب "أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن"

<sup>3</sup> - دولة الإسلام في الأندلس، عبد الله عنان، ص 460.

### • جمال المملكة:

اشتهرت المملكة بجمال طبيعتها الساكنة والمتحركة، وعمرائها وقصورها، هذا الجمال كان سبباً في تغذية مخيلة الشعراء.

### • تركيبة المجتمع الغرناطي:

كان المجتمع يضم عناصر سكانية مختلفة - العرب، البربر، المسلمون، النصارى، اليهود- داخل رقعة جغرافية واحدة، وهذا ما أدى إلى التمازج الثقافي فيما بينها، ومن الأمور التي ساعدت على ذلك أيضاً قضية الزواج بالإسبانيات.

### 2- العوامل الخارجية:

### • الهجرات المتلاحقة إلى المملكة:

لقد ساهمت الهجرة في دعم حركة الشعر ورقيها، فبعد سقوط المدن الأندلسية كـ "قرطبة" و"بلنسية" و"إشبيلية" وفد إلى غرناطة العديد من النازحين من بينهم الشعراء والعلماء، الذين احتّموا تحت جناحها واستقرّوا فيها. وهذا ما أدى إلى انشراح أغراض شعرية دون أخرى، فقد شاع غرض رثاء المدن، والاستنجاد والاستغاثة من أجل استرداد ما ضاع من الأندلس من مدن<sup>1</sup>. كما تجدر الإشارة أن السلاطين اتبعوا سياسة ذكيفة دفعت بالكثير من الشعراء إلى أن يهاجروا إليها، سعياً وراء المال والجاه.

### • التأثر بالثقافات الأخرى:

إن قضية التأثر والتأثير بين الشعوب أمر معروف منذ القدم، فقد أكدت لنا المصادر التاريخية على شدة الصلات الثقافية في تلك الفترة، أحصى لنا المقري ما يقارب ثلاث مئة

1- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ط3، سنة 1966م، ص 54.

من أهل العلم والأدب الذين ارتحلوا نحو المشرق منهم: "ابن رَمَّان الغرناطي"، "ابن الحكيم الرندي"، "أبو حيان النَّفزي" وغيرهم كثير<sup>1</sup>.

وذكر لنا بالمقابل الوافدين إلى الأندلس من أهل المشرق فقال: «وأعلمُ أن الدَّاخلين للأندلس من المشرق قوم كثيرون، منهم من اتَّخذها وطنًا وصيَّرها سكنًا، إلى أن وافتهُ منيَّتهُ، ومنهم من عادَ إلى المشرق»<sup>2</sup>. وهذا يبيِّن أن العلاقة بين الشرق والأندلس كانت علاقة تبادل ثقافي وحضاري.

كانت هذه أهم العوامل التي ساهمت في تنشيط الحركة الشعرية وازدهارها في عصر بني الأحمر.

### ثانياً: تراجع شعراء بني الأحمر

مرَّت المملكة بثلاث مراحل كان لها أثر واضح على الحركة الشعرية، فقد عرفت كل مرحلة انتشار أغراض دون أخرى. كانت هذه الحركة في مرحلة التأسيس تُعاني من الاضطراب والتشُّتُّت، ولمَّا عرفت المملكة نوعاً من الاستقرار في القرن الثامن ازدهرت وتنوَّعت مضامين الشعر، أما في مرحلة السُّقوط، فقد تراجعت لهجرة العديد من الأعلام، والوضع المُحزن حيث كانت المملكة تُحتضر .

### 1- شعراء مرحلة التأسيس :

لقد عانت الحركة الشعرية في أوائل القرن السابع الهجري من الكثير من الاضطراب جرَّاء الفوضى السياسية. على حدِّ قول عبد الله عنان «قد غادر الأندلس في تلك الفترة كثير من الكتاب والعلماء الذين تَوَقَّعوا سُوء المصير، وآثروا العمل في جَوٍّ أكثر استقراراً

<sup>1</sup>- ينظر: نفح الطيب، المقري، ج2، ص.183

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ج3، ص.288.

وطمأنينة<sup>1</sup>. فانتشرت المراثي المؤثرة. وكثرت الأشعار الحماسية، التي تُنادي بالعودة إلى الدين واسترجاع ما ضاع من الأندلس:

وفيما يلي تراجم لبعض هؤلاء الشعراء الذين قضوا معظم حياتهم في هذه الفترة:

- صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النفزي، يكنى بأبي البقاء وبأبي الطيب (و601هـ/ت684هـ): من أهل رندة، شارك في ميادين مختلفة. «كان بارع التصرف في منظوم الكلام ومنشوره، فقيماً حافظاً، فرضياً، متفنناً في معارف جليظة، وله مقامات بديعة في أغراض شتى»<sup>2</sup>. كان كثير الوفود إلى غرناطة، والتردد إليها. له عدة مؤلفات منها "تصنيف في الفرائض"، "مقامات بديعة"، "روضة الأنس ونزهة النفس"، "الوافي في نظم القوافي"<sup>3</sup>.
- أحمد ابن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الحسين بن علي بن سليمان بن عرفة اللخمي، يكنى أبا العباس (ت728هـ): كانت له مشاركات في الفقه والأدب، حدّثنا ابن الخطيب عن شعره قال: «شعره نَمَطٌ عالٍ، لطيف الّهبوب، جَمُّ المحاسن»<sup>4</sup>.
- أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشي يُكنى أبا جعفر ويُعرف بابن فركون (و649هـ/ت729هـ): من أهل غرناطة، وُلِّي القضاء برندة ثم وُلِّي قضاء الجماعة بغرناطة، ترجم له بن الخطيب فقال: «كان كثير المطالعة، مُشاركاً في فنون من

<sup>1</sup> - دولة الإسلام في الأندلس-العصر الرابع، عبد الله عنان، ص453.

<sup>2</sup> - بقية السفر الرابع من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، حققه عن نسخة الاسكوريال د. إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ج4، ص138.

<sup>3</sup> - الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج3، ص276.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، مج1، ص (138-142).

عربيّة، وفقه، وقراءة، وفرائض، طيّب النّعمة بالقرآن، حسن التلاوة، عظيم الوقار. كان له في الأدب مشاركة، وفي قريض النظم حصة مباركة<sup>1</sup>.

- عبد الله بن إبراهيم بن الزبير بن الحسن ابن الحسين الثقفي العاصمي يكنى أبا محمد (و643هـ/ت683هـ): من أهل غرناطة، كان طبيباً ماهراً، وكاتباً شاعراً، ذاكراً للغة، متقدماً في أقرانه نباهةً وفصاحةً، معدوم النّظير في الشّجاعة والإقدام، يحضّر الغزوات، فارساً وزاجلاً<sup>2</sup>.

- مالك بن عبد الرحمان بن الفرّج، يكنى أبا الحكم، ويعرف بابن المرحل (و607هـ/ت699هـ): ولد بمالقة، تلقى تعليمه لإشبيلية وسبته وفاس، تولى القضاء بغرناطة، كانت له مشاركة في ميدان الفقه، والفرائض، واللغة والأدب، كان مكثراً في النظم، له مصنفات كثيرة منها: الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى. العشرية النبوية. العشرية الزهدية. والأرجوزة المسماة "اللؤلؤ والمرجان"، أرجوزة في العروض، وأرجوزة المنحلّ لمالك ابن المرحل<sup>3</sup>.

- احمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثقفي، يكنى أبا جعفر (و627هـ/ت708هـ): كان ومن صدور العلماء والمقرئين، نسيح وحده، في حُسن التّعليم، والصّبر على التّسميع، والملازمة للتّدرّيس. انتهت إليه الرّئاسة في صناعة العربية، وتجويد القرآن، ورواية الحديث، والفقه، والتّفسير. من مؤلفاته كتاب «صلة الصلة» لابن

<sup>1</sup>- راجع: الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة، ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة للطبع والنشر، بيروت، سنة 1983م، ص102.

<sup>2</sup>- ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج3، ص (310-319).

<sup>3</sup>- ينظر: المصدر نفسه، مج3، ص(242-248)

بشكوال، وكتاب " ملاك التأويل في متشابه اللفظ في التنزيل " و " البرهان في ترتيب سُور القرآن " <sup>1</sup>.

• أحمد بن الحسن بن علي بن الزيَّات الكلاعي، يكنى أبا جعفر، يُعرف بالزيَّات (و649هـ /ت728هـ): الخطيب المتصوف الشَّهير، كان جَليلَ القدرِ، بارِعاً في مختلفِ العلوم: تجويد القرآن، الفقه، التفسير، التصوف، اللغة والأدب والعروض. من مصفاته: "المقام المخزون في الكلام الموزون"، "نظم السُّلوك في شيم الملوك"، "اللطائف الرُّوحانية والعوارف الرِّبَّانية"، "لذَّات السمع في القراءات السبع"، "قاعدة البيان في ضابطة اللسان، الأرجوزة المسماة" قُرَّة عين السائل وُبغية نفس الأمل" في اختصار السيرة النبوية <sup>2</sup>.

• محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي (ت686هـ): كان كاتباً بارِعاً، وشاعراً مُجيداً، له مشاركة في أصولِ الفقه، وُرد على غرناطة، واشتغل في الكتابة السلطانية مدة من الزمن <sup>3</sup>.

• محمد بن عبد الرحمان بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن محمد بن فتوح بن محمد بن أيوب بن محمد بن الحكيم اللخمي ذو الوزارتين، يكنى أبا عبد الله (و660هـ/ت708هـ): رندي النَّشأة، إشبيليُّ الأصل، قَدِم إلى غرناطة وتقلَّد الوزارة والكتابة. قال ابن الخطيب في حقه: «كان عالماً، كاتباً بليغاً، أديباً، شاعراً، حَسَن الخط، خطيباً، فصيح القلم» <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - ينظر: المصدر السابق، مج 1، ص (72-74).

<sup>2</sup> - ينظر: الكتيبة الكامنة، ابن الخطيب، ص 34.

<sup>3</sup> - ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، مج 2، ص (295-298).

<sup>4</sup> - ينظر: نفسه، مج 2، ص (310-332).

### 2- شعراء مرحلة الازدهار:

في هذه المرحلة عرفت الحركة الشعرية أوج ازدهارها، وبرز فيها العديد من الشعراء، وهذا ما أدى إلى غزارة الموروث الشعري في هذه الفترة مقارنة بالمراحل الأخرى، لأنها عرفت نوعاً من الإقرار الذي سمح للشعراء بالإبداع ومن هؤلاء نذكر:

- أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن الجيّاب الغرناطي (و673 /ت749 هـ): كان كاتباً للمملكة خلال ما يزيد على خمسين سنة، مُتبحراً في علوم شتى: كالأدب والتاريخ والقراءات والحساب، له قصائد عديدة نظمها في مختلف الأغراض<sup>1</sup>. قيل عنه أنه: « كان صدرًا من الصدور الجلّة، وعلم أعلام هذه الملة، وشيخ الكتابة وبانيها، لا تمرُّ مذاكرة في فن إلاّ وله فيه التبريز، إمام الأئمة، والمثل السائر في بُعد الصيت وعلو الهمة »<sup>2</sup>.
- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمان بن يوسف بن سعيد بن جُزي الكلبى، ويعرف بابن جُزي (و715هـ): من أهل غرناطة، كانت له مشاركات في فقهه، وعربية، وأدب، وشعر<sup>3</sup>. اشتغل خطيباً بمسجد السلطان، وُلّي القضاء ببرجة، ثم أندرش، ووادي آش. له في مدح "السلطان ابن الحجاج ابن نصر" شعر كثير<sup>4</sup>.
- أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن علي الأموي يكنى أبا جعفر ويُعرف بابن بُرطال (و689هـ /ت750 هـ) : تولى القضاء بغرناطة، والإمامة بالمسجد الأعظم

<sup>1</sup>- ينظر: جنة الرضى، ابن عاصم، ص 175.

<sup>2</sup>- ينظر: نفع الطيب، المقري، ج6، ص 260.

<sup>3</sup>- ينظر: الإحاطة، ابن الخطيب، مج1، ص52.

<sup>4</sup>- ينظر: المصدر السابق، ج8، ص61.

منها، والخطابة بجامع قلعتها الحمراء، كانت له مشاركة في الشعر نظم العديد من القصائد في مختلف الأغراض. تُوفي أيام الطاعون الذي حلَّ بغرناطة<sup>1</sup>.

- أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد ابن خاتمة الأنصاري، يكنى أبا جعفر ويُعرف بابن خاتمة (و700هـ/ت770هـ): أصله من ألمرية، كان بارعا في الأغراض ميدان الأدب أثنى عليه مُعاصروه، قال ابن الخطيب في حقه: « هذا الرَّجُلُ قَوِيَّ الإِدْرَاكِ، بَارِعُ الخَطِّ، وطَبَقَةُ في النظم والنثر»<sup>2</sup>. وقال عنه ابن الأحمر: « رَبُّ الفَصَاحَةِ والأدب، وفارس البَيان والبلاغة، وربُّ الكِتَابَةِ والبراعة، وشعراء الأندلس يقدمونه على أنفسهم»<sup>3</sup>. من مؤلفاته كتاب " مِيزَةُ ألمرية عن غيرها من البلاد الأندلسية" وله ديوان، ورسائل كثيرة<sup>4</sup>.

- الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبي العافية، يكنى أبا القاسم (ت745هـ): من أهل غرناطة، كان «صَدْرًا من صدور القضاة، مُضْطَلِعًا بمسائل الأحكام، نَسَخَ بيده الكثير، وقَيَّدَ على الكثير من المسائل، حتى عُرفَ فضلُهُ، واستشار به الناس، بارعاً في ميدان الأدب، مُكْتَرَأً في الشِّعْرِ»<sup>5</sup>.

- محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن شبرين يكنى أبا بكر (و674هـ/ت747هـ): من قضاة غرناطة، كان شعره غزيراً مُتَعَدِّدَ الأغراض، بَرِعَ في عدَّة علوم: الفقه، الكتابة، التأريخ، اللغة، الأدب<sup>6</sup>، وهذا ما أكده الخطيب في قوله: « كان فَرِيدَ عصره، نَسِيجَ وحده في

<sup>1</sup> - ينظر تاريخ قضاة الأندلس، النباهي، ص148.

<sup>2</sup> - الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج1، ص (110-125).

<sup>3</sup> - أعلام المغرب والأندلس وهو كتاب نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان، تأليف ابن الأحمر. حقيق رضوان الداية، ص177.

<sup>4</sup> - ينظر: الكتيبة الكامنة، ابن الخطيب ص239.

<sup>5</sup> - ينظر: الإحاطة، ابن الخطيب، مج1، ص281.

<sup>6</sup> - راجع: تاريخ قضاة الأندلس، النباهي، ص190.

الظُّرف، وبراعة الخط، عذب التلاوة لكتاب الله، عليَّ شأن الكتابة، أشدَّ الناسِ على الشُّعر، ثم على المُحافظة»<sup>1</sup>.

● سعد بن أحمد بن إبراهيم بن ليون التجيبي (و681هـ/ت750هـ): من أهل المرية، كان من علماء الأندلس، قال الحضرمي: «شَيْخنا الفقيه الماهر العالم لصالح الزاهد الفاضل، من أجَلِّ علماء الأندلس وأبرعهم تأليفاً، له تصانيف عدة في فنون نظماً ونثراً نحو ثلاثين تأليفاً، له قدرة على نظم العلوم ليس في بلده في زمانه أحد أكثر منه كتباً»<sup>2</sup>.

● محمد بن أحمد بن علي الهوَّاري، يعرف بابن جابرويكنى بأبي عبد الله (و698هـ/ت780هـ): وُلد بأمرية، عرفه ابن الخطيب فقال: «رَجُلٌ كَفِيفُ البَصْرِ، مدلُّ على الشُّعر، عَظِيم الكِفاية والمِنَّة على زَمانه، رَحَل إلى المشرق، وتَصافر برجل يُعرف بأبي جعفر الإيبيري، صارا رُوحين في جَسَد، فكانت وظيفه الكَفِيفِ النَّظْم، ووظيفةُ البَصِيرِ الكَتَب»<sup>3</sup>. له مؤلفات عديدة أولها "الحلّة السِّيرا في مدح خير الوَرى" والتي عُرفت "ببديعية العُميان"، وديوان "المقصد الصالح في مدح الملك الصَّالح"، ديوان "نفائس المنح وعرائس المدح"، "ديوان العقدين في مدح سيد الكونين"<sup>4</sup>.

● محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمان بن يوسف بن جزي الكلبي، يكنى أبا عبد الله (ت758هـ): من أهل

<sup>1</sup>- ينظر: المصدر السابق، مج2، ص (153-159).

<sup>2</sup>- راجع: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التَّنْبُكْتِي، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرَّامة، دار الكتاب، طرابلس، سنة2000م، ط2، ص 187.

<sup>3</sup>- ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج2، ص 216.

<sup>4</sup>- راجع: الحلّة السِّيرا في مدح خير الورى ابن جابر الأندلسي، تحقيق على أبو زيد، عالم الكتب دمشق، ط2، 1405هـ/1985م، ص11.

غرناطة، كان «من أشهر أعلام الإفتاء، والأدب، وإتقان الخط، وإيضاحاً للأحاجي والملغزات، وضليعاً في الشعر، إكثاراً واقتداراً، مُجيداً في الأمداح»<sup>1</sup>.

- محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى ابن عبد الرحمان بن يوسف بن جزي الكلبي، يكنى أبا القاسم (ت741هـ): من أهل غرناطة، كان من علماء في ذلك العصر، فقد شارك في الفقه، الأصول، القراءات، الحديث، التفسير، الأدب نثراً وشِعراً. من مؤلفاته "وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم"، "الأنوار السنية في الكلمات السنية"، "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية"، "تقريب الوصول إلى علم الأصول"<sup>2</sup>.

- محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحي، يعرف بابن زمرك ويكنى بأبي عبد الله (و733 هـ/ت793 هـ): تلميذ ابن الخطيب، وُلِدَ ونشأ بغرناطة، ترجم له أستاذه فقال: «هو صدرٌ من صدور طلبية الأندلس، وأفرد نجائبها، شره المذاكرة، شعله من شعل الذكاء، وأعمل الرحلة في طلب العلم، ترقى في درج المعرفة والأدب، وامتد في ميدان النثر والنظم باعه، واضطلع بكثيرٍ من الأغراض، وشارك في جملة من الفنون، شعره مترام إلى نمط الإجابة»<sup>3</sup>.

- محمد بن محمد النُمري الضير، يكنى أبا عبد الله (ت736): من أهل غرناطة، كان من حفظة القرآن الكريم، طيب النعمة به، واعضاً بليغاً، وحافظاً لخطب العرب وأشعارهم، أخذاً في الأدب، اختص بقراءة القرآن على قبور الأمراء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: الإحاطة، مج2، ص (163-164).

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه، مج3، ص (10-19).

<sup>3</sup>- ينظر: المصدر نفسه، مج2، ص (196-206).

<sup>4</sup>- ينظر: المصدر نفسه، مج3، ص (20-21).

- محمد بن علي بن محمد العبدي، يُعرف باليتيم، يكنى أبا عبد الله (ت 750هـ): هو من أهل مالقة، تحدث عنه ابن الخطب فقال: «مجموع أدوات حسان، من خطٍ ولسانٍ، يتحرّف بالتعليم والتكتيب، غزير الأدب، رقيق النظم والنثر»<sup>1</sup>.
- محمد بن علي بن عبد الله اللخمي، يُعرف بالشقوري (و727هـ): من علماء المملكة، كان من أهل التقوى، مُتكلِّماً في طريقة الصوفية، برز في ميدان الطب، واشتغل طبيباً بدارالإمارة بغرناطة، وكانت له مشاركة في الشعر. من مؤلفاته كتاب "تحفة المتوصل في صنعة الطب، و"الجهاد الأكبر"، "قمع اليهودي عن تعدي الحدود"<sup>2</sup>.
- محمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد البلوي، يكنى أبا بكر (ت738هـ): من أهل ألمرية، تولّى الوزارة ببلده، برز في ميدان الأدب، كانت له مشاركة في نظم الشعر الوسيط، له قصائد أبدع فيها وأتى بأقصى المبالغ الإجابة فيها<sup>3</sup>.
- عبد الله بن محمد الشراط، يكنى أبا محمد (كان حيا سنة 700هـ): من أهل مالقة، تحدث عنه ابن الخطيب فقال: «طالب جليل، ذكي، مدرك، شاعرٌ مُكثرٌ، لم يصلنا منه إلا القليل، يقوم على الأدب والعربية، وله تفدّم في الحساب، والبُرهان على مسائله، اشتغل بالكتابة السلطانية»<sup>4</sup>.
- عبد الحق بن محمد بن عطية بن يحيى بن عبد الله بن طلحة ابن محمد بن عبد الرحمان بن غالب بن عطية المحاربي (و709): وُلد بوادي آش، تولّى الخطابة والقضاء بها، ثم انتقل إلى غرناطة واشتغل في الكتابة السلطانية، كانت له

<sup>1</sup> - الكتيبة الكامنة، ابن الخطيب، ص 59.

<sup>2</sup> - ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج3، ص 136.

<sup>3</sup> - ينظر: المصدر نفسه، مج3، ص (166-169).

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، مج3، ص (333-334).

مشاركة في ميدان الشِّعر، وصفه ابن الخطيب فقال أنه: «قليل الوفاء، تشهد عليه بالجهل يده، تغمدنا الله وإياه بلطفه»<sup>1</sup>.

- علي بن محمد بن عبد الحق بن الصَّبَّاح العقبلي، يكنى أبا الحسن (و706هـ/ت758هـ): كان من أهل العلم والفضل، يشتمل على خلال من خط بارع وكتابة حسنة وشعر جيد، وله مشاركة في الفقه والأدب، ناب على بعض القضاة وارتسم في الكتابة السلطانية<sup>2</sup>. ووصف أيضا بـ: «اللِّسان العارف، والنَّاقِد لجواهر المعاني، والأديب الجيد»<sup>3</sup>.

- علي بن محمد بن سليمان بن علي بن سليمان ابن حسن الأنصاري، يعرف ابن الجيَّاب (و673هـ/ت749هـ): كان من رجال العلم، مشاركاً في كثير من العلوم، إماماً في الفرائض والحساب، عارفاً بالقراءات والحديث، متبحراً في الأدب والتاريخ، مشاركاً في التَّصوُّف، شعره كثيرٌ في مختلف الأغراض<sup>4</sup>.

- علي بن يحيى الفزاري، يُعرف بابن البربري (ت750): من أهل مالقة: كان حسن الخط، جيِّد الشِّعر، حسن السيرة، ومدح الملوك والكبراء<sup>5</sup>.

- سعيد بن محمد بن ابراهيم بن عاصم بن سعيد الغساني يكنى أبا عثمان (و699هـ): كان من أهل الدِّكَّاء والمعرفة والإدراك، مُشاركاً في فنون عدة من أصول، وفقه، وحساب، وأدب، ويَنظُم من الشِّعر ما يشهدُ بنبله ويُستظرفُ من مثله<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج3، ص (425-438).

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، مج4، ص (97-99).

<sup>3</sup> - نفع الطيب، المقري، ج6، ص258.

<sup>4</sup> - ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج4، ص (99-122).

<sup>5</sup> - ينظر: المصدر نفسه، مج4، ص164.

<sup>6</sup> - ينظر: المصدر نفسه، مج4، ص (273-275).

- محمد بن محمد البدوي الأندلسي (ت750هـ): كان خطيباً بمدينة بلش، عُرف بأنه حَسَنُ التلاوة، وذو تَقَدُّم في الفقه والأصول، شاعرٌ مُجيد فصيح، بليغ الخطبة، حسن الوعظ<sup>1</sup>.
- يوسف بن موسى بن سليمان بن فتح بن أحمد ابن أحمد الجذامي المنتشاقري، يكنى أبا الحجاج (كان حيا761هـ): من أهل رندة، تولى القضاء بها، وورد إلى غرناطة، قال ابن الخطيب إنه كان أديباً ذاكراً للأخبار، يكتبُ وينظُم في مختلف الأغراض". من مؤلفاته " تخصيص القرب وتحصيل الأرب"، النّفحات الرّندية واللّمحات الرّندية"، " توجُّع الرائي في تنوع المراثي"<sup>2</sup>.
- لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني الغرناطي يكنى بأبي عبد الله، من ألقابه لسان الدين. وذي الوزارتين (و713هـ/ت 776 هـ): ولد بمدينة "لوشة"، تولى الكتابة في ديوان الإنشاء، ليَشغَلَ فيما بعد منصب "الوزارة" في المملكة، كان من الشّخصيات البارزة في عصره، خصص له المقري ثلاث مجلدات كاملة في مصنفه "نفح الطيب" ومما قاله عنه: «فأرس النَّظْم والتَّثَرُّف في ذلك العصر، المنفرد بالسَّبق في تلك الميادين بأداة الحصر»<sup>3</sup>. بلغت مؤلفاته بحدود ستين مؤلفاً، تنوعت بين المؤلفات التّاريخية والجغرافية والتراجم والأدب والشعر والفلسفة والطب.

<sup>1</sup>- ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التَّنْبُكْتِي، ص 418.

<sup>2</sup>- ينظر: الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، مج4، ص (322-333).

<sup>3</sup>- نفح الطيب غصن الأندلس الرطيب، المقري، ج5، ص 7.

- أبو اسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد النميري، يعرف بابن الحاج (و713هـ/ت768هـ): شاعر عُرف بمدحه للسُّلطان الغني بالله، تولى كتابة الإنشاء بغرناطة، له عدة مؤلفات منها رحلته الموسومة "فَيْضُ الْعُبَابِ وإفاضة قِرَاح الآداب في الحركة السَّعيدة إلى قسنطينة والزَّاب"، وقع أسيراً أثناء توجهه إلى تلمسان بالبحر.<sup>1</sup>
- أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن البناء الواد آشي (ت751هـ): قيل في حقه: «فَاضِلٌ يَرُوقُكُ وَقَارُهُ، قَدِمَ مِنْ بَلَدِهِ يَرُومُ اللَّحَاقَ بِكُتَّابِ الْإِنْشَاءِ، وَتَوَسَّلَ بِنَظْمِ أَنْبِيَاءٍ، وَنَسَبِ الْإِجَادَةِ عَرِيقِ،»<sup>2</sup> توفي في سن الثلاثين بداء الطاعون .
- إبراهيم بن يحيى بن محمد بن أحمد بن زكريا بن عيسى بن زكريا الأنصاري المرسي (و687هـ/ت751هـ): كان فقيهاً ونحوياً، وكاتباً بارعاً، محباً للصالحين ومُهتماً بأخبارهم، حَسَنَ الْإِقَاءِ، وَوَلَّى الْقَضَاءَ بِغَرْنَاطَةَ.<sup>3</sup>
- أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان الفيحي المالقي (ت763هـ): كان مُتَفَنِّناً فِي الْمَعَارِفِ، فَقِيهاً جَلِيلاً، أَدِيباً شَاعِراً كَاتِباً بَلِيغاً، وَنَظْمًا وَنَثِراً، مُتَمَكِّناً فِي الْعَدِّ وَالْفَرَائِضِ، جَيِّدَ الْخَطِّ فَصِيحَ اللَّسَانِ، حَسَنَ الْإِقَاءِ، نَاقِداً بِصِيرِ النِّقْدِ<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- راجع: مقدمة ديوان إبراهيم بن الحاج النميري، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة.

<sup>2</sup>- نفع الطيب، المقري، ج6، ص 131.

<sup>3</sup>- ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التَّنْبُكْتِي، ص45.

<sup>4</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص100.

### 3- شعراء مرحلة السقوط:

عانت المملكة في القرن التاسع الهجري الكثير من الويلات والصراعات الداخلية والخارجية، عرفت الحركة الشعرية في هذه الفترة زكوداً نسبياً، نتيجة تدهور الأوضاع، وهجرة الكثير من أهل العلم. من أبرز الشعراء الذين ذاع صيتهم في هذه الفترة نذكر:

- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشّرّان الغرناطي (كان حياً سنة 837هـ): قيل في حقّه: «الشَّيخ الفقيه الصدر العَلّامة الأرفع الأوحّد الأمجد، الذي لا يُجزى في الإنشاء والاختراع كلاماً جزلاً وقولاً فصلاً، تولى قضاء الجماعة بغرناطة، له أرجوزة في علم الفرائض "أزاهر الرياض"<sup>1</sup>.
- إبراهيم بن محمد بن فتوح العقيلي الأندلسي، يعرف بابن فتوح، يكنى أبا إسحاق (ت 867هـ): وهو مُفتي غرناطة وعالمها في القرن التاسع، له مشاركة في مُختلف العلوم، من أصول، فقه، تفسير، وحديث، عالم باللغة العربية والأدب، تخرج على يديه الكثير من طلبة الأندلس.<sup>2</sup>
- علي بن موسى بن عبد الله اللخمي البسطي، عرف بالقرباقي (ت 844هـ): قال عنه تلميذه القلصادي: «شَيْخنا وبركتنا الفقيه الأمام الخطيب النّظام الكبير، أوحّد الزّمان وفريد البيان العديم الأقران، المُفتي المُؤلف المُدرّس المصنّف الذّاكر لأحوال العَرَب وأنسابها، حَافِظاً للغاتِها وأدابها، له في العربية وفي التفسير والحديث والأصول والطّب سهم مصيب»<sup>3</sup>.
- محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل الأندلسي، يعرف بالرّاعي (و 782هـ/ت 853هـ): ولد بغرناطة، نشأ بها أخذ العلم عن شيوخها، كانت

<sup>1</sup> - نيل الابتهاج وتطريز الديباج، احمد بابا التنبكتي، ص 533.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 334.

<sup>3</sup> - راجع، رحلة القلصادي، ص 162

له مشاركة في مختلف الفنون، وله عدة مصنفات منها "انتصار الفقير السالك لمذهب الإمام الكبير مالك"، النوازل النحوية"، وله نظم وشرح الألفية والأجرومية<sup>1</sup>.

- محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد ابن عاصم القيسي الغرناطي (ت 857هـ): هو من أكابر علماء غرناطة وشيوخها، الوزير القاضي الخطيب البليغ الشاعر الفصيح، له عدة مؤلفات منها "الرّوض الأريض في تراجم ذوي السيوف والأقلام والقريض"، "جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى"، وغيرها من المصنفات<sup>2</sup>

- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد ابن الأزرق الأصبحي، ( و 831هـ/ ت 899هـ): وُلد بمالقة ونشأ بها، وحفظ القرآن وتعلّم على يد شيوخها، وليّ القضاء غربي مالقة ثم بوادي آش. كان من أهل العلم له مشاركة في عدة ميادين من فقه، أصول، لغة، أدب. من ملفاته "بدائع السلك في السياسة السلطانية"، "روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم اللسان"<sup>3</sup>.

- محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي، المعروف بالبسطي (وفي العقد الثاني من القرن التاسع هجري/كان حيا سنة 888هـ): ولد ببسطة، كان فقيهاً خطيباً، اشتغل بالنسخ والتقييد والإقراء والتعليم، له ديوان شعر ولعلّه آخر ديوان أندلسي وصل إلينا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup>- ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السخاوي، دار الجيل، بيروت، ط، 1412هـ-1992م، ج9، ص 203.

<sup>2</sup>- ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التَّنْبُكِي، ص 537.

<sup>3</sup>- ينظر: المصدر السابق، ج9، ص 21.

<sup>4</sup>- ينظر: البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد ابن شريفة، دار المغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، سنة 1985م. ص 12.

كانت هذه لمحة عن أبرز أعلام الشعر في فترة حكم بني الأحمر، لكن الشيء المؤسف هو ضياع الكثير من القصائد والدواوين في خضم الفوضى التي عرفت بها هذه المنطقة.

### ثالثاً: الفنون الشعرية

#### 1- الموشحات:

اختلف الباحثون حول تعريف مصطلح الموشح، فتعريفه اللغوي يدلُّ على أنه اشتق من الوشاح الذي تترنن به النساء، يقول الزمخشري: «الموشح أو الموشحة من الإشاح والوشاح، وهو حُلِّي النساء من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، لتترنن به المرأة أو هو سير منسوج من الجلد يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها»<sup>1</sup>.

أما اصطلاحاً فقد عرفه ابن سناء الملك بقوله: «الموشح كلامٌ منظومٌ على وزنٍ مخصوصٍ، وهو يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات، ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات، ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأفعال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات»<sup>2</sup>.

وحدثنا ابن خلدون عن سبب ظهور هذا الفن المستحدث فقال: «وأما أهل الأندلس فلما كثرت الشعر في قُطْرهم، وتهدبت مناحيه وفنونه، وبلغ التَّنْمِيقُ فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً منه سَمَّوهُ بالموشح، ينظُمونه أسماطاً وأغصاناً، يُكثِّرون

<sup>1</sup>-أساس البلاغة، الزمخشري، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1965، مادة وشح

<sup>2</sup>- الموشحات والأزجال وأصلها في الأدب الأوروبي القديم: شعر التروبادور أنموذجاً، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، إعداد: نميش أسماء، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2015 – 2016، ص 32. نقلاً عن: دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، تحقيق: جودت الركابي، ط2، دمشق، 1977، ص 32.

منها ومن أعاريضها المختلفة يندسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد، وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية واستظرفه الناس لسهوله تناوله.<sup>1</sup>

سنكتفي هنا بالإشارة إلى ثلاثة أعلام ذاع صيتهم في هذا الفن وهم: لسان الدين ابن الخطيب، وتلميذه ابن زمرك، وابن خاتمة الأنصاري.

لقد حظيت موشحات ابن الخطيب بشهرة واسعة، «قلما نجدها عند غيره من وشحي عصره، تتمثل في شيوخها بين الناس، وترددها بين المغنين مع مثيلاتها من الموشحات إلى يومنا هذا»<sup>2</sup>. وقال المقري أنه «قد انتهت إليه رياسة هذا الفن»<sup>3</sup>. له مصنف خاص بهذا الفن سماه "جيش التوشيح".

لقد اقتصر في نظمه على أغراض بعينها وهي: المديح والغزل والخمریات، لملاءمتها للغناء الذي شكّل ظاهرة فنية في ذلك العصر.<sup>4</sup> أغلبها كانت في مدح السلاطين، لصلته الوثيقة بهم، أشهر موشحة له قالها في مدح السلطان محمد الخامس الملقب بالغني بالله والتي مطلعها:<sup>5</sup>

جَادَكَ الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَى	يَا زَمَانَ الْوَصْلِ بِالْأَنْدَلِسِ
لَمْ يَكُنْ وَصْلُكَ إِلَّا حُلْمًا	فِي الْكُرَى أَوْ خَلْسَةَ الْمُخْتَلِسِ
إِذِ يَقُودُ الدَّهْرُ أَشْتَاتَ الْمُنَى	يَنْقُلُ الْخَطْوَ عَلَى مَا يَرِسُ
زُمَرًا بَيْنَ فُرَادَى وَثُنَى	مِثْلَمَا يَدْعُو الْوَفُودَ الْمَوْسِمُ

<sup>1</sup> - مقدمة ابن خلدون، ص 1327.

<sup>2</sup> - موشحات لسان الدين ابن الخطيب، (دراسة وجمع)، عبد الحلیم حسین الهروط، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، سنة 1433هـ-2012م، ص 15.

<sup>3</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 7، ص 17.

<sup>4</sup> - ينظر: موشحات لسان الدين ابن الخطيب، عبد الحلیم حسین الهروط، ص 19.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ص 142.

نظم ابن الخطيب هذه الموشحة، بدافع القلق والخوف من المجهول، عندما أحسَّ باتساع المسافة بينه وبين السلطان الغني بالله، وخشيته من بطشه وانقلابه عليه.<sup>1</sup> والجدير بالذكر أنَّ خوفه كان في محله، ونُبوءته عن ميل السلطان عنه قد صدقت، وهذا ما دفعه فيما بعد للهروب إلى المغرب، إلى أن توفي بها مقتولاً سنة 776هـ.

كما أبدع الشاعر في وصف هذا السلطان حد المبالغة، وقال أنَّ الله اصطفاه ليكونَ خليفته في الأرض، كما اصطفى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأشار لتوافقهما في الاسم حين قال:<sup>2</sup>

مُصْطَفَى اللَّهِ سَيِّئُ الْمُصْطَفَى      الغني بالله عن كلِّ أحدٍ  
مَنْ إِذَا مَا عَقَدَ الْعَهْدَ وَفَى      وإذا ما فُتِحَ الْخَطْبُ عَقْدُ

ومدح جميع سلاطين بني نصر في قوله:<sup>3</sup>

وهفا طيئها عن الحَصْرِ      مدحة في علا بني نصرِ

هم ملوك الورى بلا تُنيا

مهدوا الدين زينوا الدنيا

كما مدح سلطان المغرب أبا سالم المريني<sup>4</sup> ووصفه بالقوة والشدة على أعدائه،

والقدرة على إطفاء نيران الفتن والثورات، والجود والكرم،

1- موشحات لسان الدين ابن الخطيب، عبد الحليم حسين الهروط، ص (23-26).

2- المصدر نفسه، ص (147-148).

3- نفع الطيب، ج7، ص67

4- هو السلطان إبراهيم بن علي بن عثمان يكنى أبا سالم، ولقبه المستعين بالله، (735هـ / 762هـ).

واعتبره خليفة الله في الأرض في قوله: <sup>1</sup>

مُعَالِجُ الصَّدَعِ وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى وَقَامِعُ الظَّالِمِ  
 وَمُصْهِمَتُ الضَّجَّةِ وَمُطْفِئُ النَّائِرِ وَمَوْضِعُ الرُّشْدِ  
 خَلِيفَةُ الرَّبِّ وَالْبَاذِخُ الْفَاخِرُ بِالْأَبِ وَالْجَدِّ  
 مَنْ فَازَ بِالسَّبْقِ فِي رَفْعَةِ الْقَدْرِ وَالْمَنْصِبِ الْأَسْمَى

وجعله مُوافقًا للنبي إبراهيم عليه السلام في الاسم والصفات حين قال: <sup>2</sup>

مُؤَافِقِ الْخَلِيلِ فِي الْأَسْمِ وَالسِّمَاتِ  
 ذِي الْمَنْظَرِ الْجَمِيلِ الرَّائِقِ الصِّفَاتِ

أتسمت موشحات ابن الخطيب الغزلية بالعقّة والابتعاد عن الغزل الفاحش. فقد  
 ركّز على وصف مشاعره وعواطفه، لقد صوّر لنا في إحداها ما يُعانيه العاشق من عذاب  
 الشّوق إلى الحبيب ومرارة الهجران في قوله: <sup>3</sup>

لَا كَلَّفَ اللَّهُ النُّفُوسَ الرَّقَاقِ مِنْ مَضَضِ الْأَشْوَاقِ مَا لَا تُطِيقُ  
 طَعْمُ النَّوَى يَا صَاحِبَ مُرِّ الْمَذَاقِ وَقَالَ الْكُفْرَ عَذَابَ الْحَرِيقِ  
 وَاللَّهِ مَا الْهَجْرَانُ إِلَّا عَذَابٌ يَا شَرَّمَا تَحْمَلُ مِنْهُ الْقُلُوبُ  
 الْيَوْمُ فِي الطُّولِ كَيَوْمِ الْحَسَابِ وَاللَّيْلُ مَا لِلنَّجْمِ فِيهِ غُرُوبُ

1 - موشحات لسان الدين ابن الخطيب، عبد الحلیم حسین الهروط ، ص (127- 128).

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص33.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه ، ص (120- 121).

كما نظم في الخمریات على عادت سابقیه، فنجدہ في إحداها تَغَزَلُ بالسَّاقِ وتحدث عن جمال عیونه وصدِّه له فقال:<sup>1</sup>

وتَرى السِّحْرَ سِحْرًا أَجْفَانِهِ      بَيْنَ تَلْكَ الشِّفَارِ  
أَنَا مِنْ صَدِّهِ وَهَجْرَانِهِ      بَيْنَ مَاءٍ وَنَارِ

بالغ ابن الخطيب في خمرياته، حتى وصلت به الجرأة إلى إباحتها شربها، ودعا خلَّانه إلى الاصطباح بها في قوله:<sup>2</sup>

ونادِ بالتُّدْمَانِ عِنْدَ اعْتِقَادِ      بَعْدَ الرَّقَادِ  
بَاكِزِ إِلَى اللَّذَاتِ وَالْاصْطِبَاحِ      بِشَرِّ رَاحِ

فما على أهل الهوى من جناح

اتبع ابن زمرك مسيرة أستاذه في نظم الموشحات من الأغراض التي طرقها  
نذكر: المدح، الخمریات، الغزل، الوصف، الشوق والحنين

لقد تفتَّن في مدح السلاطين بصفة خاصة، من ذلك مدحه السلطان بطريقة

عجيبة، حيث جعل قيمةً كالكرم عيباً، كإشارة لمبالغة السلطان في الكرم في قوله:<sup>3</sup>

إِمَامٌ أَفَادَ الْمَعْلُوباتِ زَمَانَهُ      فَمَا لِحَقَّتْ زُهُرُ النُّجُومِ مَكَانَهُ  
وَمَدَّ عَلَى شَرْقٍ وَغَرْبٍ أَمَانَهُ      وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ أَنَّ بِنَانَهُ

تُغْرَقُ مستجديه في بحر الندى

<sup>1</sup> - موشحات لسان الدين ابن الخطيب، عبد الحليم حسين الهروط، ص 43.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص (45-46)

<sup>3</sup> - نفع الطيب، ج 7، ص 197.

هو البحرُ مدَّ العارضَ المتهلِّلاً هو البدرُ لكن لا يزالُ مكتملاً

ونظم إحدى موشحاته مدحاً فيه لإحياء سنّة الاحتفال بالمولد النبوي فقال:<sup>1</sup>

فوالله لولا سنّةٌ قد أقمتها وسيرةٌ هدي للنبي علمتها

وكان لغرض الوصف نصيبٌ وافراً، فنجده يصف لنا جمال المملكة وروعة مناظرها

الخلافة بقوله:<sup>2</sup>

عروسةٌ تاجها السبيكة وزهرها الحلي والحلن

لم ترض من عزها شريكه بحسنها يضرب المثلن

أيدها الله من مليكته تملكها أشرف الدولن

من موشحاته الجميلة التي عبّر فيها عن مدى اشتياقه وحنينه لها:<sup>3</sup>

أعندكم أنني بفاسٍ أكابد الشوق والحنين

أذكر أهلي بها وناسي واليوم في الطول كالسنين

الله حسبي فكم أقاسي من وحشة الصخب والبنين

وخير ما نختم به من موشحات ابن زمرك ما قاله في مدح الحبيب المصطفى، وذكر

أسماء المشهورة صلى الله عليه وسلم: المصطفى، الهادي، الشفيح، الرؤوف الرحيم في

قوله:<sup>4</sup>

1- المصدر السابق، ج7، ص 200.

2- ديوان ابن زمرك، ص532.

3- المصدر نفسه، ص536.

4- المصدر نفسه، ص 559.

هَلْ يُحْمَلُ الزَّادُ لِدارِ الْكَرِيمِ      وَالْمُصْطَفَى الْهَادِي شَفِيعُ مُطَاعٍ  
فَجَاهُهُ ذُخْرُ الْفَقِيرِ الْعَدِيمِ      وَحُبُّهُ زَادِي وَنِعْمَ الْمَتَاعُ  
وَاللَّهُ سَمَاهُ الرَّؤُوفَ الرَّحِيمِ      فَجَارُهُ الْمَكْفُولُ مَا إِنْ يُضَاعُ  
عَسَى شَفِيعُ النَّاسِ يَوْمَ الْجِسَابِ      وَمَلَجَأُ الْخَلْقِ لِرَفْعِ الْكُرُوبِ  
يَلْحَقُنِي مِنْهُ قَبُولٌ مُجَابٍ      يَشْفَعُ لِي فِي مُوبِقَاتِ الدُّنُوبِ

- ومن الشعراء الذين ذاع صيتهم في هذا الفن نذكر أيضا "ابن خاتمة الأنصاري، الذي خصص أغلب موشحاته في غرض الغزل العفيف، صور فيها مدى جمال محبوبته وإعجابه بقدها، وحسن مظهرها، وشبها بالقمر وعبر عن حبه لها في قوله:

ما أخلاك \*\*\* يا قمر الأخلاك

كم أهواك \*\*\* وفي الحشا مثواك \*\*\* ولا تاذري

الحسن \*\*\* يحار في خدك

والغصن \*\*\* يغار من قدك

والذهن \*\*\* وقف على ودك<sup>1</sup>

صرح لنا عن اسمها في أبيات رائعة، ربط بين اسمها وهجرها وصددها له فقال:<sup>2</sup>

قد هدد مني القوى صددك يا هاجر

<sup>1</sup>- ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص170.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص190.

أَمَّا لِهَذَا النَّوَى وَالهِجْرِمِ مَنْ أَخْرَجَ؟

ونظم موشحة أخرى مؤثرة عبر فيها عن حُرقة قلبه وشوقه، وعدم احتمال له لنار الهجران حتى نادى وطلب يد العون لإطفائها فيقول<sup>1</sup>:

قَد دُبْتُ بِالْأَشْوَاقِ \*\*\* وَمِتُّ بِالْحُبِّ

الْوَجْدُ فِي إِحْرَاقِ \*\*\* وَالْدَّمْعُ فِي سَكْبِ

يَا قَوْمُ هَلْ مِنْ رَاقٍ \*\*\* يَرْقِي جَوَى قَلْبِي

مَالِي اِحْتِمَالٌ \*\*\* فِي لِحْظِ جَفْنَيْنِ \*\*\* يَرْمِي بِسَهْمَيْنِ \*\*\* وَلَا يُبَالِ

## 2- الأزجال:

الزَّجْلُ هُوَ فَنٌّ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ، عَرَّفَهُ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي مَعْجَمِهِ فَقَالَ: «هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ، وَقَدْ زَجَلَ زَجْلًا، فَهُوَ زَجَلَ وَزَجَلَ وَرَبَّمَا أَوْقَعَ عَلَى الْغِنَاءِ، قَالَ وَهُوَ يَغْنَمُهَا غِنَاءَ زَجْلًا»<sup>2</sup>.  
أما معناه الاصطلاحي فهو مأخوذٌ من المعنى اللُّغوي ويمكن لنا أن نُسمِّيه بِفَنِّ الصَّوْتِ لِأَنَّهُ وُجِدَ لِأَجْلِ الْغِنَاءِ أَصْلًا وَلَيْسَ لِلْقِرَاءَةِ<sup>3</sup>. وهذا ما قاله "ابن حجة الحموي":  
«سُمِّيَ هَذَا الْفَنُّ زَجْلًا لِأَنَّهُ لَا يُلْتَدُّ بِهِ وَتَفْهَمُ مَقَاطِعَ أَوْزَانِهِ حَتَّى يَغْنَى بِهِ وَيَصُوتُ»<sup>4</sup>.

ويُعرف هذا أيضًا بِالشَّعْرِ الْعَامِيِّ، حَدَّثَنَا ابْنُ خَلْدُونَ عَنِ تَارِيخِ نَشَأَتِهِ فَقَالَ: «لَمَّا شَاعَ فَنُّ التَّوْشِيحِ فِي الْأَنْدَلُسِ، وَأَخَذَ بِهِ الْجُمْهُورُ لِسِلَاسَتِهِ وَتَنْمِيقِ كَلَامِهِ، نَسَجَتِ الْعَامَّةُ

<sup>1</sup>- ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص191.

<sup>2</sup>- لسان العرب، ابن منظور، مادة زجل، ص302

<sup>3</sup>- ينظر: الزجل الأندلسي (بين النشأة والتطور ودراسة في أغراضه)، جمعة حسين يوسف، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج17، العدد7، تموز سنة2010، ص3.

<sup>4</sup>- بلوغ الأمل في فن الزجل، ابن حجة الحموي، تحقيق رضا محسن القريشي وعبد العزيز الأهواني، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، د ط، سنة1974، ص128.

من أهل الأمصار على منواله ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابًا، واستحدثوا فنًا سموه بالزجل، وأول من أبدع في هذه الطريقة أبو بكر بن قزمان، وهو إمام الزجالين على الإطلاق<sup>1</sup>.

تطرق الزجل الأندلسي في عصر بني الأحمر لجميع الموضوعات التي ألفناها في الشعر الفصيح من مدح، وغزل، وفخر، وهجاء، وغيرها. من الشعراء المجيدين في هذا الفن، نذكر لسان الدين ابن الخطيب والذي قال عنه المقري أنه انتهت إليه رئاسة الصناعة الزجلية. مما قاله في هذا الفن:<sup>2</sup>

أمزج الأكواس واملالي نُجَدَّد      ما خُلِقَ المالُ إلا ليبيدَّ

وقال على الطريقة الصوفية:

بين طلوعُ وبين نزولُ \*\*\*\* اختلطت الغزولُ  
ومضى من لم يكنُ \*\*\*\* وبقي من لم يزولُ

وقال أيضا:<sup>3</sup>

البعْدُ عَنكَ يا ابني أعظمُ مصايبي      وحين حَصَلْ لي قربك سَيَّبْتُ اقاربي  
وكذلك «أبو عبد الله الألوسي» الذي له قصيدة زجلية طويلة نظمها في مدح السلطان منها قوله:<sup>4</sup>

تراه خليفة أمير المؤمنين      يقود جيوشاً ويزين موكباً

<sup>1</sup> - المقدمة، ابن خلدون، مج 1، ص 519.

<sup>2</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 7، ص 17.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>4</sup> - المقدمة، ابن خلدون، مج 2، ص 439.

لذي الإمارة تخضع الروس نعم وفي تقبيل يديه يرغبوا  
بييته بقي بدور الزمان يطلعوا في المجد ولا يغربوا

وقال أيضا في نفس المعنى<sup>1</sup>:

عماد الأمصار وفصيح العرب فممن فصاحة لفظه تتقرب  
بجملة العلم انفرد والعمل ومع بديع الشعر ما أكتب  
ففي الصدور بالرمح ما أطعنوا وفي الرقاب بالسيف ما أضربوا  
الشمس نورو والقمر هامتو والغيث جودو والنجوم منصبو

من أشهر الشعراء خلال القرن التاسع هجري " الفقيه عمر " وهو أبو علي عمر بن علي بن عمر الحاج السعيد المالقي، كان اسمه ذائع الصيت في زمانه،<sup>2</sup> لكن للأسف ضاعت أغلب أجزاله في خضم الفوضى التي عاشتها المملكة، ولم يُعثر إلا على بعض المقطوعات والأبيات المتفرقة في بعض الكتب ومنها قوله:

غرناطة فتنة للبشر \*\*\* آخر النهار، وزهرها يبدي

قرب وصل وعدي

والحمرا واجب تذكر \*\*\* مع الدشر، معانيها تبدي

زينت بخلدي

وأطراف الثمراز \*\*\* قد زخرفت بالجلائز

1 - المصدر السابق، مج 2، ص 440

<sup>2</sup> - ينظر: حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، أبو القاسم بن محمد با إبراهيم الغساني ( الشهرير بالوزير)، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهرسه، محمد لعربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1410هـ-1990، ص 84.

البنفسج حين شدا\*\*\* ما أعزعلي كبدي

ما أنا وحدي<sup>1</sup>

وفي هذه المقطوعة تغنى الشاعر بحمال طبيعة غرناطة الفاتنة وبزهورها، وذكر زهور أشجار الرمان- الجلنار- التي انتشرت في حقول غرناطة بكثرة، وزهر البنفسج، وهذا فيه دعوة لمن يقرأ هذا الزجل بزيارة غرناطة لرؤية هذه المناظر الخلابة.

مما سبق يمكننا ان نخلص إلى النتائج التالية:

- أن هذه المملكة صنعت تميزاً شعرياً، ساهم في ازدهاره مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية، فكونها آخر قلاع الأندلس جعلها مقراً للكثير من الشعراء ممن جاؤوها من مختلف مدن الأندلس التي سقطت في يد الإسبان.

-لقد عانت الحركة الشعرية في مرحلة التأسيس نوعاً من الاضطراب والتشتت. ولما عرفت المملكة نوعاً من الاستقرار في القرن الثامن ازدهرت وتنوعت مضامين الشعر، أما في المرحلة الأخيرة تراجعت نتيجة لهجرة العديد من أعلام الأدب ، والوضع المحزن حيث كانت المملكة تحتضر.

- تناولت الموشحات والأزجل في هذا العصر موضوعات الشعر التي ألفناها في الشعر الفصيح من مدح وغزل وفخر ووصف وغيرها لكن الشيء المؤسف هو ضياع أغلب النصوص الشعرية خاصة في فن الزجل.

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص 85.

## الفصل الثالث: موضوعات الشعر في عصر بني الأحمر

1- الغزل

2- المدح

3- المديح النبوي

4- الفخر

5- الهجاء

6- الوصف

7- الرثاء

8- الزهد

9- التصوف

ساد العلم والتعلم في زمن حكم بني الأحمر، وهذا راجع لتوفر المؤسسات التعليمية ومجالس العلم، وكونها آخر قلاع الأندلس سقوطاً جعلها مقراً لعدد الشعراء، فتشكّل في كنفها مزيج ثقافي، تنوّعت فيه طباع الشعراء، وتعدّدت المضامين الشعرية نذكر منها:

### 1- الغزل:

لقد تنوّع الغزل في هذا العصر بين الغزل العفيف والغزل الماجن، وغزل المذكّر أو ما يعرف بغزل الغلمان. وقد شاع هذا الغرض لعدة أسباب نذكر منها: لقربه إلى نفوسهم فكانوا ينشدونه تعبيراً عن عواطفهم، وافتنانهم بالجمال، وتنقيساً عن همومهم وآلامهم، كما شجّعت أحوال المجتمع وما فيه من ترف واهتمام بمباهج الحياة على ذلك<sup>1</sup>.

سنذكر في هذا الصدد بعض الشعراء الذين ذاع صيتهم في هذه الفترة، في مقدّماتهم "ابن فركون" الذي كان له نصيبٌ وافٍ في هذا الغرض، نظمها في قصائد مُستقلّة أو على شكل مطالع غزلية، غالباً كان يفتتح بها مدائحه. والطابع العام لغزله هو الغزل العفيف، جسّد فيه صفات محبوبته ومفاتنّها، ذكر اسمها في العديد من القصائد منها<sup>2</sup>:

وَمَا كُنْتُ أَهْوَى رَبْعَ سَلَمَى وَإِنَّمَا	أُحِبُّ الْجَمَى مِنْ أَجْلِ مَنْ سَكَنَ الْجَمَى
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنَّ سَهْمَ لِحَاظِهَا	يُصِيبُ فُؤَادَ الْمُسْتَهَامِ إِذَا رَمَى
وَقَدْ كَانَ قَلْبِي يَحْذَرُ الْحُبَّ جُهْدَهُ	وَمَا كَانَ ذَلِكَ الْجِذْرُ إِلَّا لَيْسَلَمَا
إِلَى أَنْ بَدَا لِلْقَلْبِ لَمَّا بَدَا لَهُ	مُحِيًّا يَفُوقُ الشَّمْسَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ

<sup>1</sup> - ينظر: ابن فركون شاعر غرناطة، قاسي القحطاني، ص 89.

<sup>2</sup> - ديوان ابن فركون، ص 261.

لقد أبدع الشاعر في تصوير مدى حبه لِسلمى، وَاَصِفًا مُحَيَّاها بِالشَّمْسِ فِي ضِيائِه  
وَجَمالِ نَضْرَتِها. وَعَبَّرَ عَن أَلَمِه وَحُرْقَةِ نارِ الشُّوقِ، وَعَدَمِ اِحْتِماله لِبعْدِها عَنه فِي قولِه<sup>1</sup>:

فَيَا لَيْتَ سَلَمَى تَبَعْتُ الطَّيْفَ فِي الكَرَى      لِيُرَوِيَ قُلُوبًا بِالصَّبَابَةِ حَوْمًا  
وَيَا لَيْتَهَا تُهْدِي سَلَامًا مَعَ الصَّبَا      لِيَنْقَعَ قَلْبًا جَمْرُهُ قَدْ تَضَرَّمَا  
فَمَا بَجْفُونِي غَيْرُ صَيِّبِ أَدْمَعِ      وَمَا بِفُؤَادِي غَيْرُ خَبَلٍ تَحَكَّمَا  
وَأُظْهِرَ دَمْعِي مَا بِقَلْبِي مِنَ الهَوَى      وَقَدْ كَانَ سِرًّا فِي ضُلُوعِي مُكْتَمَا  
فَإِنْ مُتُّهُ إِنْ بَاخَ بِالْحُبِّ لِلوَرَى      فَيُنْشِدُ هَلْ كَانَ الغَرَامُ لِيُكْتَمَا

وتضيق الدنيا بما فيها على ابن فركون، لعدم تمكنه من رأيتها قال في ذلك<sup>2</sup>:

يَا مَنْ تَمَلَّكَنِي حُبًّا أَيْجُمُلُ بِي      صَبْرُ وَعَيْنِي عَلَى مَرَاكٍ لَا تَقَعُ  
تَضِيقُ فِي عَيْنِي الدُّنْيَا إِذَا أَنَا لَا      أَرَاكَ فِيهَا وَرَحْبُ الأَرْضِ مُتَّسِعُ  
مَنْ لِي بِطَيْفِ خَيَالٍ مِنْكَ يَطْرُقُنِي      إِنِّي بِأَيْسَرِ حَظٍّ مِنْهُ أَقْتَنِعُ

يظهر من خلال هذه النماذج أن ابن فركون كان شاعراً عفيفاً في غزله، يصف كل ما يتعلّق بالحبّ والعاطفة من مشاعر كالشوق، الحنين، العشق.

ونجد "ابن خاتمة الأنصاري" أيضاً له العديد من القصائد الغزلية، عُرفَ بذكره

للصفات الجسدية لمحبوبته منها قوله:

وَمَخْضُوبُهُ الكَفَّيْنِ مَعَشُوقَةَ الحُلَى      بَدَتِ مِثْلَ بَدْرِ التِّمِّ فِي لَيْلَةِ السَّعْدِ

<sup>1</sup>- ديوان ابن فركون، ص. 261

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص

نَهَانِي عَنْهَا عُدْلِي فَعَصَّيْتُهُمْ      فَيَا غَيِّمَ فِيمَا أَتَوْهُ، وَيَا رُشْدِي  
حَرَامٌ عَلَيَّ قَلْبِي غَرَامٌ بِغَيْرِهَا      وَإِنْ جَلَّ مَا أَلْقَاهُ فِيهَا مِنَ الْوَجْدِ  
نَظَرْتُ إِلَى حُسْنِ عَلَى خَدِّهَا، فَمَا      وَجَدْتُ لِقَلْبِي فِي الْوَرَى عَنْهُ مِنْ بُدِّ<sup>1</sup>

في هذه القصيدة وصف جمال كفيها المخضبين بالحناء، وذكر لنا لوم اللائمين في هواها، وإخلاصه في حبه لها مدى حياته. وشبهها بالغزالة لحسن جمالها، صور لنا النقوش التي تزينت بها في قوله<sup>2</sup>:

قُلْ لِلَّتِي خَضَبَتْ بَيَاضَ بَنَانِهَا      بِدَمَاءِ دَمْعِي أَوْ سَوَادِ عُيُونِي  
وَتَأَنَّقَتْ فِي نَقْشِهَا وَكِتَابِهَا      مِنْ ذَوْبِ أَكْبَادِي بِنَارِ شُجُونِي  
مَنْ أَيْنَ لِلْغِزْلَانِ وَهِيَ عَوَاطِلُ      صَبَّغِ الْحَوَاجِبِ أَوْ خِضَابِ يَمِينِ

وحدثنا عن بعض الحلي والزينة مثل: الخلخال والوشاح في قوله<sup>3</sup>:

مَا بَالُ خَلْخَالَيْكَ قَدْ صَمَّتَا وَمَا      لِيُوشَاحِكَ الْجَوَّالِ فِي تَحْنِينِ

لم يكتف ابن خاتمة بوصف جمال شكل محبوبته بل أعجب برقة وحسن صوتها

فقال فيه: <sup>4</sup>

غَنَاءُ مُغْنِيَةٍ بِحُسْنِ غِنَائِهَا      عَنْ لَذَّةِ الْمَغْنَى وَطَيْبِ الْمَأْلَفِ  
إِنْ تَشُدُّ فَالْأَسْمَاعُ رَهْنُ تَشْوُفٍ      أَوْ تَبْدُ فَالْأَبْصَارُ رَهْنُ تَوْقُفِ

<sup>1</sup>- ديوان ابن خاتمة، ص 66.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 68.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه ص 68.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 79.

مِلءُ الْمَسَامِعِ وَالنَّوَاطِرِ بِهَجَّةٍ مَا مِثْلُهَا، حَدَّثَ بِنَا ثُمَّ اخْلَفَ

وهذا "ابن جابر الضرير" هو الآخر يتغزل بمحبوبته سعاد ويُشبهه فرحته برؤية وجهها الجميل بفرحة العيد<sup>1</sup>:

خَذُ فِي الْبَشَارَةِ مُهْجَتِي يَوْمًا إِذَا      بَانَ الْعُذَيْبُ وَنُورُ حَسَنِ سَعَادِ

قَدْ صَحَّ عَيْدِي يَوْمَ أُبْصِرُ حَسَنَهَا      وَكَذَا الْهَيْلَالُ عَلَامَةُ الْأَعْيَادِ

وقال أيضا<sup>2</sup>:

بَادَرَ قَلْبِي لِلْهَوَى وَمَا ارْتَأَى      لَمَّا رَأَى حُسْنَهَا مَا قَدْ رَأَى

فَقَرَّبَ الْوَجْدَ لِقَلْبِي حَيْهَا      وَكَانَ قَلْبِي قَبْلَ هَذَا قَدْ نَأَى

لم يتغزل شعراء هذا العصر بالمرأة فقط، بل حضي الغلمان بقدر لا يُستهان به من الإعجاب. نظم في هذا النوع العديد من الشعراء. نذكر منهم "ابن فركون" في قوله وهو يتغزل بأحد الفتيان:

كَلِفْتُ بِظَبْيِي رَائِعِ الْحُسْنِ لَنْ يَزَلَ      يُرْوَعُ قَلْبِي بِالنَّوَى وَهُوَ أَنْسُ

إِذَا هُوَ أَبْدَى لِلْعُيُونِ جَمَالَهٗ      أَرَاكَ مُحِيًّا الشَّمْسِ وَاللَّيْلُ دَامِسُ<sup>3</sup>

لقد وصف الشاعر هذا الفتى بالظبي، وذكر لنا صفاته الحسية فأشار أن لون بشرته أبيض ومشرق كالشمس. وتتابع آبيات ابن فركون في التغزل بهذا الفتى وهو يسقى الخمر في إحدى مجالس اللهو:

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 7، ص 304.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 7، ص 306.

<sup>3</sup> - ديوان ابن فركون، ص 262.

يُدِيرُ مِنَ الْأَكْوَاسِ خَمْرًا وَثَغْرُهُ      يُدِيرُ كَوْوَسَ الْحُبِّ مَهْمَا تَبَسَّما<sup>1</sup>

ونجد "ابن خاتمة الأنصاري" هو الأخر يتغزل بفتى أسمر وحدثنا عن الذين عابوا عليه إعجابه به<sup>2</sup>:

عَابَ مِنْهُ اللَّحَاهُ مَا رَأَوْهُ      سُومِرَةً فِي سِرِّهَا أذْوَاقُ

وَادَّعَوْا أَتَّهَمًا ظَلَامٌ بِقَلْبِي      حَاشَ اللَّهُ إِنَّهَا إِشْرَاقُ

تجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من الغزل، نُظِمَ بِدَافِعِ التَّظَرُّفِ فِي مَجْلِسِ الْأُنْسِ، وإبراز المقدرة على النظم في هذا الفن.

مما سبق يتبين لنا ان مضامين النَّصِّ الشِّعْرِيِّ فِي الْغَزْلِ قَدْ تَنَوَّعَتْ وَانْقَسَمَتْ لِشَقَّيْنِ، غَزَلَ بِالْمُؤَنَّثِ وَغَزَلَ بِالْمَذْكَرِ، رَكَزَ أَغْلِبُ الشُّعْرَاءِ عَلَى الشَّقِّ الْأَوَّلِ وَصَوَّرُوا لَنَا الْمَرْأَةَ عَلَى أَنَّهَا حَسَنَاءٌ جَمِيلَةٌ الْمَلَامِحُ، مَتَنَاسِقَةٌ الْجِسْمِ، تَهْتَمُّ بِنَفْسِهَا وَتُوَلِّي عُنَايَةً كَبِيرَةً لِجَمِيعِ أَشْكَالِ الزَّيْنَةِ مِنَ الْحُلِيِّ وَصِبَاغَةِ الشَّعْرِ، وَنَقَشِ الْحَنَاءِ وَغَيْرِهَا لِتَزِيدَ مِنْ جَمَالِهَا. فِي حِينِ نَجِدُ بَعْضَ الشُّعْرَاءِ آثَرُوا التَّغَزَلَ بِالْغِلْمَانِ، فَاخْتَلَطَتْ أَوْصَافُ الْغِلْمَانِ بِالنِّسَاءِ إِلَى حَدِّ الْإِلْتِبَاسِ عَلَى الْمُتَلَقِّي فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ.

<sup>1</sup>- ديوان ابن فركون، ص 258.

<sup>2</sup>- ديوان ابن خاتمة، ص 137.

2- المدح :

يعدُّ المدحُ من أهمِّ الأغراض التي شاعت في هذا العصر. وهو على نوعين: مدح للسلّاطين، ومدح للأشخاص. لقد أكثر الشعراء في نظم النّوع الأوّل، فقد دعتهم الضّرورة إلى الوقوف بجاب السلّاطين لتدعيم مراكزهم في الحكم، إمّا بدافع الإخلاص والولاء لهم، وإمّا لنيل المكانة والجاه. كما حرص السلّاطين بدورهم على جذب الشعراء، من خلال الاهتمام بهم وتحفيزهم على قول الشّعر فيهم وتمجيدهم وذكر مآثرهم<sup>1</sup>. ومن هؤلاء الرّواد نذكر: ابن الخطيب، ابن الجياب، ابن زمرك، ابن فركون وغيرهم كثير.

لقد مدح ابن فركون السُّلطان يوسف الثالث في العديد من القصائد بغرض التّقرب منه. وكان له ذلك فقد نال بُغيته عندما ألحقه بديوان الكِتابَة، ثم صار شاعر الحمراء في عصره<sup>2</sup>. صوّر في قصائده المدحية شجاعة السُّلطان يوسف الثالث البطل الذي يَشُنُّ الغارات على أعدائه حين قال:

وتَفْتَحُ أَقْطَارَ الْعَدُوِّ بَعَزْمَةٍ      فَتَقْمَعُ مَغْتَرًا وَتُوسِعُ مُعْتَرًا<sup>3</sup>

ومدح أسرة بني نصر بأكملها، وذكّرنا بمجد الآباء والأجداد، ليؤكد أن السُّلطان ينتهي إلى أسرة لها نسب عريق وشجعان وأسود في الحرب من ذلك قوله:

من ذا يُضاهي في المكارم أُسْرَةَ      في الذّكرِ قد ذكّر الإلهُ خِلالَهَا

قومٌ إذا لبسوا الدُّروعَ حَسِبَتْهُمْ      أُسْدًا حَمَتْ في غِيْلِهَا أَشْبَالَهَا<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ينظر: ابن فركون شاعر غرناطة، قاسم القحطاني، ص 49.

<sup>2</sup> - ينظر: المصدر نفسه، ص 50.

<sup>3</sup> - ديوان ابن فركون، ص 105.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 117.

كما نظم " ابن الحاج النميري" هو الآخر عدة قصائد يمدح فيها السلطان "الغني بالله" مما قاله فيه<sup>1</sup> :

مُحَمَّدُ الْمَحْمُودُ ذُو الشَّرْفِ الَّذِي بِأُفُقِ الْعُلَا أَنْوَارُهُ تَتَلَأَلُ  
أَجَلُ مُلُوكِ الْأَرْضِ ذَاتَا وَمَنْصِبَا وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ لَهُ الْخَلْقُ تَلَجَا

وبالغ في ذكر محامده وشبهه بالحبیب المصطفى صلى الله عليه وسلم ليتوافقها في الاسم<sup>2</sup>:

سَمِيَّ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَلِكُ الَّذِي لَهُ شَادَتِ الْأَنْصَارُ أَشْرَفَ مَحْتَدِ  
إِمَامُ الْهُدَى الْمَنْصُورُ وَالْبَطْلُ الَّذِي بِهِ الْأُسْدُ أُسْدُ الْغَابِ فِي الْوَثْبِ تَقْتَدِي

وذكر العديد من صفاته من كرم وعظمة وهيبة في قوله:

عَظِيمٌ عَظِيمٌ الْمُلِكِ لَا مُلِكَ مِثْلُهُ وَكُلُّ عَظِيمٍ لِلْعَظِيمِ مُنَاسِبٌ  
وَأَعْلَمُ عِلْمًا خَالَطَ الْقَلْبَ، إِنَّهُ لِأَكْرَمُ مَنْ تُرْجَى لَدَيْهِ الْمَوَاهِبُ<sup>3</sup>

كما مدح أبناء السلطان كذلك وأثنى عليهم:

أَوْلَادُهُ خَيْرُ أَوْلَادٍ لَهُمْ شَرَفٌ بُحْبُوحَةُ الْفَخْرِ كُلِّ الْفَخْرِ قَدْ وَسَطَا  
غَرِّمِيَامِنْ أَمْجَادٍ أَكْرَمَةٌ عَلَى عِدَاهُمْ إِلَهُ الْخَلْقِ قَدْ سَخِطَا<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - ديوان الحاج النميري، ص (39-40).

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 87.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 42.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص 126.

ويُعدُّ "ابن زمرك" أيضاً من الأعلام الذين برعوا في هذا الغرض، له العديد من القصائد الجميلة منها قوله وهو يمدح ملوك بني نصر:

أبناء نصرٍ ملوكٌ عزَّ نصرهمُ      وأوسعوا الخلقَ تنويراً وترفها  
همُ المصاييحُ نورُ اللهِ موقدها      تُضيءُ للدينِ والدُّنيا مَشاكها  
همُ البدرُ، كمالٌ ما يُفارِقها      همُ الشُّموسُ، ظلامٌ لا يُوارِها<sup>1</sup>

وذكرنا العديد من الصفات الحسنة التي تحلَّى بها السُّلطان في عهده من كرم وجودٍ وسخاءٍ وإحسانٍ فقال:

إمامٌ أفادَ المكرماتِ زمانه      وشادَ له فوقَ النجومِ المعاليا  
هو الشمسُ بثَّت في البسيطةِ نفعها      وأنوارها أهدت قريباً وقاصيا  
هو البحرُ بالإحسانِ يزخرُ موجُه      ولكنَّه عذبٌ لمن جاء عافيا  
هو الغيثُ مهما يمسكُ الغيثُ سُجبه      يُروِّ بسُحبِ الجودِ من كان صاديا<sup>2</sup>

يبدو من خلال بعض النماذج اهتمام الشعراء بمدح شجاعة السلاطين، والحديث عن بطولاتهم، وذلك ما كان يقتضيه الحال السياسي، وكمحاولَة لتحفيزهم ودفعهم للاستمرار في هذا الجهاد والكفاح.

لم يمدح الشعراء سلاطين مملكتهم فقط، بل مدحوا سلاطين الممالك المجاورة أيضاً، كنوع من الاستصراخ، فهذا "ابن الخطيب" يمدح السُّلطان أبا سالم المريني حين فتح تلمسان:

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج7، ص173

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

أطاعَ لساني في مديحك إحساني      وقد لهجت نفسي بفتح تلمسان

فأطعتها تفتُر عن شنبِ المنى      وتُسفرُ عن وجهٍ من السعدِ حيّاني

كما ابتسم النَّوَّارُ عن أدْمُعِ الحيا      وجفَّ بخدِّ الوردِ عارضُ نيسانِ

كما صَفَّقَتْ ریحُ الشمالِ شمولها      فبانَ ارتياحُ السكرِ في غصنِ البانِ

تُهَيِّئِكَ بالفتحِ الذي معجزتُهُ      خوارقُ لم تُذخرِ سواكَ لإنسانِ<sup>1</sup>

- تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الشعراء بدورهم مدحوا بعضهم بعضاً، اعترافاً بتفوق

نخبةٍ منهم في هذا الميدان. من ذلك ما قاله "ابن الجياب" مادحاً براعة "ابن الخطيب"

في التثروالشعر:

إنَّ الخطيبَ ابنَ الخطيبِ سابقٌ      بنثره ونظمه للحلبتين

تجمعُ من براعةِ المعنى إلى      يراعةِ الألفاظِ كتا الحسنين<sup>2</sup>

وقال "ابن خاتمة" كذلك بعض الأبيات في مدح ابن الخطيب ووصفه بالكرم

والجود والمجد:

يا مَنْ حَصَلَتْ على الكمالِ بما رَأَتْ      عَيْنايِ مِنْهُ مِنَ الْجَمالِ الرَّائِعِ

قمرٌ يروقُ وفي عطافي بُردِهِ      ما شئتُ من كرمٍ ومجدٍ بارِعِ<sup>3</sup>

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على المكانة التي حضي بها ابن الخطيب في عصره.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج 5، ص 32.

<sup>2</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج 4، ص 119.

<sup>3</sup> - ديوان ابن خاتمة، ص 214.

كما نجد "أبو البركات البلفيقي" يخرجُ عما هو مألوف، فيمدح أعداءه، فبدل السب والشتم قَدَم شكره لمن بحثوا عن عُيوبه، فَصَوَّبَهَا وَعَدَّلَهَا:

عُدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ      فَلَا أَذْهَبُ الرَّحْمَانُ عَنِّي الْأَعَادِيَا

هُمْ بَحْثُوا عَن زَلَّتِي فَسَاتَرْتَهَا      وَهُمْ نَافِسُونِي فَكَتَسَبْتُ الْمَعَالِيَا<sup>1</sup>

كانت هذه بعض الملامح التي ميّزت غرض المدح، التي كانت قصائدها تكسبية، نُظِمَتْ بُغْيَةَ التَّقَرُّبِ مِنَ السَّلَاطِينِ، وَنَيْلِ الْجَاهِ وَالْمَالِ، كَمَا مَدَّحُوا بَعْضَ الشَّخْصِيَّاتِ كَأَقْرَانِهِمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَنُوعٍ مِنَ التَّحْفِيزِ، وَمَدَّحُوا أَسَاتِدْتَهُمْ وَمَشَايِخَهُمْ اعْتِرَافًا بِفَضْلِهِمْ عَلَيْهِم.

### 3-المدح النبوي:

المدح النبوي هو شعرٌ ديني ارتبط بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو فنٌ شعري صادق لا يشوبه غرض دُنْيَوِي مَادِي، مِثْلَمَا عَرَفْنَاهُ سَابِقًا فِي الْمَدَائِحِ التَّكْسِبِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِالْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ<sup>2</sup>.

لقد برع شعراء بني الأحمس في فن المدح النبوي وأكثروا فيه، خَلَّفُوا لَنَا الْعَدِيدَ مِنَ الْقَصَائِدِ الْمَتَمَيِّزَةِ، ذَاكِرِينَ فِيهَا صِفَاتِهِ الْخَلْقِيَّةَ وَالْخَلْقِيَّةَ، وَشَوْقَهُمْ لِرُؤْيَتِهِ وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ وَالْأَمَاكِنِ الْمَقْدَّسَةِ، كَمَا عَرَضُوا فِيهَا بَعْضَ مَعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَوَسَّلُوا وَطَلَّبُوا شَفَاعَتَهُ لَهُمْ يَوْمَ الْحِشْرِ.

<sup>1</sup> - الكتيبة الكامنة، ابن الخطيب، ص 85.

<sup>2</sup> - ينظر: شعر المولديات في العهد الزياني، إعداد: أحمد موساوي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، سنة 1424هـ/2003م، تحت إشراف: أ. د محمد مرتاض. ص 37.

من أبرز رواد هذا الفن نذكر "ابن جابر الأندلسي" الذي ترك لنا ديواناً كاملاً خصصه لهذا الغرض وهو "ديوان العقدين في مدح سيد الكونين"، و"ابن الخطيب"، "ابن عاصم"، "ابن خاتمة الأنصاري"، "ابن الجياب"، "ابن الحاج النميري" وغيرهم كثير. أشار هؤلاء في مديحهم النبوي إلى العديد من المواضيع منها:

أ- الشوق لرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن المقدسة:

عبّر "ابن جابر الضرير" عن موضوع الشوق لرؤية رسول الله بنوعٍ من الحسد اتجاه أهل طيبة لينيلهم شرف رؤيتهم قبره صلى الله عليه وسلم في كل وقت، مقارنةً بغيرهم من المسلمين الذين يشتاقون لذلك، في قوله:

هناؤكم يا أهل طيبة قد حقا      فبالقرب من خير الورى حُزتم السبقا  
فبشراكم نلتُم عناية ربكم      فها أنتم في بحر نعمته غرقى  
ترون رسول الله في كل ساعة      ومن يره فهو السعيد به حقا<sup>1</sup>

رسم لنا هذا الشاعر مشهداً مؤثراً عبّر فيه عن شدة اشتياق المسلمين وتعطشهم لرؤية الرسول الله، وأنهم لم يكتفوا لمشقة الرحلة، وغلاء تكاليفها، وتعيب السفر كل همهم هو زيارته صلى الله عليه وسلم في قوله:

لله قوم دموع العين قد سكبوا      شوقاً إليه وجادوا بالذي كسبوا  
نفسهم أتعبوا حتى إذا وصلوا      أراحهم وصله أضعاف ما تعبوا<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج7، ص306.

<sup>2</sup> - نظم العقدين في مدح سيد الكونين أو الغين في مدح سيد الكونين، ابن جابر الأندلسي، نج: أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 1426 هـ/2005م، ص84.

وعَبَّرَ "ابن لُب" هو الآخر عن مدى حنينه واشتياقه لزيارة قبر الرسول فيقول:

أَجِنُّ اشْتِيَاقًا لِرِيحِ سَرَّتْ وَأُبْدِي هُيَامًا لِبُرْقِ أَنْارَا

حِنْنًا وَشَوْقًا إِلَى مَعْلَمٍ حَوَى شَرَفًا خَالِدًا لَا يُجَارَى

بِهِ أَسْكَنَ اللَّهُ أَسْمَى الْوَرَى نَبِيًّا كَرِيمًا وَصَحْبًا خِيَارًا<sup>1</sup>

كما حدثونا عن الكثير من الأماكن المقدسة، التي تمنُّوا أن ينالوا شرف زيارتها، من هؤلاء الشعراء نذكر ابن عاصم له بعض الأبيات أشار فيها إلى بركة مكة المكرمة:

يَا مُسَيِّئًا مِثْلِي إِلَى مَكَّةَ أَقْصِدْ وَاجْعَلِ الشَّامَ بَيْنَ جَوْفٍ وَغَرْبٍ<sup>2</sup>

وحدَّثنا عن الصفي والمروة وجبل عرفات فقال:

وإِلَى الْمَرْوَتَيْنِ فَانْهَضْ بِسَعْيٍ وَإِلَى زَمْرَمٍ فَبَادِرْ بِشُرْبٍ

وَتَعَرَّفْ لِلَّهِ فِي عَرَفَاتٍ بِالتَّخْلِيبِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ<sup>3</sup>

ب- مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والثناء عليه:

لقد نظمت العديد من القصائد في مدح الحبيب المصطفى، وقد اخترنا البعض

منها على سبيل المثال: فنجد "ابن خاتمة الأنصاري" شكر الله على نعمة بعثه:

وَأَيُّمَا نِعْمَةٍ مِنْ قَبْلُ نَشْكُرُهَا وَالشُّكْرُ مِنْهَا وَشُكْرُ الشُّكْرِ وَلْتَقَسِ

كَفَى بِخَيْرِ الْبَرَايَا نِعْمَةً نَفْسَتْ فَأَعْجَزَ الشُّكْرُ عَنْهَا كُلَّ ذِي نَفْسٍ

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، مج5، ص510.

<sup>2</sup> - جنة الرضا، ابن عاصم، مج1، ص155.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، مج1، ص156.

كَفَى بِبِعْثِكَ خَيْرَ الرُّسُلِ مَوْهَبَةً      عَمَّتْ كِلَا الثَّقَلَيْنِ: الْجِنِّ وَالْإِنْسِ  
رَسُولٌ يُمِنُّ حَبَانَا كُلَّ مُلْتَمِسٍ      وَنُورٌ هَدِي كِفَانَا كُلَّ مُلْتَبِسٍ<sup>1</sup>

وهذا "ابن جزي الكلبى" يُبدي عجزه في ذكر كل خصال وصفات الرسول فيقول:

أرومُ امتداحِ المُصْطَفَى وَيَرُدُّنِي      قُصُورِيَّ عَن إدْرَاكِ تَلْكَ المَنَاقِبِ  
وَمَنْ لِي بِحَصْرِ البَحْرِ وَالبَحْرُ زَاخِرٌ؟      وَمَنْ لِي بِإِحْصَاءِ الحَصَى وَالكَوَاكِبِ  
وَلَوْ أَنَّ أَعْضَائِي غَدَتِ أَلْسُنًا إِذَا      لَمَا بَلَغْتَ فِي المَدْحِ بَعْضَ مَآرِبِي  
وَلَوْ أَنَّ كُلَّ العَالَمِينَ تَأَلَّفُوا      عَلَى مَدْحِهِ لَمْ يَبْلُغُوا بَعْضَ وَاجِبِ  
وَرُبَّ سَكُوتٍ كَانَ فِيهِ بِلَاغَةٌ      وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَتَبٌ لِعَاتِبٍ<sup>2</sup>

وهذا نفس ما أقرَّبه "ابن جابر الضرير" في قوله:

رَحْمَةً أَرْسَلَهُ اللهُ لَنَا      وَشَفِيعًا قَدْ غَدَا فِينَا غَدَا  
لَيْسَ يُحْصِي فَضْلَهُ إِلَّا الَّذِي      هُوَ أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَا<sup>3</sup>

ج- معجزات النبي صلى الله عليه وسلم:

ذكر هؤلاء الشعراء مُعْجَزَاتِ رَسُولِ اللهِ المَعْرُوفَةَ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ، وَالمُسْتَمَدَّةَ مِنَ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ وَكُتُبِ الأَخْبَارِ، كَمُعْجَزَةِ نَزُولِ القُرْآنِ عَلَيْهِ الَّتِي يَقُولُ "ابن الحاج النميري" فيها:

وَكَانَ لَهُ مِنْ مُعْجَزَاتِ سَوَاطِعِ      تَجَلُّ عَنِ الحَصْرِ المُوَاصِلِ وَالعَدِّ

<sup>1</sup>- ديوان ابن خاتمة، ص 34.

<sup>2</sup>- الإحاطة، ابن الخطيب، مج 3، ص (12-13).

<sup>3</sup>- الحلة السَّيْرَا، ابن جابر، ص 15.

وأعظمها القرآن لا شك إنّه      لَباقٍ مُحيلُ الشُّكِّ والقولِ بالجحدِ

تحدّى به أهل الفصاحة معجزاً      فما كان جهلاً كفرهم بل على عمداً<sup>1</sup>

وحدثنا "ابن جابر الضرير" عن معجزة غار حراء فقال:

والعنكبوتُ أجادَ مُحكمَ نَسجِه      ليكونَ فيه عن العداة خفاءً

فمضوا وقالوا لو غدا أحدٌ هنا      ما سُدّه للعنكبوتِ رداءً<sup>2</sup>

وذكر "ابن الخطيب" معجزة الإسراء والمعراج في قوله:

وما ذا يُعدُّ الوصفُ من مُعجزاتِه      وأيُّ رسولٍ اللهُ تَسْتغرقُ العَدَا

سَمًا، فوقَ أطباقِ السَّماءِ مُناجِياً      وكَلِّمَ تَكليمًا، بها، الأحدَ القَرْدَا<sup>3</sup>

د- طلب شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

اتَّجه الشعراء إلى التَّوسلِ إلى العفو والغفران والشفاعة في مدائحهم، مُعترفين

بكثرة ذنوبهم وتقصيرهم فالعبادات، فهذا "ابن زمرك" طالب شفاعته له يوم الحشر في

قوله:

بَسَطْتُ يَدَ المُحتاجِ يا خيرَ راحِمٍ      ودَنبِي أَلجاني إلى موقِفِ الجاني

وسيلتي العظمى شفاعتُك التي      يلوذُ بها عيسى وموسى بن عمران<sup>4</sup>

قال ابن الخطيب في نفس المعنى:

<sup>1</sup>- ديوان ابن الحاج النميري، ص86.

<sup>2</sup>- نظم العقدين في مدح سيّد الكونين أو الغين في مدح سيّد الكونين، ابن جابر الأندلسي، ص27.

<sup>3</sup>- ديوان ابن الخطيب، مج1، ص356.

<sup>4</sup>- نفع الطيب، المقري، ج5، ص48.

إِنِّي أَتَيْتُكَ فَاقْبَلْنِي وَخُذْ بِيَدِي      وَمِنْ لَهَيْبِ لَطْلَى جِرْنِي وَسِجِّينِ  
وَكُنْ شَفِيعِي فِي النَّارِ يَا أَمَلِي      لَعَلَّ أَحْظَى بِأَجْرٍ غَيْرِ مَمْنُونِ<sup>1</sup>

هـ- الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم:

خَتَمَ أَغْلِبَ الشُّعْرَاءِ قِصَائِدَهُمُ الْمَدْحِيَةَ بِالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ

قول ابن الخطيب:<sup>2</sup>

صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا هَطَلَتْ      مَدَامْعُ السُّجْبِ أَوْ عَيْنُ الْمُحِبِّينِ  
صَلَّى عَلَيْكَ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا ضَجَّكَتْ      مَبَاسِمُ الزَّهْرِ فِي تَغْرِ الْأَقَانِينِ  
وَأَلْفُ أَلْفِ صَلَاةٍ لَا نَقَادَ لَهَا      مَضْرُوبَةٌ فِي ثَمَانِ أَلْفِ تِسْعِينَ  
عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ، قَاطِبَةً      وَأَلْفُ أَلْفِ سَلَامٍ فِي ثَمَانِينَ

وقال في موضع آخر:

عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ، يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ      وَأَكْرَمَ هَادٍ، أَوْضَحَ الْحَقِّ وَالرُّشْدَا<sup>3</sup>

واتبع "ابن زمرك" مسار أستاذه في ذلك فقال:

وماذا عسى يُثْنِي الْبَلِيغُ وَقَدْ أَتَى      ثَنَاؤُكَ فِي وَحْيِ كَرِيمٍ وَقِرَانِ  
فَصَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا انْسَكَبَ الْحَيَا      وَمَا سَجَعَتْ وَرِقَاءُ فِي غُصْنِ الْبَانِ<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- ديوان ابن الخطيب، مج 2، ص 612.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، مج 2، ص 613.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، مج 1، ص 349.

<sup>4</sup>- نفع الطيب، المقري، ج 5، ص 49.

كما نُظمت العديد من القصائد بمناسبة مَوْلِد النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المعروفة " بالميلاديات"<sup>1</sup>، تحدثوا فيها عن فضل هذه اللَّيْلَةِ المباركة.

#### 4-الفخر:

اتَّجَهَ الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ نَظَمُوا فِي هَذَا الْغَرَضِ إِلَى مَدْحِ النَّفْسِ وَتَعْدَادِ مَحَاسِنِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ "ابن خاتمة" وهو يفتخر ببراءته في نظم الشعر:

يُمِسُّكَ الْفَارِسُ رُحْمًا بِيَدٍ وَأَنَا أُمِسُّكَ قَصَبَةً  
وَكِلَانًا بَطْلًا فِي حَرْبِهِ إِنَّ الْأَقْلَامَ رِمَاحُ الْكُتُبَةِ<sup>2</sup>  
وتحدّث "ابن زمرك" عن كرمه وجوده فقال:

أَلَايَمَةً فِي الْجُودِ وَالْجُودُ شِيْمَةٌ جُبِلْتُ عَلَى إِثَارِهَا يَوْمَ مَوْلِدِي  
ذَرِينِي فَلَوْ أَنِّي أَخْلَدُ بِالْغِنَى لَكُنْتُ ضَنْينًا بِالذِي مَلَكَتْ يَدِي<sup>3</sup>

وافتخر "ابن جابر الأندلسي" أيضا بمجده، وكثرت ترحاله، ونيله أسمى المراتب<sup>4</sup>:

عَلَيَّ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ ذِمَامٌ وَلِي بِمَدَارِكِ الْمَجْدِ اهْتِمَامٌ  
فَمِنْ كُلِّ الْبِلَادِ لَنَا ارْتِحَالٌ وَفِي كُلِّ الْبِلَادِ لَنَا مُقَامٌ  
وَحَوْلَ مَوَارِدِ الْعَلِيَاءِ مِنَّا لَنَا مَعَ كُلِّ ذِي شَرَفٍ زِحَامٌ

1 - سنورد بعض النماذج في البعد الديني.

2- الإحاطة، ابن الخطيب، مج2، ص350.

3-نفح الطيب، المقري، ج7، ص159.

4- المصدر نفسه، ج7، ص304.

تُصِيبُ سِيهَامُنَا غَرَضَ الْمَعَالِي مِنَّا إِذَا ضَلَّتْ عَنِ الْغَرَضِ السِّيَهَامُ

وَلَيْسَ لَنَا مِنَ الْمَجْدِ اقْتِنَاعٌ وَلَوْ أَنَّ النُّجُومَ لَنَا خِيَامُ

يُعدُّ ديوان السلطان يوسف الثالث من أهم المصادر التي تصبُّ في هذا الموضوع، فأغلب قصائده نظمها في الافتخار بنفسه وبطولاته، من ذلك قوله:

فَمَنْ ذَا يُخَاصِمُنَا فِي الْعُلَا وَنَحْنُ الْمُلُوكُ بِكُلِّ النَّوَا حِ

عَلَوْنَا السِّمَّاكَ بِأَحْسَابِنَا وَعِضُ مَصُونٍ وَمَالٍ مُبَاحِ

لَيْسَنَا الدِّيَاجِي لُبْسَ الْحَدِيدِ وَخُضْنَا غِمَارَ الْحَمَامِ الْمُتَاحِ<sup>1</sup>

تحدث السلطان في هذه الأبيات بصيغة الجمع نيابة عن نفسه وأسلافه من بني الأحمر، افتخر فيها بكرمهم، وجودهم، وقال إنهم يتزينون بحمل السيوف لا بالحلي، إشارة منه إلى شجاعتهم وقوة جيوشهم.

وبالغ في مدح نفسه، وقال إن محامده لا تُعد ولا تحصى، وهذا يدل على ثقته الزائدة بالنفس:

أَنَا مَنْ عَلِمْتَ إِذَا الْمَكَارِمُ عُودَتْ فَمَكَارِمِي جَلَّتْ عَنِ التَّعْدِيدِ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - شعر أبي الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة دراسة موضوعية فنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إعداد: شريف عبد الحليم محمد عويضة، إشراف: عبد الله رمضان خلف مرسي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، فبراير سنة 2014، ص 58. نقلا عن ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، تحقيق عبد الله كنون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، سنة 1965، ط 2، ص 26.

<sup>2</sup> - نفسه، ص 62، نقلا عن ديوان يوسف الثالث، ص 36.

ما لفت انتباهنا من خلال هذه الدراسة هو قلة القصائد التي نُظمت في غرض الفخر، وقد يرجع ذلك إلى طباع الشعراء الذين اتسموا بالتواضع والبعد عن التَّكبر، وقد يرجع ذلك أيضا إلى ضياع الأشعار التي قيلت في هذا الغرض.

### 5-الهجاء:

يَندُرُ أن تجد هذا الغرض في أشعار هذا العصر، فهذا "ابن الحاج النميري" يفتخر بانعدام هذا الغرض من شعره، وهذه خصوصية تبعث على العجب من شاعر و كاتب سر:

لِي الْمَدْحُ يُرَوَى مُنْذُ كُنْتُ كَأَنَّما نُصُوِّرْتُ مَدْحاً لِلرُّورَى وَذَنَاءَ

وَمَا لِي هِجَاءٌ فَاعْجَبَنَّ لِشَاعِرٍ وَكَاتِبٍ سِرًّا لَا يُقِيمُ هِجَاءً<sup>1</sup>

ومع ذلك لم يتَّردد البعض منهم في تقديم انتقاداتهم، من ذلك ما قاله أبو البركات

ابن الحاج البلفيقي " في هجاء النساء:<sup>2</sup>

قَدْ هَجَوْتُ النِّسَاءَ ذَهْرًا لَمْ أَبْ لُغُ أذَانِي صِفَاتِهِنَّ الذَّمِيمَةَ

مَا عَسَى أَنْ يُقَالَ فِي هَجْوَمَنْ قَدْ خَصَّهُ الْمَصْطَفَى بِأَقْبَحِ شَيْمِهِ

أَوْ يَبْقَى لِنَاقِصِ الْعَقْلِ وَالذَّيْلِ نِ إِذَا عُذَّتِ الْمَثَالِبُ قِيمَةَ

وفي هذا فهم قاصر من الشاعر لفحوى حديث رسول الله، وقال أيضا في نفس

المعنى<sup>3</sup>:

مَا رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَصُحُّحْنَ إِلَّا لِذِي يَصُحُّحُ الْكَنْيَفُ لِأَجَلِهِ

<sup>1</sup>- ديوان ابن الحاج النميري، ص20.

<sup>2</sup>-الإحاطة، ابن الخطيب، مج2، ص94.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، مج2، ص92 .

فعلى هذه الشريطة صالح — هن لا تغدُ بامرئ عن مجله

وهذا الأخير يؤكد العقدة النفسية في شخصية الشاعر اتجاه المرأة التي كرمها الله، وذكرها أغلب الشعراء وعدوا صفاتها وتغزلوا بها، غير أن أبو البركات البليقي قلل من شأنها بشكل مُهين.

ومن مواضيعه الغربية في الهجاء، هجاؤه الزهاد وطريقة عيشهم، بقوله:

لا بـارك الله في الزهاد إتهـم      لم يتركوا عرض الدنيا لفضلهم  
بل أثقلتهم تكاليف الحياة فلم      يصايروها فمأوا ثقل حملهم  
وعظّم الناس منهم تركها فعدوا      من غبطة التّرك في حرص لأجلهم  
فالمال والجود والرّاحات غاية ما      يحكي لنا الزّهد في ذاعن أجلهم  
والزّاهدون براحت القلوب مع ال      أبدان سُروا وعزّوا بعد ذلهم  
فكل ما فرّقوا قد حصّوا عوضاً      منه وزادوا ثناء الناس كلهم<sup>1</sup>

وفي نفس المعنى: قال ابن مرزوق الخطيب أنشدني أبو حيّان النفزي يهجو في جاهلٍ

لبس صوفاً وزها به:

أيا كاسياً من جيّد الصوفِ نفسه      ويا عارياً من كل فضلٍ ومن كيس  
أتّوه بصوفٍ وهو بالأمس مصبّح      على نعجةٍ واليوم أمسى على تيس<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج2، ص97.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، مج2، ص537.

لابن الخطيب قصيدة طويلة يهجو فيها أحد خصومه مما قاله فيها:

في طالع النحس حُزت ربتّها      وكلُّ شيءٍ في قبضة القدرِ  
يا طُلاً ما عليه من عملٍ      يا شجراً ما لديه من ثمرِ  
يا مُفرطَ الجهلِ والغباوةِ لا      يُحسبُ إلا من جملة البقرِ  
يا بَعْلَ طاحونةٍ يدورُ بها      مجتهدُ السيرِ مغمضُ البصرِ<sup>1</sup>

استمر الشاعر في انتقاد وهجاء هذا الشخص ووصفه بالجدد والظلم، ونقص

الوازع الديني:

يا دائمَ الحقِّدِ والفظاظَةِ لا      يفرِّقُ ما بينَ ظالمٍ وبَري  
يا ناقصَ الدينِ والمروءَةِ والعَقْدِ      لِمَجري اللِّسانِ بالهَنَدِ  
والله ما كنتَ يا مشومٌ ولا      أنتَ سوى عُرَّةٍ من العُرَرِ  
ولا يَدُّ تنتمي إلى كرمٍ      ولا صفاً يريحُ من كَدَرِ<sup>2</sup>

كما نظم ابن الجياب بعض الأبيات هجا فيها أحد أعدائه قالها فيها:

جربئاً على الزلاتِ غيرِ مُفكِّرٍ      جبائاً على الطاعاتِ غيرِ معرِّجِ  
جمعتَ لما يفنى اغتراراً بجمعه      وضيعتَ ما يبقى، سجيةً أهوج<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - نفع الطيب، ج5، ص140.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج5، ص141.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج5، ص434.

مما سبق يتبين لنا أن غرض الهجاء ارتبط دائما بالخلافات الشخصية والسياسية، لكن لا يمكن للهجاء أن يكون في جزالة وقوة المدح والغزل والرثاء والوصف وغيرها من الأغراض.

### 6- الوصف:

سار الغرناطيون على سيرة سابقهم في تناولهم لغرض الوصف، فقد لقي هذا النوع زواجاً كبيراً، وعناية بالغة من قبل الشعراء في هذا العصر، تعرّضوا فيه لوصف جمال الطبيعة الساكنة والمتحركة ووصف زوعة منشآتها المعمارية.

يعدّ "ابن زمرك" من الزُّواد الذين أكثروا وتفنّنوا في وصف جمال طبيعة المملكة، من ذلك ما قاله في هضبة السَّبِيكة المزيّنة بالبساتين والأزهار، وشبه التَّهر المحيط بها بالوشاح:

قف بالسَّبِيكة وانظر ما بساحتها      عقيلةً والكثيبُ الفردُ جالها  
تقلدت بوشاح التَّهرِ وابتسمت      أزهارها وهي حليٌّ في تراقمها<sup>1</sup>

واهتم أيضاً بوصف جمال الزُّهور والورود، التي كانت متواجدة بكثرة في البساتين والحدائق، من ذلك ما قاله في زهر القرنفل<sup>2</sup>:

رعى الله زهراً ينتهي لقرنفلٍ      حكى عُرفَ مَنْ أهوى وإشراقَ خدِّه  
ومَنبَتَه في شَاهِقٍ مَتَمَّعٍ      كما امتنعَ المحبوبُ في تيهِ صَدِّه

وقال أيضاً في نفس المعنى<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> - نفع الطيب، ج7، ص177.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يقرُّ بعيني أن أرى الزهريانعاً      وقد نازعَ المحبوبَ في الحسنِ وصفهُ

وما أبصرتُ عيني كزهريَ قرنُفٍ      حكى خدَّ من يسبي الفؤادَ وعرفهُ

تمنَّعَ في أعلى الهضابِ لمجتني      تمنَّعَه منِّي إذا رمتُ إلفهُ

وفي جبلِ الفتحِ اجتَنَوْهُ تفاعُلاً      بفتحِ لبابِ الوصلِ يمنحُ عطفهُ

من الشعراء البارزين الذين تغنوا أيضا بجمال غرناطة وسحر طبيعتها ابن خاتمة  
ومما قاله فيها:

وما بالُ صُدغِ الآسِ أخضرَ ناصعاً      وما بالُ خَدِّ الوردِ أحمرَ قانيا

وما لِثغورِ الزَّهْرِ تُلقَى بَواسِماً      إذا ما عُيونُ القَطْرِ ظَلُنَّ بَواكِيا

وما لبطاحِ الأرضِ أُبدعَ رَقْمُها      فراقَتِ أساريراً ورقَّتِ حواشِيا<sup>1</sup>

فلقد أبدع الشاعر في وصف الجمادات بالكائنات الحية، إذ نجده شبه جمال  
البساتين المُخضرة بالطاووس<sup>2</sup>:

أرضٌ مُدبَّجُهُ وظِلُّ وارِفٌ      وشذى بهِ مالُ النسيمِ رحيها

قد مدَّ طاووسُ الجمالِ جناحَهُ      فيها فغطَّى عُصونَها وكثيها

ما شئتَ من وشيِّ بها، تُورِدها      تُورِيسَها، تُفضيخَها، تُذهيها

1- ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص 29.

2- المصدر نفسه، ص 45.

واهتمَّ بوصف الفُصول، وصنَّفها من الأفضل إلى الأقل حُسناً، فنجدُه على غير العادة - أي اهتمام الشعراء بالربيع - يَصِفُ الشِّتَاءَ بِسُلْطَانِ الْفُصُولِ فِي قَوْلِهِ<sup>1</sup>:

جَاءَ الشِّتَاءُ بِغَيْمِهِ مُتَحَجِّباً      أهلاً بِسُلْطَانِ الْفُصُولِ وَمَرْحَباً  
أَعْظَمَ بِهِ مَلِكاً عَلَيْهِ مَهَابَةٌ      عَمَّتْ كَتَائِبُهُ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَا  
فَصَلُّ تَوَزَّعَ كُلُّ فَضْلِ فَضْلَهُ      فَنَمَا وَأَنَقَ حُسْنُهُ أَوْ أَخْصَبَا

كما أشاد بجمال البساتين والورود المتفتحة في فصل الربيع، نشهدُ هذا في قوله<sup>2</sup>:

أهلاً بِأَيَّامِ الرَّبِيعِ وَطَيْبِهَا      أَنَسِ الْخَلِيعِ وَنُزْهَةِ الْمُتَيْلِ  
حَشَدَ الرِّيَاضِ لَهُ جُنُودَ جَمَالِهِ      وَأَتَى بِحَافِلِ جُنْدِهِ فِي جَحْفَلِ<sup>3</sup>  
فَالطَّيْرُ تَشْدُو وَالغَدِيرُ مُصَقَّقُ      وَالقُضْبُ تَرْقُصُ وَالْأَزَاهِرُ تَنْجَلِي

وقال في فصل الصيف والخريف<sup>4</sup>:

وَأَتَى الْمَصِيفُ بِإِثْرِهِ مُتَقَيِّلاً      أَثَارَهُ فِي الْفَصْلِ نَدْباً مُخْصِيباً  
فَكَسَا الْوَجُودَ ثِيَابَ دَفءٍ وَاغْتَدَى      يُسَدِي الْهَيْبَاتِ مُشْرِقاً وَمُغْرِباً  
يُهْدِي مِنَ الثَّمَرَاتِ كُلَّ طَرِيفَةٍ      وَيُنِيلُ مِنْهَا كُلَّ شَيْءٍ يُجْتَبَى  
وَأَتَى الْخَرِيفُ بِإِثْرِ ذَاكَ مُعَاوِداً      حُسْنَ الرَّبِيعِ وَطَيْبَهُ الْمُسْتَعْدَبَا

<sup>1</sup>- ديوان ابن خاتمة الأنصاري، ص 119.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ص 42.

<sup>3</sup>- جحفل: جيش كثير العدد

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 119.

فَوْشَى ثِيَابَ الرِّوَضِ مِنْ أَوْرَاقِهِ وَشَيْئاً تَنْوَعَ صِبْغَهُ وَتَنَسَّسَ بِهَا

كما انبهر "ابن الحاج النميري" بروعة قصر الحمراء، فقال إنه لا يُضاهي جماله

فوق الأرض قصر آخر، ومدح بانيه -أبا عبد الله محمد الأول - بكلمة "خير بان":

وَقَصْرٍ بَنَاهُ خَيْرُ بَانَ فَلَمْ يَكُنْ يُضَاهِيهِ فِي الْأَرْضِ الْعَرِيضَةِ مِنْ قَصْرِ

عَجَائِبُهُ فَوْقَ الْعَجَائِبِ إِنَّهَا عَجَائِبُ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالٍ وَلَا فِكْرٍ

حَكَتْ أَرْضُهُ أَفْقَ السَّمَاءِ فَزَهْرُهَا يَنْوُبُ، بِلَا شَكِّ، عَنِ الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ

إِذَا لَمْ أَشَاهِدْهُ وَأُبْصِرْ جَمَالَهُ فَإِنَّكَ يَا إِنْسَانَ عَيْنِي لَفِي خُسْرٍ<sup>1</sup>

واهتم أيضا بوصف القصور الأخرى، ومنها قصر المشور بغرناطة<sup>2</sup>:

وَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنٌ كَمِشْوَرِهَا الَّذِي تُنَاسِبُهُ فِي رَفْعَةِ هَمَّةِ الْبَانِي

إن الحسن الموجود في هذا القصر والذي أبهزائريه حتى اليوم، كفيل بالإجابة عن

سبب اهتمام الشعراء بهذا الجمال العمراني، وهذا ابن زمرك يصفه بقوله:

فَإِنَّ حَمْرَاءَهَا وَاللَّهُ يَكَلِّوْهَا يَاقوتَةُ فَوْقَ ذَلِكَ التَّاجِ يَعْلِيهَا

إِنَّ الْبَدْرَ لَتِيْجَانٌ مُكَلَّلَةٌ جَوَاهِرُ الشُّهْبِ فِي أَبْهَى مَجَالِهَا

لَكِنَّهَا حَسَدَتْ تَاجَ السَّبِيكَةِ إِذْ رَأَتْ أَزَاهِرَهُ زَهْرًا يَجْلِيهَا

بِرُوحِهَا لِبُرُوجِ الْأَفْقِ مَخْجَلَةٌ فَشُهِبَتْ فِي جَمَالٍ لَا تَضَاهِيهَا

<sup>1</sup> - ديوان ابن الحاج النميري، ص 112.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 157.

تلك القصور التي راقت مظاهرها تهوي النجوم قصوراً عن معالمها<sup>1</sup>  
 كما ذكر الشعراء العديد من المنشآت المعمارية الأخرى، فهذا ابن خاتمة يصف  
 حماماً بقوله:

لله حمام حكّني حاله ماء يصب وحر نار تضرم  
 فكأنما نيرانه ومياهه والجسيم يلد وينعّم  
 قلب تقالب بين لذات الهوى وحشاه يضل والمدامع تسجم<sup>2</sup>

وقال في وصف الفران<sup>3</sup>:

رب فران جلا صفتح له الفران جلاء العسجد<sup>4</sup>  
 يضرم النار بأحشاء الورى مثلما يضرم في المستوقد

ولقد اهتموا بوصف الحيوانات، وكانت الخيل تحتل المرتبة الاولى في ذلك،  
 لإعجابهم بها وأهميتها في حياة المملكة، يقول "ابن الحاج النميري" فيها<sup>5</sup>:

ولي فرس من عليه الشهب سابق أصرفه يوم الوغى كيف أطلب  
 غدوت له حلبه القوم مالكا فتابعني منه كما شاء أشهب

<sup>1</sup> - نفع الطيب، ج7، ص 172.

<sup>2</sup> - ديوان ابن خاتمة، ص 148.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 204.

<sup>4</sup> - العسجد: الذهب، وقيل: هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت

<sup>5</sup> - ديوان الحاج النميري، ص 48.

لا يمكن الحديث عن وصف الخيول، دون الحديث عن مكاتها في صفوف الجيش

الغرناطي ومن هذا ما قاله ابن الحاج البلفيقي في وصف جمالها وسرعتها ، وقوتها: <sup>1</sup>

وَمَا أَتَتْ أَرْضَ الْعَدُوِّ جِيُوشُهُ      تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْحَرْبَ ضَرَبَ مِنْ السِّحْرِ  
وَلَمْ أَرَ إِلَّا الْخَيْلَ صُفَّتْ صُفُوفُهَا      فَقَلْتُ: عُقُودٌ قَدْ نُسِقْنَ عَلَى نَحْرِ  
وَجَالَ عَلَى الْأَفَاقِ مُسَوِّدٌ نَقْعُهَا      فَقَلْتُ: طُرُوسٌ زَانَهَا الْخَطُّ بِالْحَبْرِ

ومن أصناف الوصف التي استخدمها الغرناطيون، وصف المهن التي كانوا

يمتهنونها، من هذا ما قاله أبو البركات ابن الحاج البلفيقي في حبه لمهنة البناء:

في احتفارِ الْأَسَاسِ وَالْأَبَارِ      وَاَنْتَقَالَ التُّرَابِ وَالْجَيَّارِ  
وَقَعُودَتِي مَا بَيْنَ رَمَلٍ وَأَجُ      رَّوَجَصٍ وَالطُّوبِ وَالْأَحْجَارِ  
وَأَمْتَهَانِي بُرْدَيَّ بِالطِّينِ وَالْمَا      ءِ وَرَأْسِي وَلِحْيَتِي بِالغُبَارِ  
نَشْوَةٌ لَمْ تُمَرَّقْطْ عَلَى قَلْبِ      بِ خَلِيْعٍ وَمَالِهَا مِنْ خُمَارِ  
مَنْ عَنَدِي مِنْ لَائِمٍ فِي بِنَائِي      وَهَوْلِي التُّرْجَمَانُ عَنْ أَخْبَارِي <sup>2</sup>

مما سبق يتبين لنا أن شعراء بني الأحمس قد وصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم،

فخلدوا في قصائدهم روعة جمال الطبيعة الساكنة والمتحركة، وجمال القصور والمنشآت

المعمارية التي لا تزال حتى اليوم تأسر الزائرين بجمالها.

<sup>1</sup> - ديوان ابن الحاج النميري، ص 113.

<sup>2</sup> - شعر أبي البركات ابن الحاج البلفيقي، عبد الحميد عبد الله الهرامة، ص 18.

7- الرثاء:

الرثاء فن قديم في الأدب العربي، تناوله الشعراء على مرّ العصور. ذلك لأن الموت جزء من الحياة، ومُعاناة فقدٍ عزيز تبقى مُستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. لقد عُرف هذا العصر بكثرة المراثي، التي تعددت موضوعاتها منها ما يلي:

أ- رثاء النفس:

لقد رثى بعض الشعراء أنفسهم وذلك لإيمانهم بحقيقة الموت وأن كلَّ من عليها فان، ومعبرين عن حسرتهم لفراق الأهل والأحبة. فهذا ابن الخطيب يرثي نفسه:

بُعْدنا وإنْ جاورتنا البُيوتُ      وجئنا بوعظٍ ونحن صموتُ  
وأنفاسُنا سَكنتْ دفعة      كجهرِ الصلاةِ تلاهُ القنوتُ  
وكُنَّا عِظاماً فصرنا عِظاماً      وكُنَّا نقوتُ فها نحنُ قوتُ<sup>1</sup>

وخاطب أعداءه الذين كان مُتأكداً من شماتتهم فيه، مُذكراً إياهم بحقيقة الموت:

فَقُلْ لِلْعِدَاءِ ذَهَبَ ابْنُ الْخَطِيبِ      وفات، ومن ذا الَّذِي لا يَفوتُ  
فمن كان يفرحُ منكمُ له      فقل يفرحُ اليومَ من لا يَموتُ<sup>2</sup>

كما نظم هؤلاء الشعراء مقطوعات خصَّصوها لِتُكتبَ على شواهد قبورهم، منها ما قاله أبو البقاء الرندي طالباً الدُّعاءَ بِالرَّحمةِ وَالْمَغْفرةِ من كل واقفٍ على قبره:

خَليليَّ بِالوَدِّ الَّذِي بَيْننا اجعلا      إذا متُّ قَبْرِي عُرْضَةً لِلنَّارِ حُم

<sup>1</sup>- روضة التعريف بالحب الشريف، ابن الخطيب، ص26.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

عسى مسلمٌ يدنوا فيدعوا برحمةٍ      فإني مُحتاجٌ لدعوةٍ مُسلم<sup>1</sup>

كما رثى مالك بن المرحل نفسه وأمر بكتابة هذه الأبيات على شاهد قبره:

زُرْ غَرِيْبًا بِمَغْرِبٍ      نَازِحًا مَالًا وَلِي

وَلْتَقُ لِعِنْدِ قَبْرِهِ      بِلِسَانِ التَّائِدِ لِي

رَحِمَ اللهُ عَبْدَهُ      مَالِكَ بِنِ المَرْحَلِ<sup>2</sup>

ب- رثاء الأشخاص:

لقد رثى الشعراء أحبائهم وأقرباءهم، وخلصوهم في الكثير من القصائد، من بينهم ابن الخطيب الذي نظم قصيدة مؤثرة في رثاء ولده، الذي استشهد في "معركة طريف" سنة 741هـ:

سِيْهَامُ المَنَايَا لَا تَطِيْشُ، وَلَا تُخْطِي      وَلِلدَّهْرِ كَفٌّ يَسْتَرِدُّ الَّذِي يُعْطِي

وَإِنَّا وَإِنْ كُنَّا عَلَى تَبِجِ<sup>3</sup> الدُّنَا      فَلابُدَّ، يَوْمًا، أَنْ نَحُلَّ عَلَى الشَّطِّ

وَسِيَّانِ ذُلِّ الفَقْرِ، أَوْ عِزَّةِ الغِنَى،      وَمَنْ أَسْرَعَ السَّيْرِ الحَثِيثَ، وَمَنْ يُبْطِي<sup>4</sup>

فقد أشار في هذه الأبيات إلى تسليمه بقضاء الله وقدره، وأقرباً الموت علينا حق، وأنه يساوي بين الغني والفقير وبين القوي والضعيف.

<sup>1</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج 2، ص 340.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، مج 2، ص 325.

<sup>3</sup> - التَّبِجُ: وسط الشيء أو معظمه. راجع لسان العرب، مادة تبج.

<sup>4</sup> - ديوان لسان الدين بن الخطيب، صنعه وحقَّقه وقَدَّم له د. محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع،

الدار البيضاء - المغرب، ط 2، 1428هـ/2007م، مج 2، ص 463.

وهذا ابن الجياب أيضا يرثي ابنه محمد أبي القاسم الذي توفي في عز شبابه :

هُوَ الْبَيْنُ حَتْمًا لَا لِعَلٍّ وَلَا عَسَى فَمَا بِالْ نَفْسِي تُفِضُ عَنْهُ أَسَى  
وَمَا لِفُؤَادِي لَمْ يَدُبْ مِنْهُ حَسْرَةٌ فَتَبًّا لِهَذَا الْقَلْبِ سَرْعَانَ مَا قَسَا<sup>1</sup>  
وخاطبه في قوله<sup>2</sup>:

أَبَا الْقَاسِمِ اسْمِعْ شَجْوًا<sup>3</sup> وَالِدِكَ الَّذِي حَسَا مِنْ كَوْوسِ الْبَيْنِ أَفْضَعَ مَا حَسَا  
وَقَفْتُ فُؤَادِي مَذْ رَحَلَتْ عَلَى الْأَسَى وَأَشْهَدُ لَا يَنْفِكُ وَقَفًّا مُحَبَّسَا  
وَقَطَّعْتُ آمَالِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَلَسْتُ أَبَالِي أَحْسَنَ الْمَرْءِ أَمْ أَسَا  
تَوَارَيْتَ يَا شَمْسِي وَبَدْرِي وَنَاطِرِي فَصَارَ وَجُودِي مَذْ تَوَارَيْتَ حِنْدِسَا<sup>4</sup>

وذكر عادة معروفة في الجنائز وهي عادة شق الثياب:

لَمْ أَوْفِ عَهْدِكَ إِذْ دَفَنْتُكَ ثُمَّ لَمْ أَشُقُّ فُؤَادِي لِأَشُقُّ ثِيَابِي<sup>5</sup>  
كما رثوا أصدقاءهم تعبيراً منهم عن الوفاء والإخلاص، من ذلك ما قاله ابن  
الخطيب في رثاء ثلاثة من أصدقائه "يعقوب، إبراهيم، أحمد" تقاربت وفياتهم، فغياهم  
في نفس الفترة شكّل له فراغا كبيرا، وأكد على مكانة ومعزة كل واحد منهم، فلم ينسه  
وفاة أحدهم بالآخر:

رَمَانِي بِيَعْقُوبَ الزَّمَانُ، وَبَعْدَهُ رَمَانِي بِإِبْرَاهِيمَ فَنَدَانِكَ، سَهْمَانِ؟

1- الإحاطة، ابن الخطيب، مج 4، ص 108

2 - المصدر نفسه، مج 4، ص 109

3 - الشجو: الهم والحزن وَالْحَاجَةُ وَيُقَالُ بَكَى فَلَانَ شَجُوهُ.

4 - الحنّس: اللَّيْلُ الشَّدِيدُ الظُّلْمَةُ.

5 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وإن كان ما بين الخطوب تفاضلٌ فلا مثل فقدي أحمد بن سليمان  
فإني إن أدرجت محض مسرتي وجملة أنسي بين لحدٍ وأكفانٍ  
فوالله ما أنساني الدهرُ أولاً بثانٍ ولا أنسيتُ بالثالثِ الثاني<sup>1</sup>  
كما رثوا مشايخهم وبعض الشخصيات المعروفة في زمانهم، فهذا السلطان  
يوسف الثالث يرثي ابن زمرك الذي تعرض للقتل في داره:

يا نائم الجفن أسعف دائم السهر يبكي دماً لقتيل الصّارم الذكر  
كم ذا الرقاد وهذا الدهر يفجعنا أما تفيق لهذا الحادث النكر  
أودى الزمان بمن كنا نلوذ به في حالتيه معاً في العسر واليسر<sup>2</sup>

وذكر ابن الحاج النميري حادثة فقال: رأيت في منامي كأني أمام دار الشيخ أبي  
عبد الله بن عاصم ومعي بعض الأصحاب، فأنشدني في النوم نصف بيت، كأنه أراد أن  
أزيد عليه في رثاءه: خطوبٌ على قدر المصابٍ منالها

فقلت في اليقظة: فالأغرؤ أن أحيى النفوس احتمالها

ثم بنى على هذا البيت قصيدة قال فيها<sup>3</sup>:

خطوبٌ على قدر المصابٍ منالها فلا غرؤ أن أعيأ النفوس احتمالها  
سرت تبعث الأشجان نحوي موهناً فما راع مّي القلب إلا اشتعالها

<sup>1</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج 2، ص (623- 624).

<sup>2</sup> - ديوان ابن فركون، ص 25. نقلا عن ديوان يوسف الثالث، ص 75.

<sup>3</sup> - ديوان ابن الحاج النميري، ص 132.

وَشَنَّتْ مِنَ التَّبْرِيحِ وَالوَجْدِ غَارَةً يَضِيقُ عَلَى رَبِّ الحُرُوبِ مَجَالَهَا

وقال أيضا:

لَعَمْرُكَ مَا الأَيَّامُ بَعْدَ ابْنِ عاصِمٍ بِتِلْكَ الأَتِي رَقَّتْ وَرَاقَ جَمَالُهَا

وَلَا الحَيُّ ذَاكَ الحَيُّ هَمَّاتٍ إِنَّمَا مَضَتْ بِهَجَّةِ الدُّنْيَا وَغَاضَ نَوَالُهَا<sup>1</sup>

ج- رثاء السلاطين والأمراء:

لقد نظم الشعراء العديد من القصائد في رثاء السلاطين، وكل من يتصل بهم برابط القرابة، من باب الإخلاص والوفاء أحيانا، والمجاملة أحيانا أخرى. وذلك بغية التقرب منهم ونيل الجاه والمال.

اختلفت طرق تعبيرهم عن هذا الحزن، كل شاعر عبّر عن ذلك بطريقته الخاصة. فهذا لسان الدين بن الخطيب يرثي السلطان "أبا الحجاج" في قصيدة طويلة فاقت سبعين بيتاً، نظمها على شكل حوار، خاطب فيه قبر السلطان وأخبره بحزنه لفراقه، وحزن المملكة بأكملها في قوله<sup>2</sup>:

مَوْلَايَ، كَمْ هَذَا الرُّقَادُ؟ إِلَى مَتَى، بَيْنَ الصَّفَائِحِ، وَالتُّرَابِ تَنَامُ؟

أَعِدِ التَّحِيَّةَ، وَاحْتَسِبِهَا قُرْبَةً إِنْ كَانَ يُمَكِّنُكَ، الغَدَاةُ وَالكَلامُ

تَبْكِي عَلَيَّ، مَصَانِعُ شَيْدَتِهَا بِيضٌ، كَمَا تَبْكِي الهَدِيلَ حَمَامُ

تَبْكِي عَلَيَّ، مَسَاجِدُ عَمَّرَتِهَا فَالنَّاسُ، فِيهَا سُجَّدٌ وَقِيَامُ

تَبْكِي عَلَيَّ، خَلَائِقُ أَمَّنَّتِهَا بِالسَّلَامِ، وَهِيَ كَأَنَّهَا أَنْعَامُ

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص 136.

<sup>2</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج 2، ص 557.

ختم هذه القصيدة مودعاً قبر السلطان بالدموع الغزيرة من شدة حزنه على

فراقه:

حَسْبِي بِأَنْ أَغْشَى ضَرْيَحَكَ لِاثِمًا وَأَقُولُ: وَالِدَمْعُ السَّفُوحُ سِجَامٌ  
يَا مَدْفَنَ التَّقْوَى، وَيَا مَثْوَى الْهُدَى مَنِّي عَلَيْكَ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ  
أَخْفَيْتُ مِنْ حُزْنِي عَلَيْكَ، وَفِي الْحَشَا نَارُهَا بَيْنَ الضَّلُوعِ، ضِرَامٌ<sup>1</sup>

إنّ نظام الحكم في المملكة كان وراثياً كما ذكرنا سابقاً، هذا ما دفع بعض الشعراء إلى نظم قصائد جمعوا فيها بين العزاء والتهنئة، حتى أن البعض منهم قسم القصيدة إلى شطرين افتتحها بالتعزية ورتاء الملك المتوفى، والشطر الثاني خصّصه لتهنئة الملك الجديد الذي تولى الحكم بعده.

نستشهد في هذا المقام بقصيدة نظمها ابن زمرك رثى فيها السلطان "الغني بالله" وهناً ولده يوسف الثاني لتقلده الحكم. لقد تفنّن الشاعر فيها ومزج بين العزاء والتهنئة في بيت واحد حين قال:

عَزَاءً فَإِنَّ الشَّجْوَقَ كَادَ يُسْرِفُ وَبُشْرَى بِهَا الدَّاعِي عَلَى الْفَوْزِ يُشْرِفُ  
لَئِنْ غَرَبَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ مُحَمَّدٌ لَقَدْ طَلَعَ الْبَدْرُ الْمَكَّمَلُ يُوسُفُ  
وَإِنْ رُدَّ سَيْفُ الْمَلِكِ صَوْنًا لِغَمِّهِ فَقَدْ سُلَّ مِنْ غَمِّ الْخِلَافَةِ مُرْهَفُ  
وَإِنْ طَوَّتِ الْبُورِدُ الْيَمَانِي يَدُ الْبَلَى فَقَدْ نُشِرَ الْبُرْدُ الْجَدِيدُ الْمُقَوَّفُ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - المصدر السابق، مج 2، ص 558.

<sup>2</sup> - ديوان ابن زمرك، ص 442.

ولان فركون هو الآخر قصيدة قالها في أول يوم وليّ فيه الملك أبو عبد الله محمد العرش بقبة مشوره رثى فيها والده وهناك بتولية العرش فقال:

أَخْطَبُ هَوَىٰ بِالنِّيَّاتِ مِنَ الْعُلَا وَبُشْرَىٰ بِهَا وَجْهُ الزَّمَانِ تَهَلَّلَا  
قَضَىٰ نَحْبَهُ مَوْلَى الْمُلُوكِ وَأَعْمَلْتُ رَكَئِبُهُ حَتَّى الْمَعَادِ تَرْحُلَا  
وَفَارَ ابْنُهُ الْأَرْضَى وَحَافِظُ عَهْدِهِ بِمَا حَازَهُ مِنْ مُلْكِ آبَائِهِ الْأُلَى  
عَلَى صِغْرِ السِّنِّ اسْتَقَلَّ بِرُبِّيَّةٍ تَحَمَّلَ مِنْ أَعْبَائِهَا مَا تَحَمَّلَا<sup>1</sup>  
وأشار إلى عودة الفرح والسرور إلى المملكة بعد الحزن الذي خيم عليها بوفاة الملك الوالد فقال:

فإن غاب نور البدر أو مَنَعَ الحَيَا نَدَاهُ فَهَذَا الْبَحْرُ وَالْفَجْرُ يُجْتَلَى  
وإن غَرِبَ النُّجْمُ الَّذِي كَانَ يُهْتَدَى بِهِ فَمَحَيَا الصُّبْحِ قَدْ لَاحَ مُقْبِلَا  
وإن كَانَ وَادِي النَّيْلِ جَفَّ مَعِينُهُ فَهَذَا هُوَ النَّيْلُ الَّذِي يُنْبِتُ الْكَلَا<sup>2</sup>  
وتحدّث ابن زمرك عن حزنه بوفاة السلطان "الغني بالله" بطريقة مختلفة، بحيث جعل الطبيعة تُعبّر عن أساها وحُزنها، فصوّر لنا الأرض والسحب والشهب تبكي والنجوم تأفلُ حِدادًا عليه في قوله:

سَتَبْكِيكَ أَرْضٌ كُنْتَ غَيْثَ بِلَادِهَا وَتَبْكِيكَ حَتَّى الشُّهْبُ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ  
وَتَبْكِي عَلَيْكَ السُّحْبُ مِلءَ جُفُونِهَا بِدَمْعٍ يُرْوِي غُلَّةَ الْمُجْدِبِ الصَّدي

<sup>1</sup> - ديوان ابن فركون، 384.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وَتَلَبَّسُ فِيكَ النَّيِّرَاتُ ظَلَامَهَا جِدَادًا وَيُذَكِّي النَّجْمُ جَفْنَ مُسَهَّدٍ

وَمَا هِيَ إِلَّا أَعْيُنٌ قَدْ تَسَهَّدَتْ فَكَحَّلَهَا نَجْمُ الظُّلَامِ بِإِثْمِ دِ1

كما رثى الشعراءُ الوزراءَ، من باب الوفاء للصدقة التي جمعت بينهم، وربّما لدوافع أخرى. نتشهد هنا ببعض الأبيات التي قالها "ابن شبرين" في رثاء الوزير "ابن الحكيم" الذي مات مقتولاً، أشاد بالصفات الحميدة التي اتصف بها من كرم وجود في قوله<sup>2</sup>:

فيا أيها الميْتُ الكريمُ الذي قضى سعيدًا حميدًا فاضلاً ومفضلاً

لتهنك من ربِّ السماء شهادةً تلاقي ببشرى وجهك المتهللاً

رثيتك عن حبِّ ثوى في جوانحي فما ودع القلب العميدُ وما قلى<sup>3</sup>

مما سبق يتبيّن لنا أن قصائد رثاء الملوك قد تنوعت وتعددت مضامينها، فنجدها تشتمل على تأبين للميت والإشادة بفضائله وتحسُّراً عليه، وكذلك تحتوي على الحكم والمواعظ، كما أنّها جمعت بين الحُزن والأسى، والبهجة والفرحة في تهنئة للملك الذي يتربع العرش بعد الملك الفقيد.

#### د- رثاء العلماء والأدباء:

عُرف عصر بني الأحمر بظهور العديد من الشخصيات التي ذاع صيتها في السّاحة الفكرية والثقافية، فحزن الشعراء لفقدانهم، لذلك خلدوا ذكراهم في قصائد خصّصوها

<sup>1</sup> - ديوان ابن زمرك، ص 390.

<sup>2</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 5، ص 541.

<sup>3</sup> - اقتبس من قوله تعالى: " ما ودعك ربك وما قلى". سورة الضحى : الآية 03.

لرثائهم وتأبينهم، فهذا " القاضي ابن شبرين " يرثي " محمد بن البلوي " ويبكي بحرقه عليه في قوله:

يا عَيْنَ حَيِّ بِدَمْعٍ وَاكِفٍ سَرِبٍ لِحَامِلِ الْفَضْلِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ  
أَجَابَ دَمْعِي إِذَا نَادَى النَّعْيُ بِهِ لَوْ غَيْرَ مَنْعَاهُ نَادَى الدَّمْعَ لَمْ يُجِبْ<sup>1</sup>

أشاد الشعراء في هذه المرثي بالمكانة العلمية، يتجلى ذلك في رثاء لسان الدين ابن الخطيب للوزير ابن جياب، حيث وصفه بالموسوعة لجمعه بين مختلف المعارف والفنون في قوله:

خَطَبٌ أَصَابَ بَنِي الْبَلَاغَةِ، وَالْحِجَا شَبَّ الرَّفِيفِ رُبُّهُ عَنِ الْأَطْوَاقِ  
كَنَزُ الْمَعَارِفِ لَا تَبِيدُ نُقُودُهُ يَوْمًا، وَلَا تَفْنَى عَلَى الْإِنْفَاقِ  
مَنْ لِلْفَنُونِ يُجِيلُ، فِي مَيَدَانِهَا خَيْلَ الْبَيَانِ كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ  
مَنْ لِلْحَقَائِقِ أَهَمَّتْ أَبْوَابُهَا لِلنَّاسِ يَفْتَحُهَا عَلَى اسْتِغْلَاقِ<sup>2</sup>

وله أيضا قصيدة أخرى خاطب فيها أهله وذكرهم بضرورة الصبر والرضى بقضاء الله وقدره:

صَبْرًا "بَنِي الْجِيَابِ" إِنَّ فَقِيدَكُمْ سَيُسْرُ مَقْدُمُهُ بِمَا هُوَ لَاقِي  
وَإِذَا الْأَمْسَى لَفَحَ الْقُلُوبَ أَوَارُهُ فَالصَّبْرُ وَالتَّسْلِيمُ أَي رِوَاقِ<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج3، ص221.

<sup>2</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج2، ص709.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، مج2، ص711.

هـ- رثاء المدن:

عُرف هذا العصر بانتشار هذا النوع من الشعر، فقد نُظمت العديد من القصائد في رثاء المدن والقلاع الساقطة في يد الإسبان، مُستنجدين فيها بالدُول المُجاورة من المرينيين والحفصيين وغيرهم، لِنَجدة ما بقي من المُدن، وهذا دليل على حُبهم الشَّديد لوطنهم وتمسُّكهم به، وسنورد بعض الاستشهادات، منها ما نظمته "أبو البقاء الرندي" في نونيه الشهيرة والتي مطلعها:

لكلِّ شيء إذا ما تمَّ نُقصانُ      فلا يُعزَّبُ طيبُ العيشِ إنسانُ  
هيَ الأمورُ كما شاهدتها دُولُ      من سرَّه زَمَنٌ ساءتُه أزمانُ  
وهذه الدارُ لا تُبقي على أحدٍ      ولا يدومُ على حالٍ لها شأنُ<sup>1</sup>

ذكرنا الشاعر في هذه الأبيات بحقيقة أن كل شيء آخذ في الزوال وأن البقاء لله وحده، وأن الدنيا لا تدوم على حال واحدة بل هي مُتغيرة ومُتبدِّلة، فيوم لك ويوم عليك. وقال أيضا:

دهى الجزيرة أمرُّ لا عزاءَ له      هوى لَه أُحدٌ وانهدَّ ثهلانُ<sup>2</sup>  
أصابها العينُ في الإسلام فامتحنَتْ      حتى خلت منه أقطارُ وبلدانُ  
فاسأل بلنيسةً ما شأنُ مُرسيةٍ      وأين شاطبةٌ أم أين جيانُ  
وأين قُرطبةٌ دارُ العلومِ، فكَم      من عالمٍ قد سَمَّا فيها له شأنُ  
وأين حمصُ وما تحويه من نزه      ونهرها العذبُ فيَّاضٌ ومالانُ

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج4، ص486.

<sup>2</sup> - ثهلان هو جبل أسود عالي في نجد، اشتهر بكثرة الوديان والشعاب.

قواعدُ كُنَّ أركانَ البلادِ فما عسى البقاءُ إذا لم تَبَقْ أركانُ<sup>1</sup>  
 وحدَّثنا في هذه الأبيات عن المآسي التي حلَّت ببلاد الاندلس، متسائلاً: أين بلنيسة،  
 مرسية، قرطبة، وشاطبة، جيان، وحدَّثنا كيف هَوَّت وانهدت بتعبير مجازي مُشبهاً إياها  
 بسقوطِ جبلٍ أحدٍ وجبلِ ثهلانٍ في نجد.

ليختم هذه القصيدة بصورة مؤلمة تحدَّث فيها عن حالة المسلمين الذين تم  
 أسرهم وبيعهم كعبيد، وشبّه صورة انتزاع الطفل من حضن أمه بصورة انتزاع الروح من  
 الجسد في قوله:

ولورأيت بُكاهم عندَ بَيعِهِمْ لِهالِكِ الأمرِ واستهوتك أحزانُ  
 يا رَبِّ أمٍ وطفلي جيلَ بينهما كما تَفَرَّقُ أرواحُ وأبدانُ<sup>2</sup>  
 ورثى المساجد التي حولها الاسبان إلى كنائس والدِّمار والخراب الذي حل بها، في  
 قوله:

تبكي الحنيفةُ البيضاءً مِن أسفٍ كما بكى لِفراقِ الإلفِ هيمانُ  
 على ديارٍ من الإسلامِ خاليةٍ قد أفقرت ولها بالكُفرِ عُمرانُ  
 حيثُ المساجدُ قد صارتُ كنائسَ ما فمهنَّ إلا نواقيسٌ وصُلبانُ<sup>3</sup>  
 كما رثى "ابن جابر الضير" وطنه ألمرية فقال فيها:

لله عيشٌ بالمريّةِ قد ذهبَ أخبارُهُ بالحُسْنِ تُكتبُ بالذَّهَبِ

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج4، ص487.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج4، ص488.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج6، ص244.

وَهَبْتُ لَنَا تِلْكَ اللَّيَالِي مُدَّةً ثُمَّ اسْتَرَدَّ الدَّهْرُ مِنَّا مَا وَهَبْتُ<sup>1</sup>

و- رثاء الحيوانات:

لقد قام بعض الشعراء بالتعبير عن حزنهم وفقدهم لبعض حيواناتهم، في قصائد ذكروا فيهم مدى تعلقهم بها<sup>2</sup>، منها ما قاله عبد الكريم البسطي في رثاء خروف له بعدما ضحى به في العيد فقال:

أَيُّ أَنْسٍ بِلِ أَيْ صَبْرٍ أَلْوَفِ يَرْتَجِي مِثْلِي بَعْدَ مَوْتِ الْخُرُوفِ  
وَلَقَدْ كَانَ لِي ضَحِيَّةَ عَيْدٍ ذَاتَ قَرْنَيْنِ رَائِقَتَيْنِ وَصُوفِ  
كَمْ شَعِيرٍ أَطْعَمْتُهُ مَعَ فَوْلِ كُلُّهُ مُحَكَّمٌ وَكَمْ مِنْ رَغِيفِ<sup>3</sup>

8- الزهد:

عرف شعر الزهد انتشارا كبيرا في هذه الفترة، نتيجة تضافر العديد من العوامل أهمها: الصراعات الداخلية والواقع المير الذي عاشته المملكة، الذي أدى إلى زهد الناس في الحياة، والفساد الأخلاقي وانتشار ومجالس اللهو والخمر، إلى جانب الفقر، وكذلك كثرت الرحلات الدينية إلى المشرق والحجاز، والاحتكاك بالزهاد والفقهاء، كل هذه الأسباب

<sup>1</sup> - الحلة السيرا في مدح خير الوري، ابن جابر الأندلسي، ص.15

<sup>2</sup> - راجع البعد الإنساني.

<sup>3</sup> - شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير إعداد: فاطمة مفلح مرشد العبدالات، إشراف حمدي منصور. كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون الاول سنة 2002م ص130. نقلا عن ديوان عبد الكريم البسطي، ص164.

دَفَعَت بالكثيرين إلى الزُّهد والعُزوف عن ملاذ الحياة والتَّفكير في الموت، واللُّجوء إلى الله سبحانه وتعالى طمعا في نيل الجنة<sup>1</sup>.

فبرز شعر الزهد العامر بالتقوى والإيمان، دعوة لتوعية الناس، من أشهر رواده نذكر: "ابن عاصم"، "ابن خاتمة"، "ابن شبرين"، "ابن الحاج البليقي"، "ابن جزي الكلي"، وغيرهم كثير.

وظهرت العديد من المصنفات في هذا المجال منها "كتاب جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى" لابن عاصم، ذكر لنا مؤلف هذا المصنف ست صور للابتلاءات وأرشدنا إلى الخطوات التي تُسيِّر للناس مواجهتها: أولها التسليم بحقيقة أن الله هو أرحم بك من نفسك، والتسليم بأن الله منزّه عن الظلم، وأن الدنيا ما هي إلا طور من أطوار الحياة، وان صفاء القلوب ونقاءها ومحبة الله من سُبُل الرضا بقضاء الله وقدره<sup>2</sup>.

لقد حدثنا ابن عاصم عن بعض الابتلاءات التي واجهته في حياته فقال:

أنا ممّا جَنَيْتُ في ظُلُماتٍ طَبَّقْتُ لي ما بينَ شَرْقٍ وغَرْبٍ  
 حمَلتُني أوزارُها كُلَّ ثَقُلٍ أنا مِنْهُ ما بينَ خَوْفٍ ورُعبٍ  
 وغزاني للابتلاءِ أيُّ جَيشٍ أنا مِنْهُ ما بينَ طَعْنٍ وضَرْبٍ  
 وِجْدِي بالسُّيئاتِ انتفاءً حالَ فرضِ الدُّعاءِ مِنْهُ بحَجَبٍ

<sup>1</sup> ينظر: الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين- دراسة موضوعاتية فنية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم، إعداد: أحمد عبيدي، إشراف: محمد الأخصر الزاوي، جامعة الحاج لخضر باتنة، سنة 2004م-2005م، ص (141- 142) بتصرف.

<sup>2</sup> ينظر: جنة الرضا والتسليم لما قدره الله وقضى، ابن عاصم، ص (80- 86).

فبفكري في أمرها طارَ عَقلي وَيَخوفي مِن شَرِّها طاشَ لُبِّي<sup>1</sup>

لم يستسلم الشاعر لهذه الابتلاءات بل صبر ودعا الله ليرفعها عنه وكان متيقناً من أن الله هو مفرج الكرب والمحن فقال:

لَسْتُ أَخشى بُؤساً وَلَا أَتَقِيهِ مِن سِوَاها عِنْدَ انْفِرادي بِرَبِّي

دَهَمْتَنِي بِكُلِّ خَطبٍ وَإِنِّي لَسْتُ أَرجو سِوَاهُ في كَشْفِ خَطْبِي

طَرَقْتَنِي بِكُلِّ كَرَبٍ وَإِنِّي مِنْهُ مُسْتَوثِقٌ بِتَفْرِيحِ كَرْبِي<sup>2</sup>

وتحدث عن رحمة الله ولطفه بعباده وأنه قادر على كل شيء في قوله:

كَمْ صَحيحٍ قَدَ أَسَقَمْتُ وَسَقِيمٍ قَدَ أَصَحَّتْ وَلَمْ يُعَانَ بِطَبِّ

وَعَنِي قَدَ أَفْقَرْتُهُ بِكَسَبٍ وَفَقِيرٍ أَغْنَيْتُهُ مِن غَيْرِ كَسَبٍ

بَيْنَمَا الشَّمْسُ قَدَ أَنْارَتْ بِشَرْقٍ غَالَ مِن نُورِها الأَفْولُ بِغَرْبٍ

والذي سُرِّفِي الصَّبَّاحِ بِصُنعٍ رُبَّمَا سِئَاءَ في المِساءِ بِكَرْبٍ<sup>3</sup>

وقال "الخضر بن أبي العافية" عن غدر الزمان وضرورة التمسك بحبل الله والرضا

بما قدره:

إِن أَرَاكَ الزَّمَانَ وَجَهًّا عَبوساً سَوفَ تَلقَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ طَلَقاً

لَا يَهْمُنُكَ حالُهُ إِنَّ في طَرَفِ عَينٍ يَرتاحُ فيهِ وَيَشقى

<sup>1</sup>-جنة الرضا، ابن عاصم، ج1، ص146.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، ج1، ص147.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ج1، ص148.

أَيَّ عَزْرٍ رَأَيْتَ أَوْ أَيَّ ذَلٍّ بَدَوِي الْحَالَتَيْنِ فِي الدَّهْرِ يَبْقَى  
وَتَفَكَّرْ وَقُلْ بَغْيَ رَارِ تِيَابِ كُلِّ شَيْءٍ يَفْنَى وَرُبُّكَ يَبْقَى<sup>1</sup>

إن مَنبَع الرُّهْدِ فِي نَظَرِ "ابن خاتمة الأنصاري" لا يَكْمُنُ فِي الظُّهُورِ بِثِيَابِ رَثَةٍ  
بَالِيَةٍ، وَالْعُزُوفِ عَنِ مِلْدَاتِ الْحَيَاةِ، بَلْ هُوَ يَنْبَثِقُ مِنْ تَقْوَى اللَّهِ، وَتَقْدِيمِ الطَّاعَاتِ لَهُ يَقُولُ  
فِي ذَلِكَ:

مِالِكُ الْأَمْرِ تَقْوَى اللَّهِ فَاجْعَلْ تُقَاهُ عُدَّةً لِصَلَاحِ أَمْرِكَ  
وَبَادِرْ نَحْوَ طَاعَتِهِ بِعَزْمٍ فَمَا تَدْرِي مَتَى يَمْضِي بِعُمْرِكَ<sup>2</sup>

وكان إعلان التَّوْبَةِ مِنْ أَوْلَى الخُطُواتِ، نَجَدَ العَديدَ مِنَ الزُّهَادِ قَدْ صَرَّحُوا بِارتكابهم  
الدُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَعَبَّرُوا عَنِ نَدَمِهِمْ وَتَوْبَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَه ابْنُ  
عَاصِمٍ:

أَنَا عَاصٍ وَكُلُّ وَصْفٍ لِعَاصٍ نَرْتَضِيهِ فَإِنِّي عَنْهُ مُبْنِي<sup>3</sup>

وقال أيضا "ابن جزي الكلبي" طامعاً في رحمة الله ومغفرتة:

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَدًا  
وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِ وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلَدًا  
فَانظُرْ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكَنتِي وَلَا تُذِقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - جنة الرضا، ابن عاصم، ج1، ص 105.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص 143.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص 147-148..

<sup>4</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج3، ص13.

وتحدث "محمد بن عبد الواحد البلوي" عن تقصيره في العبادات وطالبا المغفرة من الله في قوله:

إلهي، أجزني إنني لك تائب وإنني من ذنبي إليك لهارب  
عصيتك جهلاً ثم جئتُك نادماً مُقِرّاً وقد سُدَّتْ عَلَيَّ المذاهبُ  
فخذ بيدي واقبلْ توبتي حَقِّقْ رجائي في الذي أنا راغبٌ<sup>1</sup>

يعدُّ موضوع الإعراض عن الدُّنيا والعُزوف عن ملذَّات الحياة من أكثر المواضيع التي طرقها الزُّهاد على مرِّ الزمن، فهذا "أبو حيان النفزي" يخاطبنا زاهدا في الدنيا:

أريدُ من الدُّنيا ثلاثاً وإِنَّهَا لَغَايَةُ مَطْلُوبٍ لِمَنْ هُوَ طَالِبٌ  
تلاوةَ قرآنٍ، ونفسٍ عفيفةً، وإكثارُ أعمالٍ عليها أُوَاطِبُ<sup>2</sup>

وزهد في المال، واعتبر أن السَّعي وراء جمعه مضيعة للوقت والجهد:

وَزَهَّدَنِي فِي جَمْعِي المَالَ أَنَّهُ إِذَا مَا انْتَهَى عِنْدَ الفَتَى فَارَقَ العُمَرَ  
فلا رَوْحَهُ يَوْمًا أَرَاخَ مِنَ العَنَا وَلَمْ يَكْتَسِبْ حَمْدًا وَلَمْ يَدَّخِرْ أَجْرًا<sup>3</sup>

لقد سعى الزُّهاد إلى إرشاد النَّاس من خلال تذكيرهم بحقيقة الموت، وأن الدنيا فانية، والبقاء لله وحده، ودَعَوْهم إلى اغتنام العمر في طاعة الله، والتفكير في دار الآخرة، بدل التفكير في ملذات الحياة، من ذلك قاله أبو البقاء الرندي:<sup>4</sup>

1 - الإحاطة، ابن الخطيب، مج 3، ص 167

2 - نفع الطيب، القري، ج 2، ص 564.

3 - المصدر نفسه، ج 2، ص 564.

4 - جنة الرضا، مج 2، ص 42.

الموتُ سرُّ الله في خَلْقِهِ وَحِكْمَتُهُ دَلَّتْ عَلَى قَهْرِهِ  
 مَا أَصْعَبَ الْمَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ لَوْ فَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِي أَمْرِهِ  
 أَيَّامُ طَاعَاتِ الْفَتَى وَحَدَاها هِيَ الَّتِي تُحَسِّبُ مِنْ عُمْرِهِ  
 لَا تُلْهِمُكَ الدُّنْيَا وَلِذَاتِهَا عَنْ نَهْيِ مَوْلَاكَ وَلَا أَمْرِهِ  
 ومما سبق نخلص إلى أن شعراء هذا العصر، قد ساروا على نهج سابقهم من  
 الزهاد، فلقد استعانوا فيه بالنُّصح والإرشاد تارة، وبالتَّحذير من هول الموت وفناء الحياة  
 تارة أخرى، والدَّعوة إلى السَّير في الطَّرِيق المُستقيم، والتَّمسك بتقوى الله وطاعته لِلنَّيلِ  
 الجنة.

#### 9- التصوف:

لقد عرف الشَّعر الصوفي ازدهاراً واسعاً في عصر بني الأحمر، وهذا ناتج عن تَمَسُّكِ  
 المجتمع بتعاليم الدِّين الإسلامي، كما لا يمكن إغفال أصحاب الكرامات من المُتصوِّفة،  
 لإيمان النَّاس بهم، وميلهم إلى التَّقرب منهم. وكذلك رغبة النَّاس في التَّخلي عن ملذات  
 الحياة، والسَّعي نحو نيل الجنة.

يعدُّ ابن الخطيب من الشخصيات التي ذاع صيتها في هذا النوع، لقد عُرف بين  
 المفكرين بالأدب والشَّعر، «ولكن الشَّيء الذي لا يَعرفه أكثر الدَّارسين هو أنه كان مُتصوِّفاً  
 أكثر منه شاعراً وأديباً»<sup>1</sup>. فهو يُعدُّ مؤرخ التَّصوف ومذاهب الحُب الإلهي<sup>2</sup> في ذلك العصر.  
 وهذا يبدو من خلال كتابه "روضة التعريف بالحُب الشريف".

<sup>1</sup>- ينظر: روضة التعريف، ابن الخطيب، ص 12.

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص 15.

قال محققه أنّ هذا «الكتاب عرضٌ شامل لمذهب التصوف، وتحديد دقيق لاتجاهاته وأحواله ومقاماته وثمراته، وحقائقه. قلما نجد كتاباً جامعاً لذلك كله، يُغني الباحث عن كُتبٍ كثيرة»<sup>1</sup>. تجدر الإشارة إلى أنّ بن الخطيب قد قُتل بسبب هذا الكتاب وأُتهم بالزندقة والإلحاد وغيرها من الأقاويل.

لقد تضمّن نصّه الشعري العديد من الرّموز الصّوفية أهمها الحب الإلهي، فهو يرى أنه هو أصل طريق التصوف، وأساس الوعي الروحي<sup>2</sup>، يتجلى هذا في قوله: «إنما الحب الحقيقي حب يُصعدك ويرقيك، ويُخلّدك ويُبقيك، ويُطعمك ويسقيك، ويجعل لك الكون روضاً، ومشرب الحق حوضاً... ليس إلا الحب، ثم الوصل والقرب ثم الشهود، ثم البقاء ما اضمحل الوجود، واختصر الكلام، ومحيت الرُسوم وخفيت الأعلام، لمن المملك اليوم والسلام»<sup>3</sup> ومما نظمته في هذا المعنى قوله:

أُعشّاق غير الواحد الأحد الباقي جُنُونكم والله أعيّت على الرّاقبي  
جُننتم بما يفنى ويبقى مضاضة تعذب بعد البين مهجة مُشتاق  
وتربط بالأجسام نفساً حياؤها مباينة الأجسام بالجواهر الرّاقبي  
فلاهي فازت بالذي علقت به ولا رأس مالٍ كان ينفعها باقي<sup>4</sup>

وقال أبو البركات البلفيقي في نفس المعنى:

وقف بي على ربع الحبيب فإنني سأبكيه شوقاً قبل أن نتفرّقا

<sup>1</sup>- روضة التعريف، ابن الخطيب، ص 32.

<sup>2</sup>- ينظر: المصدر نفسه، ص 30.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 109.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ص 94.

أَيَعْلَمُ مَا بِي مِنْ عَذَابِ فِرَاقِهِ      لَعْمَرُكَ لَوْ يَدْرِي لَرِقٌّ وَأَشْفَقَا  
 سَتَخْبِرُهُ الرُّكْبَانُ عَنِّي أَنَّنِي      تَبَدَّلْتُ أَحْوَالَ الْفَنَاءِ مِنَ الْبَقَا  
 أَعِيشُ لِمَنْ يُفْنِي الزَّمَانَ تَعْلُلًا      بِنَفْحِ نَسِيمٍ أَوْ بَبْرِقِ تَأَلَّقَا؟  
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْأَمَانِي تَعْلُلٌ      هَلِ الدَّهْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ يَسْمَحُ بِاللَّقَا؟<sup>1</sup>

لقد أدرج الشاعر في هذه المقدمة الغزلية بعض المصطلحات الصوفية مثل: (الفناء، البقاء، اللقاء)، التي تحيل المحبوب الحسي إلى محبوب آخر هو الله سبحانه وتعالى.

كما أشار إلى أسماء الله الحسنى وعالج فيها قضية الإتحاد التي تعدُّ من القضايا المهمة عند المتصوفة، في قوله<sup>2</sup>:

تَعَدَّدَتِ الْأَسْمَاءُ وَاتَّحَدَ الْمَعْنَى      وَأَصْبَحَ فَرْدًا مَا مَرَرْتُ بِهِ مَثْنَى  
 وَعَادَتِ لِعَيْنِ الْجَمْعِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ      مَحَا كُلَّ فَرْقٍ مُجْتَلَى وَجْهِكَ الْأَسْنَى

ويعتبر الحزن من ملامح النزعة الصوفية التي أنس أهل التصوف استخدامها، فقد اعتبر ابن الخطيب أن الحزن هو من العلامات الباطنية للمحب. تحدث في بعض الأبيات عن أثر العشق في الكائنات فيراه متجليا في نواح الحمام الحزين<sup>3</sup> في قوله:

حَمَامَةُ الْبَانِ مَا هَذَا الْبُكَاءُ عَلَى      مَرِّ اللَّيَالِي وَهَذَا الشَّجْوُ وَالشَّجْنُ<sup>4</sup>

1 - ديوان أبو البركات البليقي، ص 65.

2- روضة التعريف، ابن الخطيب، ص 133.

3- ينظر: لسان الدين ابن الخطيب (776-713هـ/1313-1374م) نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، نبيل

خالد الخطيب، دار النهضة العربية. دط، دت، ص 289 بتصرف.

4 - الشجو والشجن: لهما نفس المعنى وهو الهم والحزن

لَا مَنَزِلٌ بِنْتٍ عَنْهُ أَنْتَ تَنْدُبُهُ وَلَا حَبِيبٌ وَلَا خِلٌّ وَلَا مَسْكُنٌ

لَوْ كُنْتَ تَنْعِينَ عَن حُزْنٍ مُنِيَتْ بِهِ يَوْمًا لَصَارَ مَا دَا تَحْتِكَ الْغُصْنُ<sup>1</sup>

ولمَّح في إحدى قصائده التي خاطب فيها السلطان أبا عنان فارس إلى قضية امتزاج الأرواح مع بعضها البعض، فهو كان يرى في مسألة التآليف بين الروح والجسد من الأمور العظيمة حتى أنه أقسم بها في قوله:

وَحَقٌّ مَن جَمَعَ فِي الْخَلْقِ بَيْنَ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَبَيْنَ الْجَسَدِ

لَأَنْتَ يَا مَوْلَايَ شَمْسُ الْعُلَا حَقًّا وَهَذَا الْبُرْجُ بُرْجُ الْأَسَدِ<sup>2</sup>

ومن أعلام التصوف في هذا العصر نذكر "ابن الجياب" الذي ترك لنا العديد من القصائد في هذه الغرض منها قوله:

هَاتِ اسْقِنِي صِرْفًا بِغَيْرِ مَزَاجٍ وَآخِي التِّي هِيَ رَاخَتِي وَعِلَاجِي

إِنْ صُبَّ مِنْهَا فِي الزُّجَاجَةِ قَطْرَةٌ شَفَّ الزُّجَاجُ عَنِ السَّنَا<sup>3</sup> الْوَهَّاجِ

فَإِذَا الْخَلِيعُ أَصَابَ مِنْهَا شَرِبَةً حَاجَاهُ بِالسَّرِّ الْمَصُونِ مُحَاجِي

وَإِذَا الْمَرِيدُ أَصَابَ مِنْهَا جُرْعَةً نَاجَاهُ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ مُنَاجٍ<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- روضة التعريف بالحب الشريف، ابن الخطيب، ص 364.

<sup>2</sup>- ديون ابن الخطيب، مج 1، ص 264.

<sup>3</sup>- السَّنَا: الضوء الساطع

<sup>4</sup>- الإحاطة، ابن الخطيب مج 4، ص 102.

أشار الشاعر في هذه الأبيات إلى " الخمر " التي تعد من رموز الحب الإلهي،  
يرمز بها إلى صفاء النفس ، وابتعادها عن ملذات الدنيا ، ومن ثم تعلّقها بحب  
الخالق.

من رواد التصوف في هذا العصر نذكر أيضا الشيخ ابن صفوان، لقد مدحه

بن الجياب لما كتب كتاباً في التصوف بإشارة من السلطان أبي الحجاج:

أَيَّامُ مَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ يَوْسُفَ جَاءَتْ بِهَذَا الْعَالَمِ الْمُتَّصِوْفِ  
فَكَفَى بِمَا أَسَدَى مِنَ الْحِكْمِ الَّتِي أَبْدَيْنَ مِنْ سِرِّ الطَّرِيقَةِ مَا خَفَى  
وَحَقَائِقُ رُفَعِ الْحِجَابِ بَهَنِّ عَنْ نَوْرِ الْجَمَالِ فَلَاحُ غَيْرِ مُكَيَّفِ  
إِنَّ ابْنَ صَفْوَانَ إِمَامٌ هَدَايَةَ صَافِي فَصُوفِي فَهُوَ صُوفِيٌّ صَافِي  
وَإِنْ اخْتَبَرْتَ فَإِنَّ صَفْوَانَ بَنَ صَفْوَ وَظَاهِرٌ فِي طَيْبِهِ صَفْوٌ خَفِي<sup>1</sup>

لقد أشار هذا الشيخ إلى العديد من القضايا الصوفية، من ذلك قوله في الوجود:

يَا لِمَحَا سِرِّ الْوُجُودِ بِعَيْنِهِ السِّرُّ فَيْكَ بِأَسْرِهِ وَالشَّانُ  
ارْجِعْ لِنَدَاتِكَ إِنْ أَرَدْتَ تَنْزَهُهَا فِيهَا الْعَيْنِيُّ ذِي الْحِجَابِ بُسْتَانُ  
هِيَ رَوْضَةٌ مَطْلُوعَةٌ بِلِجْنَةٍ فِيهَا الْمُنَى وَالرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ  
كَمْ حِكْمَةٍ صَارَتْ تَلُوحُ لِنَاضِرٍ حَارَتْ لِبَاهِرٍ صُنْعِهَا الْأَذْهَانُ<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب ، مج3، ص.179

<sup>2</sup> - المصدر نفسه ، مج1، ص.95.

مما سبق يتبين لنا أنّ الشعراء اهتموا بموضوع التصوف ونظموا فيه الكثير، وتناولوا فيه عدّة قضايا فتحدثوا عن المرأة، والخمرة، وعن الحب الإلهي وغيرها من الموضوعات.

ختاماً لهذا الفصل يمكن القول أنّ الشعر الغرناطي كان غنياً بمختلف الموضوعات، وأنّ الشخصية الأندلسية كانت جلية في شعرهم، ولعل الغزل، والوصف والمدح والرثاء كانوا من أبرز الأغراض التي أكثر الشعراء في نظمها لحاجة الوضع السياسي وكذا لانعكاس حياة البذخ التي كان يعيشها بعض الشعراء، ولاحتكاكهم بالسلطين والأمراء.

لقد انتشرت نزعة الزهد والتصوف في هذا العصر، وكان ذلك نتيجة تضافر عدة دوافع كالمدافع الديني والاجتماعي والثقافي. ولقد عمد الزهاد إلى النصيح والإرشاد في موضوعاتهم والتحذير من هول الموت وضرورة التفكير في الدار الآخرة، كما تعددت قضايا التصوف أيضاً، وغيرها من الموضوعات.

## الفصل الرابع: الأبعاد الحضارية للشعر في عصر بني الأحمر

1. البعد التاريخي

2. البعد السياسي

3. البعد الاجتماعي

4. البعد الديني

5. البعد الإصلاحي

6. البعد الثقافي

7. البعد الإنساني

8. البعد الفني

ويعدُّ الشِّعر أحد أهم الآثار التي يُمكن من خلالها معرفة مدى تقدُّم وتخلُّف إي مجتمع، لأن الشِّعر يُلامس جميع مناحي الحياة، فالدارس لمملكة بني الأحمر لا بدُّ له أن يتَّلع على مَوروثها الشعري، لكي يفهم كيف كان يُفكر الغرناطي، وكيف استطاع ان يحقق هذا التطور والازدهار في وسط تلك المحن والويلات التي عاشها، سنحاول في هذا الفصل تبيان بعض الأبعاد الحضارية التي تجلت لنا في شعر بني الأحمر

### 1- البعد التاريخي:

يُعدُّ التَّاريخ من الأمور التي يُمكن قِراءتها من خلال الموروث الشِّعري، فلقد وثَّق شعراء بني الأحمر الأحداث والوقائع التَّاريخية في قصائدهم، وكان بعضها وثيقة تاريخية كاملة تُجسِّد الأحداث، وتحكي أدقَّ التَّفاصيل، ومن هؤلاء نذكر "ابن فركون" الذي أرَّخ لأيام السُّلطان يوسف الثالث في قصائده، لِقرِبه منه «فقد كان ملازماً للسُّلطان في الحضر والسفر، ويقول الشِّعر في مختلف الوقائع والأزمات، ولم يترك لا كبيرة ولا صغيرة مما جرى في عهد السلطان إلا وسجَّلها»<sup>1</sup>.

ذكر الشاعر عبارة ((صح هذا)) التي كان يُوقِّع بها سلاطين بني الأحمر ظهائرهم في

قوله:

وَمَنْ أَنْحَلْتَهُ ((صَحَّ هَذَا)) بِوَعْدِهَا فَبِالنَّاصِرِ الْمَوْلَى يَصِحُّ وَيَبْرَأُ

تَخُطُّ الْيَدُ الْغَرَاءُ مِنْهَا عِلَامَةً يُقْبَلُهَا وَهُوَ الْوَجِيهَةُ الْمُهَنَّأُ<sup>2</sup>

وكتب بعض الأبيات بمناسبة زواج السُّلطان سنة 811هـ وأشاد بوفود بني مرين

الذين لبوا الدعوة وحضروا الحفل في قوله:<sup>3</sup>

وَبَنُو مَرِينٍ وَالتَّجَلَّأُ شَأْنُهَا أَبَدَتْ لَدَيْكَ وَفُودُهَا إِجْلَالُهَا

<sup>1</sup> - ديوان ابن فركون، ص 16.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 30.

أهلاً بهم من وافدين ركائبهم      حطت بمثواك الكريم رحالها

قد أقبلوا متيمين بدولة      أحزابها نصر الإله وآلهـا

ومن المناسبات التي أرخها أيضا مناسبة عقيقة أول مولود للسلطان يوسف

الثالث كانت عام 811هـ:

يومنا يوم صباح مشرق      فأجيبوا يا نجوم الأفق

يوسفياً قد أقام سنة      نظمت أشرافها في نسق

في رياض حُسْنها متجدد      شائع في مغرب أو مشرق<sup>1</sup>

تبرز هذه الأبيات اهتمام الشعراء بتفاصيل حياة السلاطين، فكانوا لا يفوتون مناسبةً دون مدحٍ أو وصفٍ يُخلد الحادثة التي تكون أمام أعينهم، لأنهم كانوا يدركون أهمية شعرهم تاريخياً، لهذا قدّموا لقصائدهم ذاكين تواريخها وزمن حصولها، من ذلك ما أورده الشاعر في ديوانه: وقلتُ أهنيّ مقامه الكريم ببنتٍ وُلدت له بتاريخ يوم السبت

الثامن لرجب عام اثني عشر وثمان مائة:<sup>2</sup>

هنيئاً هنيئاً إمام الهدى      وغوث الوجود وغيث التدى

وبُشرى بوافدةٍ قد أتت      لها شرفٌ حاز أقصى المدى

ومن الشعراء الذين ساهموا أيضا في توثيق تاريخ بني الأحمر نجد " ابن الحاج

النميري" الذي وصف لنا العديد من الوقائع والأحداث، منها واقعة عودة الأمير أبي

<sup>1</sup> - ديوان ابن فركون، ص.36

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص.137.

الحجاج يوسف بن محمد الغني بالله من المغرب إلى غرناطة في عشرين شعبان من سنة 763هـ في قوله:<sup>1</sup>

أَلَا ارْتَقِبُوا هَذَا الْهَيْلَالَ الَّذِي بَدَا      مِنْ الْغَرْبِ مَرْفُوعاً عَلَى أَفْقِ الْهُدَى  
وَبُشْرَاكُمْ بِالْعِيدِ عِيدِ مَسْرَةٍ      بِمَقْدَمِهِ السَّعْدُ الْمُقِيمُ تَجَدَّداً  
وَلِلَّهِ شَيْبُلٌ قَدْ دَعَاؤُهُ بِيُوسُفٍ      شَبِيهٌ بِلَيْثٍ قَدْ دَعَاؤُهُ مُحَمَّدًا  
وَبَحْرٌ أَتَاهُ التَّهْرُوكِ نَّ ذَا أَبِّ      وَذَاكَ لَهُ ابْنٌ رَاحَ فِي الْبَرِّ وَاعْتَدَى

وقال في فتح قسنطينة ضمن حركة أبي عنان فارس الميرين سنة 758هـ. والتي دونها في رحلته "فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب"<sup>2</sup>:

فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى يَوْمَ فَتْحِهَا      عَجَائِبَ قَدْ جَلَّتْ عَنِ الْحَضْرِ وَالْعَدَى  
أَتَتْهَا جُيُوشٌ زَاحِفَاتٌ كَأَنَّهَا      مَعَ النَّصْرِ قَدْ كَانَتْ هُنَاكَ عَلَى وَعْدِ  
فَأَدْعَنَ أَهْلُوهَا وَجَاءَ أَمِيرُهُمْ      لِأَكْرَمِ مَوْلَى شَأْنُهُ الرِّفْقُ بِالْعَبْدِ  
فَأَعْطَيْتَهُ حَتَّى الْحَيَاةَ مَوَاهِباً      لِرَبِّكَ مِنْهَا مَا تُعِيدُ وَمَا تُبْذِي

وقال أيضا في نفس الواقعة:<sup>3</sup>  
هُوَ الْفَتْحُ سَنَتَهُ السُّعُودُ فَلَمْ يَكُنْ      لِيُشْرَعَ فِيهِ السَّمْرُ أَوْ تَشْهَرُ الْقَضْبُ

<sup>1</sup>- ديوان الحاج النميري، ص 77.

<sup>2</sup>- فيض العباب وإفاضة قدامح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، ابن الحاج النميري، دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، دارالمغرب الإسلامي، الرباط، ط1، سنة 1990. ص 324.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 320.

سَتَلُوهُ أَبْكَارُ الْفُتُوحِ وَعَوْنُهَا      كَمَا جَاءَ أَثْرُ الْوَاحِدِ الْمُنْفَرِدِ الرِّكْبِ  
وَسَلَّ بِلَطِيفِ الصَّنْعِ فِي أَمْرِ فَتْحِهَا      قَسْنَطِينَةَ لِمَا تَسَامَى بِهَا الْعَجَبِ

كانت هذه الحركة التي قام بها المرينيون، من أهم محاولات توحيد المغرب الإسلامي، وإن كانت الحادثة بعيدة عن مساحة الحكم النَّصْرِي إلا أنه شعرٌ ملازمٌ لفترة حكمهم، فقد كانت بين المرينيين وبني الأحمر محاولات للصُّلْح والاتِّفَاق، فلهذا اهتم شعراء غرناطة بتاريخهم وما كتبه ابن الحاج النميري من بين المؤلفات التاريخية التي أرخت لهذه رحلة .

وقال أبو اسحاق الإشبيلي " في واقعة العقاب<sup>1</sup> :

وَقَائِلَةٌ أَرَاكَ تُطِيلُ فِكْرًا      كَأَنَّكَ قَدْ وَقَفْتَ لَدَى الْحِسَابِ  
فَقُلْتُ لَهَا أَفَكَّرُ فِي عِقَابِ      غَدًا سَبَبًا لِمَعْرَكَةِ الْعُقَابِ  
فَمَا فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ مَقَامٌ      وَقَدْ دَخَلَ الْبَلَا مِنْ كُلِّ بَابٍ<sup>2</sup>

تبين هذه الأبيات الذُّهول الذي وقع للمسلمين، بعد هذه الواقعة الأليمة، التي سقطت بسببها قرطبة، بلنسية، اشبيلية، وقادس، هذا الحزن جعل الشعراء يؤرخون بكثير من الأسى لهذه الأحداث.

وحدثنا ابن الخطيب عن واقعة طريف<sup>3</sup> التي هُزم فيها المسلمون في قوله:

لَا كَانَ يَوْمُكَ (يَا طَرِيفُ) فَطَامَا      أَطْلَعْتَ لِلْأَمَالِ بَرْقًا خُلْبَا

<sup>1</sup>- موقعة العقاب: معركة جرت سنة 609هـ بين الموحدين والإسبان. ينظر، نفح الطيب، المقري، ج1، ص325.

<sup>2</sup>- نفح الطيب، ج6، ص222.

<sup>3</sup>- وقعت معركة طريف في جمادى الأولى سنة741 بين جيوش المسلمين الأندلسيين بقيادة السلطان أبي الحجاج يوسف ، والمرينيين القادمين من عدوة المغرب بقيادة أبي الحسن علي بن عثمان من جهة، وجيوش مملكة قشتالة ومملكة البرتغال ، انتهت هذه المعركة بهزيمة و كارثة دموية للمسلمين.

وَرَمَيْتُ دِينَ اللَّهَ مِنْكَ بِفَادِحٍ      عَمَّ الْبَسِيطَةَ مَشْرِقًا أَوْ مَغْرِبًا<sup>1</sup>

هذه الواقعة هي محنة عظيمة نزلت بالمسلمين، لم يشهدوا مثلها منذ حادثة العقاب، جعلت الشعراء يؤرخون لهذا الحزن العميق.

ومن الأمور التي تمَّ توثيقها أيضا ذكر زيارة قبور السلاطين والأمراء، وذكر المدينة التي دُفِنوا فيها كنوع من التأريخ لحياتهم، ومن أمثلة ذلك ما نظمه ابن الخطيب لما قام بزيارة قبر المعتمد بن عبَّاد بمدينة أغمات بمراكش:<sup>2</sup>

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ عَن طَوْعٍ بِأَغْمَاتِ<sup>3</sup>      رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْ أَوْلَى الْمُهِمَّاتِ

أَنَافَ قَبْرُكَ فِي هَضْبٍ يَمِيَّزُهُ      فَتَنَتَّجِيهِ حَفِيَّاتُ التَّجِيَّاتِ

كُرِمَتْ حَيًّا وَمَيِّتًا وَاشْتَهَرَتْ عُلاَّ      فَأَنْتَ سُلْطَانُ أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتِ

مَا رِيءَ مِثْلَكَ فِي مَاضٍ وَمُعْتَقِدِي      أَنْ لَا يُرَى الدَّهْرُ فِي حَالٍ وَفِي آتِ

كما تجدر الإشارة أن بعض الشعراء قاموا بتوثيق تواريخ ميلادهم في قصائدهم،

من أمثلة ذلك ما قاله لنا " مالك ابن المرَّحَل " :<sup>4</sup>

يَا سَائِلِي عَن مَوْلَدِي كَيْ أذْكَرُهُ      وُلِدْتُ يَوْمَ سَبْعَةٍ وَعَشْرَةٍ

مِنَ الْمُحَرَّمِ افْتِتَاحِ أَرْبَعِ      مِنْ بَعْدِ سِتْمَائَةِ مُفَسِّرِهِ

ما يمكن استنتاجه من خلال هذه النماذج، هو اهتمام الشعراء البالغ بالتاريخ

وذكر تفاصيله الدقيقة، فقد وثَّقوا العديد من الوقائع في عصرهم بذكر الهزيمة والنصر

<sup>1</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج 1، ص 107.

<sup>2</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 4، ص 98.

<sup>3</sup> - أغمات هي قرية مغربية تقع بالقرب من مدينة مراكش بها ضريح المعتمد بن عباد.

<sup>4</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج 3، ص 324.

على حد سواء، كما كانوا لا يُفوتون مناسبةً أو حادثةً دون مدحٍ أو وصفٍ، وهذا يُبين معرفتهم مُسبقاً بأهمّية شعرهم تاريخياً، لهذا قدّموا لقصائدهم ذاكّرين تواريخها وزمن حصولها،

## 2- البعد السياسي:

يُعد عصر بني الأحمر أصعب العصور في الأندلس من الناحية السياسية، يرجع ذلك لكثرة الصّراعات الداخلية والخارجية. لقد كان لشعر الاستصراخ والاستغاثة دورٌ هام في تغيير بعض المسارات السياسية في هذا العصر. فبعد توالي سقوط المدن الأندلسية، قام بعض الشعراء بنظم قصائد بغرض طلب العون من الدول الإسلامية خاصة دولة بني مرين على اعتبار العلاقة الوطيدة التي تجمع بينهم.

لقد وثّق الشعراء هذا الاضطراب السياسي في قصائدهم، وخاصة الشعراء المقربون من السلاطين، لأنهم كانوا على اطلاع بما يجري في المملكة أكثر من غيرهم.

كان لسان الدين ابن الخطيب من أبرز الشخصيات السياسية، فقد ساهم في توطيد العلاقة بين دولة بني الأحمر وبني مرين، من ذلك ما قاله وهو يستعطف سلطان

بني مرين لنصرة سُلطانهِ المخلوع الغني بالله ومدِّ يدِ العونِ له في قوله:<sup>1</sup>

قَصَدْنَاكَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَلَى النَّوَى      لَتُنْصِفَنَا مَمَّا جَنَى عَبْدُكَ الدَّهْرُ

وَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى إِذَا دَهَمَ الرَّدَى      وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى إِذَا أَخْلَفَ الْقَطْرُ

فتأثر السلطان بهذه الأبيات وأرسل سفيراً إلى غرناطة يسعى في إجازة عبور السُلطان المخلوع ووزيره ابن الخطيب إلى المغرب، فنجح السفير في ذلك، وأقام السلطان المريني احتفالاً كبيراً لاستقبالهما.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - دولة الإسلام في الأندلس، عبد الله عنان، العصر الرابع، ص 141.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 141.

وتعكس أشعاره مدى دهائه سياسي، فقد حاول أن يُبين ضعف المملكة واعتمادهم الكلي على بني مرين، فقد دعاهم في عدة قصائد لإغاثة إخوانهم، من ذلك قوله:<sup>1</sup>

إخواننا لا تنسوا الفضل والعطفا  
فقد كاد نور الله بالكفر أن يُطفا  
وإذ بلغ الماء الزببا فتداركوا  
فقد بسط الدين الحنيف لكم كفا  
تحكم في سگان أندلس العدا  
فلهفا على الإسلام ما بيتهم لهفا  
وجاشت جيوش الكفر بين خلالها  
فلا حافرا أبقّت عليها ولا ظلّفا

ومن شعر الاستصراخ الذي قاله هذا الشاعر، قصيدة استشفع فيها بالسلطان

أبي موسى حمو الثاني<sup>2</sup> في حضرة السلطان الغني بالله:<sup>3</sup>

وفخر بني زيان يحضر إن خطوا  
ويُسرع إن أبطوا ويمضي إذا هموا  
فلولا ولي العهد ما ضلّ قائل  
به البدء في عليائهم وبه الختم  
ولكنه إرت قديم وحادث  
ومنبت فضل ليس يُزرى له جذم

وقال في مدح بني زيان:<sup>4</sup>

إن بني زيان، في أفق العُلا  
لأنجم هدي كُلمما أقل النجم  
غيوث إذا أعطوا، ليوث إذا سَطوا  
أهلة هالات الهاء إذا اعتّموا

<sup>1</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج، ص 677.

<sup>2</sup> - هو أبو موسى بن أبي يعقوب بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، المعروف بأبي حمو موسى الثاني، من ملوك بني زيان.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، مج 2، ص 543.

<sup>4</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج 2، ص 543.

ثم شكره على الإعانات التي بعثها لإغاثة المملكة في قوله<sup>1</sup>:

من جاء منهم مثل جودك، كلما	حسبوا المكارم كسوة أو كيسا
أنت الذي افتك السفين، وأهله	إذ أوسعت سبل الخالص طموسا
أنت الذي أمددت ثغر الله بالص	دقات تلبس كرهة إبليساً
وأعنت أندلساً بكل سبيكة	موسومة لا تعرف التديسا
وشجنته بالبر في سبل الرضا	والبر قارب قاعها القاموسا
ومالت أيديها، وقد كادت، على	حكم القضاء، تُشافه التفليسا

من خلال هذه الأبيات يتبين لنا أن بني زيان قاموا بمساعدة المملكة، لكن هذه المساعدات كانت مادية ولم تكن عسكرية، فلو كانت المساعدات عسكرية لما غفل عنها، وقد عاش الحادثة بنفسه.

وكان لابن زمرك كذلك بعض المواقف السياسية، فقد أسهم بقصائد عديدة في مدح بني مرين أيضاً، منها قصيدة مطولة بها تسعة وتسعون بيتاً تبدو مدحية في ظاهرها، لكنّها أقرب ما تكون إلى القصيدة النضالية السياسية، فغرضها يتجلى في الأبيات الأولى:<sup>2</sup>

بنت الضمير إلى الضمير محبة	بصميم قلب في الخلوص مقلّب
ما ضرنا إذ كنت أكرم شاهد	فيحوز فضل قرابة بتقرب
أرواحنا متجنّدت تلتقي	بتعارف وتالف وتحبب

1 - المصدر السابق، الصفحة نفسها.

2 - ديوان ابن زمرك، ص 165.

لِلَّهِ رَوْضٌ مِنْ حُلُوصِكَ مُثْمِرٌ      دَانِي الْقِطَافِ عَلَى زَوِيِّ الْمَشْرَبِ  
 إِنَّ لَمْ يَكُنْ رَحِمَ الْوَلَادِ فَإِنَّهُ      رَحِمُ الْوِدَادِ وَحَبَّذَا مِنْ مَنْسَبِ

لقد عمدَ الشاعر في مطلع هذه القصيدة إلى تحريك مشاعر بني مرين من خلال مناجاة الضمائر والتوكيد على وجود صلة، فإن لم تكن صلة رحم فهي صلة جوار ووداد ومحبة.

وحاول ابن زمرك التذكير بجهاد الأسلاف، لما كانت الأندلس في أوج قوتها، وأيام كانت بلاد المغرب إلى جانبها. أما اليوم فمن واجب أهل المغرب أن ينوبوا عن أسلافهم ويدعموا إخوانهم بالأندلس. في قوله:<sup>1</sup>

كَمْ مِنْ غَرِيبٍ فِي حَدِيثِ جِهَادِهِمْ      تَرْوِيهِ أَنْدَلُسٌ لِأَهْلِ الْمَغْرِبِ  
 غَابَتْ بُدُورُهُمْ قَدِيمًا فِي التَّرَى      لَكِنَّهُ مَا نُورُهُمْ بِمُغَيَّبِ  
 ذَهَبُوا لِرِضْوَانِ الْإِلَهِ وَإِنَّمَا      آثَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ تَذَهَبِ  
 أَنْتَ الَّذِي تَقْفُو سَبِيلَ جِهَادِهِمْ      فَتَعُودُ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ الْأَقْرَبِ

وحثهم على الجهاد والتعجيل به لإغاثة إخوانهم، ومدح قوة وشجاعة الجيش في قوله:<sup>2</sup>

فَاصْرِفْ إِلَى قَصْدِ الْجِهَادِ أَعْنَةً      سَبَقَتْ بِشَأْوِ اللَّسْعُودِ مُغْرَبِ  
 وَأَجْرُ فَوَارِسَ مِنْ مَرِينٍ تَرْتَمِي      نَحْوَ الْكَرْهَةِ مِقْنَبًا عَنِ مِقْنَبِ<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ديوان ابن زمرك، ص 166.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 167.

<sup>3</sup> - مقنّب: جماعة من الفرسان دون المائة تتجهز للغارة.

لقد وظّف الشاعر في هذه القصيدة مختلف المعاني، وعمد إلى الخطاب المباشر وغير المباشر من أجل التأثير فيهم، وإقناعهم لنجدة الأندلس.

وكان لابن فركون أيضاً بعض المواقف السياسية، على اعتبار قربه من السلطان يوسف الثالث فنجده يميل إلى سياسة الهدنة، من ذلك قوله وهو ينصحه بقبول الهدنة المعروضة عليه من قبل الروم:<sup>1</sup>

تأتي وفود الروم تخطب سألماً  
فكف فكف القادر المتعقف  
ووليتهم يخشى - فيردف رسله -  
إرسال جيش بالملائك مردف  
أعير الجواب بها على ظمأ لها  
تنقع جوى المتشوق المتشوف  
واجنح إليها منعماً متفضلاً  
لا زلت أكرم واهب متعطف

لقد استعمل الشعراء أسلوب النداء في شعر الاستغاثة، منهم " أبو البقاء الرندي الذي ناشد العرب والمسلمين لنجدة إخوانهم في الأندلس في قوله:<sup>2</sup>

يا راكبين عتاق الخيل<sup>3</sup> ضامرة  
كأنها في مجال السبق عقبان  
وحاملين سيوف الهند<sup>4</sup> مرهفة  
كأنها في ظلام النقع نيران  
أعندكم نبأ من أهل أندلس  
فقد سرى بحديث القوم ركبان؟  
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم  
قتلى وأسرى و فلا يهتز إنسان

<sup>1</sup> - ديوان ابن فركون، ص 62.

<sup>2</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 6، ص 244.

<sup>3</sup> - عتاق الخيل: أجود الخيول.

<sup>4</sup> - تعد السيوف الهندية من أجود أنواع السيوف التي استخدمت في المعارك الحربية.

لقد خاطب الشاعر فرسان العرب بأسلوب المدح بُغية التأثير فيهم، وأعرب عن غضبه عليهم وتقاعسهم عن مساعدة إخوانهم في مملكة غرناطة.

برزَ في هذا العصر أيضا نوع من الهجاء السياسي، انتقد فيه الشعراء مُلوكتهم، وعَبَّروا على مُعارضَتهم لما يَجري من اضطرابٍ في الحكم والسياسة. ومنهم من انتقد تقاعسَ الممالك المجاورة لنصرة إخوانهم، قال في ذلك أبو البقاء الرندي<sup>1</sup>:

ماذا التقاطعُ في الإسلام بينكمُ      وأنتم يا عبادَ الله إخوانُ  
ألا نفوسُ أبياتٍ لها هممُ      أما على الخير أنصارُ وأعوانُ  
يا من لذلَّةِ قومٍ بعدَ عزِّهمُ      أحوالَ حالهم كُفروا وطغيانُ

كما نجد "عبد الكريم البسطي" هو الأخر يهجو أهل وادي الأش لسقوط حصن

اللُّقون، فقد صبَّ غضبه عليهم لتهاونهم في المقاومة وعدم التصدي للعدو في قوله<sup>2</sup>:

يا أهلَ وادي الأشى لا دُرْ دُرْكُمْ      ولا بَرِحْتُمْ لُقى للحرب والكمَدِ  
ضَيَّعْتُمْ سَفْهاً حِصْنَ اللُّقونِ ولم      تُراقِبُوا فيه حقَّ الواحدِ الصَّمَدِ

لم يكتف الشاعر بانتقاد أهل وادي الأش فحسب، وإنما انتقد الأوضاع السياسية

عامة بمناسبة سقوط مدينة "أرشدونة"، من ذلك هجاءه للأسرة الحاكمة بسبب تناحرهم فيما بينهم على الحكم، وأكلهم مال الناس بالباطل، وانشغالهم بذلك عن الأخطار التي تُهدِّد وجود المملكة في قوله<sup>3</sup>:

وإنَّ بِبلادِ المُسلمينَ بأسرها      بذي القُطرِ يحويها العدوُّ بلا شكِ

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج4، ص488.

<sup>2</sup> - شعر الاستصراخ في الأندلس، جمع وإعداد: عزوز زرقان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة 2008م.

ص91، نقلا عن ديوان عبد الكريم البسطي، ص 347.

<sup>3</sup> - المرجع انفسه، ص91-92. نقلا عن ديوان عبد الكريم البسطي، ص 363.

وقد رَفَعَ الإِشْكَالَ أَخْذُ ارْشَادُونَةً وَتَصْهِيْرُهَا مُلْكَالَهُ أَعْظَمَ الْمُلْكِ  
 وَمِنْ قَبْلِهَا حِصْنُ اللُّقُونِ اسْتَبَاحَهُ وَمِنْ جَبَلِ الْفَتْحِ اتَّقَى دُرَّةَ السَّلْكِ  
 وَنَحْنُ عَلَى نَهْجِ الشُّتَاتِ مَسِيرُنَا لِإِدْرَاكِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ الْمُلْكِ  
 وَهَمَّاتٍ مِنْ إِدْرَاكِ حَقِّ بِيَاطِلٍ وَغَيْثٍ وَتَدْلِيْسٍ وَهَيْتَانٍ أَوْ إِفْكِ

يظهر من خلال الأبيات الأخيرة، شجاعة الشاعر الذي انتقد الأسرة الحاكمة دون خوف أو تردد، ونهيمهم إلى أن سعيهم وراء الملك، وأكل مال المسلمين، والغش سيؤدي إلى ضياع المملكة، وحملمهم مسؤولية ذلك، في قوله " فنحن على نهج الشُّتات مَسِيرنا "، و" هميات من إدراك حق بياطل".

من خلال هذه النماذج السابقة الذكر يتبين لنا أن الشُّعْر كان له دور فعَّال في تغيير المسارات السياسيَّة، ويظهر لنا ذلك جلياً من خلال كثرة شعر الاستصراخ والاستغاثة، فقد سعى الشعراء لِدعم المملكة بأقلامهم، والاستنجداء وطلب العون من الممالك الإسلاميَّة، والتحفيز على الجهاد، وكذلك شجاعتهم في الدِّفاع عنها من خلال الهجاء السياسي، حتى وصل بهم الامر لهجاء السلاطين بحد ذاتهم، لإثارة عزائمهم لنصرة المسلمين.

### 3- البعد الاجتماعي:

يعتبرُ البُعد الاجتماعي من أهمِّ المَوَاضِيع التي يُمكن تَسْلِيْطُ الضَّوِّءِ عَلَيْهَا فِي قِرَاءَةِ الْجَانِبِ الْحَضَارِيِّ لِلْمَمْلَكَةِ، يَتَجَلَّى لَنَا هَذَا الْبُعْدُ مِنْ خِلَالِ بَعْضِ الْمَوْضُوعَاتِ نَذَكُرُ مِنْهَا:  
 أ- الأُسرة:

لقد كان المجتمع الغرناطي حريصاً على تجسيد روابط التَّلاحمِ والمحبَّة بين الأفراد. لقد بيَّن النَّصُّ الشُّعْرِي مَدَى تَمَاسِكِ أَفْرَادِ الأُسرة، مِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ مَا صَوَّرَهُ لَنَا ابْنُ

الخطيب في إحدى قصائده رثى فيها زوجته، أظهر فيها مدى حبه وتعلقه بها، وحزنه الشديد على فراقها في قوله:<sup>1</sup>

رُوعَ بـألي وهـاجَ بـلبـألي      وسـأمني التـكـلُ بـعدَ إقبـالِ  
ذخـيرتي جـينَ خـانـي زـمـني      وعـدّتي في اشـتـدادِ أهـوالِ  
فـانـتـظـرني فـالشـوقُ يُفـلـقـني      ويـقـتـضي سـرعتي وإعتـجـالي  
ومـهـدي لـي لـديكِ مـضـطـجـعاً      فـعن قـريبٍ يـكـونُ ارتـحـالي

وتحدث عبد الكريم البسطي عن تعلقه بوالده مخاطباً إياه وكله شوق وحنين لرؤيته في قوله:

وأنت يا وادي إن غبت عن بصري      فلم تغب لحظةً والله عن خلدي  
إنني لأذكركم حتى لأذكر ما      ناديتُموني به من لفظ: يا ولدي  
فأنطوي من حنيني عند ذكركم      وفرط شوقي إلى لقياك فوق يدي<sup>2</sup>

#### ب- النظافة:

كانت النظافة من المظاهر الحضارية البارزة في هذا العصر، فقد انتشرت الحمامات العامة والخاصة، تحدث الشعراء عنها في عدة قصائد منها ما قاله "ابن ليون التجيبي"<sup>3</sup>:

وللحمّامِ حَآءَاتُ إِذَا مَا      ظَفَرَتَ بِهَا عَثَرَتَ عَلَى النَّعِيمِ  
فَحَنَّاءٌ وَحَكَّاءُ مُجِيدٌ      وَقَلَّ حَجَرٌ يَمُرُّ عَلَى الْأَدِيمِ

<sup>1</sup>-الإحاطة، ابن الخطيب، مج1، ص75

<sup>2</sup>- البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد بن شريفة، ص16.

<sup>3</sup>- نفع الطيب، المقري، ج5، ص587.

وَحَوْضٌ مُفْعَمٌ مَاءً لَدِيدًا وَحَجَّامٌ عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ

وَلِلْحَلْقِ الْحَدِيدَةِ حِينَ تَمْنَى وَأَطْيَمُهَا حَدِيثُ أَخِ كَرِيمِ

لقد ذكر الشاعر في هذه الأبيات تقريباً كل الأمور التي نلاحظها عند زيارتنا للحمام من الحناء والحكّك والحجر اللذان يستعملان لتنظيف الجسم، وأحواض الماء وكذلك الحجّام والحلاق. وفي قوله " حديث أخ كريم " أشار أن الحمام لم يكن مكان للاغتسال فقط بل كان يلعب دور المقهى أو الحديقة، يتبادل فيه الناس أطراف الحديث.

وتجدر الإشارة أن المملكة كان بها حمامات مخصّصة للرجال، وأخرى للنساء، نورد في هذا المقام مقطوعة قالها أبو البقاء الرندي يصف فيها جمال إحدى النساء وهي خارجة من الحمام، أعجب بجمالها فشبها بشمس الضحى حين تطل بين السحب الداكنة في قوله:<sup>1</sup>

بَرَزَتْ مِنَ الْحَمَّامِ تَمَسَّحُ وَجْهَهَا عَنْ مِثْلِ مَاءِ الْوَرْدِ بِالْعُنَّابِ

وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرهَا كَالطَّلِّ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابِ

فكَأَنَّمَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فِي الضُّحَى طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ سَحَابِ

#### ب- تنوع الطعام:

كان المطبخ الغرناطي غنياً بمختلف الأطباق وذلك لتنوع تركيبة المجتمع، ذكرها الشعراء في قصائدهم، وعبروا عن حُبهم لها، فقد حدثنا " ابن الأزرقي " اشتياقه لبعض المأكولات منها: الثريد<sup>2</sup>، الإسفنج<sup>3</sup>، الرقاق<sup>1</sup>، الأرز في قوله:

<sup>1</sup> - بن الخطيب، الإحاطة، مج3، 372.

<sup>2</sup> - الثريد: هو نوع من المعجنات يُفْتَت ويُسقى بمرق اللحم، وهو من الأطباق التقليدية المعروفة في منطقة حوض المتوسط.

<sup>3</sup> - الإسفنج: نوع من الفطائر، وهو عبارة عن عجين مقلي قوامه إسفنجي يقدّم مع السكر أو العسل.

هـل للثريدِ عَـودَةٌ إـلـيَّ قـد شـوَّقـنـي

تَغـوَصُ فـيـهـِ أـنـمـلـي غـوَصَ الأَكـوَلِ المُحـسـِنِ

ولـي إـلـى الإـسـفـنـجِ شـو قُ دَائـمٌ يُطـرِبـنـي

ولـلأُرـزِ القَـضـلِ إـذ تَطْبُخُـهُ بـالـلَبَنِ<sup>2</sup>

وللشـِـوَاءِ والرِقـاقِ مـن هـيـامِ أـنـثـنـي

وذكر الشاعر أحد أهم الأطباق التي تعود الغرناطيون على طبخها وهو "طبق

الكسكس"<sup>3</sup> في قوله:

وهـاتِ ذكـرَ الكَسْكَسِ وَهـو شـرِيفٌ وسـنـي<sup>4</sup>

كما تعدُّ "المُجَبَّنات"<sup>5</sup> من الحلويات المعروفة في تلك الفترة، ذكرها العديد من

الشعراء وأبدوا إعجابهم بها. ومن هؤلاء نجد أبي البركات البلفيقي يصفها في قوله:<sup>6</sup>

مُصَفَّرَةُ الخَـدِـيـنِ مَطـوِـيـةُ الحَـشـَا عـلـى الجُبـنِ والمُصـفـرُ يُؤذَنُ بالخَـوْفِ

عـلـى هـيئـة كـالشَّمسِ عـند طُـلُوعِـهَا وَلـكِنَّهَا فـي الجِـنِ تـغـرِبُ فـي الجَـوْفِ

<sup>1</sup> - الرِّقَاق: هو نوع من الخبز الرقيق يشبه الفطائر يستعمل في تحضير طبق الثريد.

<sup>2</sup> - نفع الطيب، المقري، ج3، ص301.

<sup>3</sup> - الكسكس أو الكُسكسي أو كَسكسُو: هو من أقدم الأطباق التقليدية والشعبية في منطقة شمال أفريقيا، يُصنع من طحين القمح أو الذرة في شكل حبيبات صغيرة، يطبخ بالبخار ويضاف إليه اللحم، أو الخضار، أو الحليب، أو الزبدة والسكر حسب الأذواق والمناسبات.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص301.

<sup>5</sup> - المُجَبَّنات: وهي نوع من القطايف تحشى بالجبن وتقلى بالزيت.

<sup>6</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج2، ص159.

لقد تنوّعت الخضر والفاواكه، وهذا ناتج عن تطوُّر الزراعة ووفرتها، فهذا بن

الخطيب يصف لنا "حب الملوك" فيقول:<sup>1</sup>

أَنْظُرُ إِلَيْهَا تَجِدُ حَبَّ الْمُلُوكِ بِهَا      وَقَدْ حَكَى نُورُهَا الْمُبَيِّضُ حِينَ فُتِحَ

قُطْنًا تَرَكَمَ فِي الْأَغْصَانِ إِذْ قَذَفْتَ      لِفَائِفِ الثَّلْجِ فِي أَعْلَاهُ قَوْسُ قُنْحِ

يعدُّ الرُّمَانُ من أشهر الفواكه بهذه المنطقة، حتى أن اسمه اربط باسم المملكة.

يقول بن الخطيب في وصف جمال هذه الفاكهة:<sup>2</sup>

رُؤْمَانُهُ رَاقٍ مِنْهَا مَنْظَرٌ عَجَبٌ      تُرِيكَ صُورَتُهَا إِبْدَاعَ بَارِيهَا

كَأَنَّهَا حَمِيمًا دُرٌّ وَظَاهِرُهَا      حُقٌّ وَمِنْ شَجْمِهَا قُطْنٌ يُوَارِيهَا

#### ت- الألبسة والزينة:

تعددت الأقمشة في ذلك العصر من حرير ومنسوجات مختلفة من الصوف والقطن

والقرو. وهذا ما أدى إلى التنوع في الألبسة. لقد عمد الشعب الغرناطي إلى الأناقة في

اللباس، والتي جعلها البعض كمؤشر لمكانة المرء في المجتمع. قال في هذا "ابن خاتمة

الأنصاري" داعياً لعدم التواضع في اللباس قائلاً:

تَحَرَّمَنَّ الْأَثْوَابِ أَرْفَعَهَا تَنَلَّ      أَعَزَّ مَحَلِّ تَرْتَقِي لِإِتْلِمَاسِهِ

وَلَا تَبْغِ فِي أَمْرِ اللَّبَاسِ تَوَاضِعًا      فَعُنْوَانُ نُبْلِ الْمَرْءِ حُسْنُ لِبَاسِهِ<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- المصدر السابق، مج 1، ص 247.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، مج 2، ص 754.

<sup>3</sup>- ديوان ابن خاتمة، ص 162.

من الألبسة التي وَرَدَ ذكرها كثيرا في الأشعار "العمامة" التي تدل على الوقار، غير أن الشيخ أبا البركات البلفيقي قال أنه ليس كل من يلبس عمامة يكون ذو أخلاق حسنة: <sup>1</sup>  
 مَا كُلُّ مَنْ شَدَّ عَلَى رَأْسِهِ عَمَامَةً يَحْظَى بِسِمَتِ الْوَقَارِ  
 مَا قِيمَةُ الْمَرْءِ بِأَثْوَابِهِ السِّرُّ فِي السُّكَانِ لَا فِي الدِّيَارِ  
 من ألبسة المرأة الغرناطية اللثام<sup>2</sup> الذي يعد من ألبسة الحجاب الشرعي، تغزل ابن الخطيب بإحداهن وهي تخلع لثامها عن وجهها فقال: <sup>3</sup>

أَمَاطَتْ عَنِ الْخَدِّ اللَّثَامَ فَأَطْلَعَتْ هِلَالاً عَلَى غصنٍ، وَغُصْنًا عَلَى حِقْفٍ<sup>4</sup>

كما تزيّنت بمختلف الحلي والمجوهرات كالأقراط، والعقود وغيرها. حسب المستوى الاجتماعي لكل واحدة منهم. فهذا ابن الخطيب يتغزل بفتاة سحره جمالها قد تزينت بأقراط من الذهب زادتها حسنا فقال: <sup>5</sup>

بِنَفْسِي غَزَالٌ غَزَّتْنِي لِحَاطِظُهُ وَتَيِّمٌ قَلْبِي حُسْنُهُ وَجَمَالُهُ  
 هُوَ الْبَدْرُ وَالْجَوْزَاءُ<sup>6</sup> قَرِطٌ مُعَسَّجِدٌ<sup>7</sup> وَجُنْحُ اللَّيَالِي فَرَعُهُ وَدَلَالُهُ

وهذا ابن خاتمة يخاطب إحدى الفتيات ويسألها عن سبب صمت الخلخال - الذي يدلُّ على سُمْنِهَا واكتنازِ سَاقِهَا. والتي تعتبر من صفات الجمال في تلك الفترة- في قوله:

<sup>1</sup>- نفع الطيب، المقري، ج 5، ص 481.

<sup>2</sup>- اللثام: وهو غطاء للوجه بحيث يجعل المرأة ترى ولا ترى.

<sup>3</sup>- ديوان ابن الخطيب، مج 2، ص 672.

<sup>4</sup>- حقف: ما استطال واعوجَّ من الرَّمْل، المعجم الوسيط، مادة حَقَفَ.

<sup>5</sup>- المصدر نفسه، مج 1، ص 573.

<sup>6</sup> الجوزاء: هو ثالث الأبراج الشمسية، يقع ميلاد أصحاب هذا البرج بين 21 ماي و 21 جوان، يتميزون باللطافة والذكاء والنشاط.

<sup>7</sup>- مُعَسَّجِدٌ: مُذَهَّبٌ

مَا بَالُ خَلْخَالَيْكَ قَدْ صَمَمْتَ وَمَا لِيُوشَاحِكَ الْجَوَالِ فِي تَحْنِينٍ<sup>1</sup>

ث- الاحتفالات ووسائل التسلية:

عُرف المجتمع الغرناطي بحبه للفرح ومباهج الحياة، يظهر هذا جليا من خلال تنوع الاحتفالات ومجالس الغناء واللهو. نذكر منها الأعياد الدنية كعيد الفطر، ومن مظاهره خروج السلطان في موكب يمدُّ يده للأمرء والوفود لتقبيلها لتجديد البيعة له، وتقديم التهناني قال في ذلك ابن فركون<sup>2</sup>:

وَأَتَاكَ عَيْدُ الْفِطْرِ أَشْرَفَ قَادِمٍ      رَاقَ الْمَكْرَامِ عِنْدَهُ تَجْدِيدُهَا  
فَطَلَعَتْ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ آيَةً      رَاقَتْ تَهَائِمُهَا بِهِ وَنُجُودُهَا  
وَلَدَيْكَ مِنْ أَمْرَاءٍ مُلْكِكَ أَوْجُهُ      غُرَّتْ رُوقُ النَّيِّرَاتِ سُعُودُهَا  
وَمَدَدَتْ لِلتَّقْبِيلِ كَمَّا لَمْ تَزَلْ      تَهَلُّ فَوْقَ الْأَمْلِينَ عُهُودُهَا  
فَأَتَتْ إِلَى تَجْدِيدِ بَيْعَتِكَ الَّتِي      هَازِي مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ شُهُودُهَا

كما احتفلوا بعيد الأضحى، وقال ابن الخطيب مهنئا السلطان<sup>3</sup>:

أَضْحَى بِكَ الْأَضْحَى وَقَدْ طَلَعَتْ بِهِ      شَمْسُ الضُّحَى وَكَلَاهُمَا شَمْسَانِ  
وَمَدَدَتْ لِلتَّقْبِيلِ يُمْنَاكَ الَّتِي      هِيَ وَالْحَيَا فِي نَفْعِهَا سَيَّانِ

<sup>1</sup>- ديوان ابن خاتمة، ص 68.

<sup>2</sup>- ديوان ابن فركون، ص 219-220..

<sup>3</sup>- ديوان ابن الخطيب، مج 2، ص 578.

ومن المناسبات الدينية التي دأب الغرناطيون على إحيائها "الشَّعْبَانِيَّة" <sup>1</sup>، تحدث ابن خاتمة عن بركة هذه الليلة وشبهها بليلة القدر <sup>2</sup>:

أَفْدي لِيَالِينَا الَّتِي سَلَبَتْ فِي ظِلِّهَا بَعَوَارِفِ الدَّهْرِ  
أَعْقَابَ شَعْبَانٍ عَجِبْتُ لَهَا بِيضاً نَصَلْنَ أَوَاخِرَ الشَّهْرِ  
وَلَرُبَّ مَحْمُودٍ عَوَاقِبُهُ لَمْ يَجْرِ أَوْلُهُ عَلَى ذِكْرِ  
لَوْلَا التَّحَرُّجُ قُلْتُ: رُبُّنَهَا فِي الْقَدْرِ رَبَّةٌ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

وقال ابن زمرك في إحياء السلطان ليوم عاشوراء فقال: <sup>3</sup>

يَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي بَرَكَاتُهُ رَفَعَتْ لِوَاءَ اللَّيْلِ مَنْشُورَا  
وَالْيَوْمَ مَوْسِمُ قُرْبَةٍ وَعِبَادَةٍ وَغَدَاً، ظَفَرْتَ بِأَجْرِهِ عَاشُورَا  
رَاعَيْتَ فِيهِ سُنَّةَ نَبَوِيَّةٍ تَرَوِي الثُّقَاتُ حَدِيثَهُ الْمَشْهُورَا

لم يكن الاحتفال مقتصرًا على ماله علاقة بالدين الإسلامي، بل حتى الأعياد التي توارثها الغرناطيون عن الشعوب الأخرى كاحتفالهم بعيد النيروز <sup>4</sup>، وقد ذكره ابن الخطيب مُغْتَنِمًا الفرصة لتقديم التهاني للسلطان بهذا العيد <sup>5</sup>:

وَاهنَا بِنِيروزِ مَسْرَاتُهُ قَدْ أَصْبَحَتْ أَبْوَابُهَا شُرْعَا

<sup>1</sup> - الشَّعْبَانِيَّة: هو احتفال يقام لتوديع شهر شعبان واستقبال رمضان.

<sup>2</sup> - ديوان ابن خاتمة، ص 121.

<sup>3</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 7، ص 221.

<sup>4</sup> - عيد النيروز: هو أحد الأعياد الفارسية يُحتفل به لدخول فصل الربيع يقام في يوم معتدل وتحضر فيه أشهى المأكولات والمشروبات.

<sup>5</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج 2، ص 652.

دُمْتَ رَفِيعَ الْمَلِكِ سَامِي الْعُلَا مَا طَافَ بِالْبَيْتِ امْرُؤٌ أَوْ سَعَى

وقال أيضا<sup>1</sup>:

أَتَاكَ بِهَا النَّيْرُوزُ مُعْتَرِفًا بِمَا مَلِكِكَ فِيهِ مِنْ نَوَالٍ وَمَنْ عُرِفِ

فَهُنَيْتَهُ وَالِدَهُرُ طَوْعُكَ وَالْمُنَى تُوَانِي بِمَا تَهَوَاهُ ضِعْفًا عَلَى ضِعْفِ

ومن الألعاب المسلمية التي تقام في المناسبات نذكر "سباق الخيول" فهذا ابن زمرك

يصف لنا مدى سرعة هذه الخيول فيقول:

وَأَرَيْتَنَا فِيهِ عَجَائِبَ جَمَّةً لَمْ تَجْرِ فِي خَلَدٍ وَلَمْ تُتَوَهَّمِ

أَرْسَلَتْ سَرْعَانَ الْجِيَادِ كَأَنَّمَا أُسْرَابُ طَيْرٍ فِي التَّنُوفَةِ<sup>2</sup> حُومٍ<sup>3</sup>

بالإضافة إلى "الألعاب الهلوانية" التي كانت حاضرة في المناسبات والاحتفالات،

وتحدّث عن رشاقة أحد الهلوانيين وخفته وبراعته وهو يمشي على خيط رفيع في قوله<sup>4</sup>:

وَمِنَوعِ الْحَرَكَاتِ قَدْ رَكِبَ الْهَوَا يَمْشِي عَلَى خِطِّ بِهِ مُتَوَهَّمِ

فَإِذَا هَوَى مِنْ جَوْهٍ ثُمَّ اسْتَوَى أَبْصَرْتَ طَيْرًا حَوْلَ صُورَةِ آدَمِ

كما انتشرت مجالس الغناء واللهو، وقد شكّلت الجوّاري نواة هذه المجالس من

خلال الغناء والرقص. لقد أعجب ابن خاتمة بإحداهن وشبّه صوتها بطائر البلبل، وانتهر

برشاقتها في الرقص حين قال<sup>5</sup>:

<sup>1</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج 2، ص 676.

<sup>2</sup> - التنوفة: وهي الأرض الواسعة المتباعدة الأطراف.

<sup>3</sup> - نفع الطيب، المقري ج 7، ص 187.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>5</sup> - ديوان ابن خاتمة، ص 95.

بَدَتِ فَشَدَّتْ فِي مَسَاقٍ حَسَنٍ فَأَحْسَنْتِ أَحْسَنْتِ أُمَّ الْحَسَنِ  
 جَوَيْرِيَّةٌ قَدْ جَرَتْ فِي النُّفُوسِ مَجْرَى ظُبَا لَحْظِهَا فِي الْبَدَنِ  
 تُغَيِّمِي فَتُغْنِيكَ عَنِ بُلْبُلٍ وَتُثْنِيكَ إِمَّا انْتَلَيْتِ عَنِ فَنَنِ  
 تُرِيكَ وَتُسْمِعُ مَا تَشْتَهِي بِقَدِ رَطِيبٍ وَصَوْتِ أَعْنُ

ومن وسائل التسلية التي مارسها الغرناطيون نجد الصيد في البر والبحر، سجل لنا ابن زمرك في إحدى قصائده رحلة قام بها السلطان واصطاد ثلاثة ثيران<sup>1</sup>:

لِلَّهِ رِحْلَتُكَ الَّتِي نَلْنَا بِهَا أَجَرَ الْجِهَادِ وَنَزَهَةَ الْأَبْصَارِ  
 حَتَّى الْفَلَاةِ تُقِيمُ يَوْمَ وَرَدْتَهَا سُنَنَ الْقَرَى<sup>2</sup> بِثَلَاثَةِ الْأَثْوَارِ  
 وَسَرْتُ عُقَابُ الْجَوِّ تُهْدِيكَ الَّذِي تَصْطَادُ مِنْ وَحْشٍ وَمِنْ أَطْيَارِ

مما سبق يتبين لنا أن المجتمع الغرناطي لم يكن مُنطوياً على نفسه ومُتعصّباً، بل كان مُتفتِحاً ومُتحدِّثاً، تجلّى لنا هذا من خلال الانسجام بين أفرادهِ على الرغم من اختلاف عقائدهم وثقافتهم، وكذلك لعنايتهم بالنظافة، وحبهم للمرح واللهو على الرغم من الويلات والحروب التي عرفوها، لقد أبدع الشعراء في رسم معالم هذا المجتمع، وذكروا لنا الكثير من التفاصيل المتعلقة بمناحي الحياة، من ملبس، ومطعم، ومشرب، وعادات وتقاليد واحتفالات، وهذا فيه نوع من التأريخ الاجتماعي للمملكة.

1- نفع الطيب، ج7، ص 156.

2- القرى: ما يُقدَّم إلى الضيف من طعام.

4- البعد الديني:

إن الثقافة الدينية التي ترعرع عليها الشعراء، ظهرت جلية في نتاجهم الأدبي في عدة موضوعات. وسنحاول تبيان البعض منها في النقاط التالية:

أ- تقوى الله والتضرع له:

لقد دعا شعراء بني الأحمر إلى تقوى الله، تطبيقاً لأمره عز وجل:

- قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

صدق الله<sup>1</sup>

وكذلك التسليم بأن كل أمور الدنيا مردها لله، فلا ملجأ ولا مفر منه إلا إليه. لقد تجلى لنا ذلك في عدة قصائد، منها ما كتبه ابن خاتمة في طاعة الله<sup>2</sup>:

مَلَائِكُ الْأَمْرِ طَاعَةَ اللَّهِ فَاجْعَلْ      تُقَاهُ عُدَّةً لِصَلَاحِ أَمْرِكَ  
وَبَادِرْ نَحْوَ طَاعَتِهِ بَعِزْمٍ      فَمَا تَدْرِي مَتَى يَمْضِي بِعُمْرِكَ

وقال أيضا في الرضا بقضاء الله وقدره<sup>3</sup>:

إِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ      بِحُكْمِ الْإِلَهِ كَمَا قَدْ قَضَى  
فَفَيْمَ التَّفْكَرِ وَالْحُكْمِ مَاضٍ      وَلَا رَدًّا لِلْحُكْمِ مَهْمَا مَضَى

<sup>1</sup> - سورة آل عمران، الآية: 102.

<sup>2</sup> - نيل الابتهاج بتطريز الديباج، التنبكتي، ص 101.

<sup>3</sup> - نفع الطيب، ج 4، ص 347.

فَخَلَّ الْوَجُودَ كَمَا شَاءَهُ مُدَبَّرَهُ وَابْتَغَى مِنْهُ الرِّضَى

واعترف الشعراء بذنوبهم طمعاً في المغفرة ونيل الجنة كجزاءٍ على طاعتهم لله من ذلك قول ابن جزي الكلبي<sup>1</sup>:

يَا رَبِّ إِنَّ ذُنُوبِي الْيَوْمَ قَدْ كَثُرَتْ فَمَا أُطِيقُ لَهَا حَصْرًا وَلَا عَدَدًا

وَلَيْسَ لِي بِعَذَابِ النَّارِ مِنْ قَبْلِي وَلَا أُطِيقُ لَهَا صَبْرًا وَلَا جَلَدًا

فَانظُرْ إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي وَمَسْكَتِي وَلَا تُذِيقْنِي حَرَّ الْجَحِيمِ غَدًا

كما اعترف "محمد بن عبد الواحد البلوي" بتقصيره في العبادات وإعلان توبته: 2  
إِلَهِي، أَجْرَنِي إِنَّمَا لَكَ تَائِبٌ وَأَنْبِيَّ مِنْ ذَنْبِي إِلَيْكَ لَهَارِبٌ  
عَصِيَّتُكَ جَهْلًا ثُمَّ جِئْتُكَ نَادِمًا مُقِرًّا وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَذَاهِبُ  
فَخُذْ بِيَدِي وَقَبْلِ بِفَضْلِكَ تَوْبَتِي وَحَقِّقْ رَجَائِي فِي الَّذِي أَنَا رَاغِبٌ

### ب- التَّنَاصُ الْقِرَائِي:

شكّل القرآن الكريم المنهل الخصب للشُعراء على مرّ العصور، لقد سار شعراء بني الأحمس على نهج سابقهم في ذلك، لإيمانهم وارتباطهم به، فغدّوا نظمهم من خلال التَّنَاصُ القرآني سواء بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، والأمثلة على ذلك كثيرة، من ذلك ما قاله ابن الخطيب<sup>3</sup>:

اخْلُدْ، وَنَصِرُ اللّٰهَ - جَلَّ جَلَالُهُ يَا تَيْبُكَ أَفْوَاجًا عَلَى أَفْوَاجِ

<sup>1</sup>- الإحاطة، ابن الخطيب، مج3، ص13.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه، مج3، ص167.

<sup>3</sup>- ديوان ابن الخطيب، مج1، ص202.

هذا البيت يشير إلى سورة النصر قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ①﴾

وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿صدق الله 1.

وقال أبو الطيب الرندي 2:

تنزلت الأرض زلزله \_\_\_\_\_ فقلت لساكاتها: مالها؟

فقالوا: أتنا أبو عامر فأخرجت الأرض أثقالها \_\_\_\_\_

هنا اقتباس مباشر من قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ①﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ

أثقالها ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿صدق الله 3

وقال "أبو جعفر الرعيبي الألبيري" على شكل حكم ومواعظ 4:

يا صاحب المال ألم تستمع لقوله ﴿ما عندكم ينفد﴾

فاعمل به خيراً فوالله ما يبقى ولا أنت به مخلد

وهو تناص مباشر من قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَفْئَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلِيَجْزِينَ الَّذِينَ

صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿صدق الله 5

1 - سورة النصر، الآية 1-2.

2- الإحاطة، ابن الخطيب، مج 3، ص 285.

4 - سورة الزلزلة، الآية: 1-2-3.

4- نفع الطيب، المقري، ج 2، ص 682.

5 - سورة النحل، الآية: 96.

وقال أيضا: <sup>1</sup>

إن شئت أن تجد العدو وقد غدا لك صاحباً يُولي الجميل ويُحسِنُ  
فاعمل كما قال الخبيرُ بِخَلْقِهِ في قوله ﴿ادْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

وهو مستنبط من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ

فَإِذَا الذِّمَّةُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ صدق الله <sup>2</sup>.

ديوان ابن الخطيب غني بهذه الأمثلة، وقد أورد محققه في الحواشي ما يفوق  
خمسون تناصاً قرانياً. لم يقتصر فقط على التناص المباشر وغير المباشر، بل تعدى ذلك  
إلى الإيماء والإشارة، والاستفادة مما حمله القرآن لنا من قصص الرسل والأنبياء، ومن  
ذلك قوله وهو يمدح جمال وجه السلطان أبي الحجاج يوسف في تناص مع قصة  
سيدنا يوسف وامرأة العزيز لما دخل على النسوة في الحادثة المشهورة المذكورة في القرآن  
الكريم: <sup>3</sup>

لَوْ بَدَأَ لِلْحُورِ يَوْمًا، وَجْهُهُ قُلْنَ: جَلَّ اللَّهُ ((مَا هَذَا بَشَرًا))

هذا البيت فيه إشارة واضحة لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ

وَأَعَدَّتْ لهنَّ مَتَكًا وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتُ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ

وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ صدق الله <sup>4</sup>

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 2، ص 682.

<sup>2</sup> - سورة فصلت، الآية: 34.

<sup>3</sup> - ديوان بن الخطيب، مج 1، ص 393.

<sup>4</sup> - سورة يوسف: الآية: 31.

ولابن جابر الضير في بديعة العميان التورية بسور القرآن ذكر فيها العديد من المعاني الدينية منها قوله:<sup>1</sup>

فِي كُلِّ فَاتِحَةٍ لِلْقَوْلِ مُعْتَبَرُهُ حَقَّ الثَّنَاءِ عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْبَقَرِهِ  
فِي آلِ عِمْرَانَ قِدَمًا شَاعَ مَبْعُثُهُ رَجَالُهُمُ وَالنِّسَاءُ اسْتَوْضَحُوا خَبْرَهُ  
مَنْ مَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ نِعْمَاهُ مَائِدَةً عَمَّتْ فَلَيْسَتْ عَلَى الْأَنْعَامِ مُقْتَصِرَهُ

#### ت- العبادات:

لقد أسهب الشعراء في تصويرهم لحياة المسلمين في تلك البقعة الأندلسية، فذكروا لنا كل ما يتعلق بالعبادات من صلاة وصيام وحج والأمثلة على ذلك كثيرة، منها ما نظمته ابن خاتمة لما حضر مرة مع شيخه أبي البركات البلفيقي طعاما فدعا الشيخ للأكل فاعتذر بالصوم فلما فرغوا أنشده:

دَعَوْنَا الْخَطِيبَ أَبَا الْبَرَكَاتِ لِأَكْلِ طَعَامِ الْوَزِيرِ الْأَجَلِ  
وَقَدْ ضَمَمْنَا فِي نِدَاهُ جِنَانُ بِهِ احْتَقَلَ الْحَسَنُ حَتَّى كَمَلُ  
فَأَعْرَضَ عَنَّا لِعَذْرِ الصِّيَامِ وَمَا كُلُّ عَذْرٍ لَهُ مَقْتَبِلِ  
فَإِنَّ الْجِنَانَ مَحَلُّ الْجَزَاءِ وَلَيْسَ الْجِنَانُ مَحَلُّ الْعَمَلِ

فلما فرغ من إنشادها قال الشيخ: لو أنشدتها وأنتم لم تفرغوا لأكلت معكم لهذه

الآبيات<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج7، ص324.

<sup>2</sup> - نيل الابنهماج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، ص102.

هذا يُبين كيف كانت نفوس الشعراء متشعبة بالثقافة الدينية، حتى جعلوا أبياتهم

مبنية على قواعد الإسلام، وقال ابن الحاج النميري في وصف شهر رمضان<sup>1</sup>:

لَقَدْ مَرَّ شَهْرُ الصَّوْمِ عَنكَ مُؤَدِّيًّا    ثَنَاءً كَمَا هَبَّ النَّسِيمُ الْمُعَطَّرُ  
وَمَا أَمْطَرَتْ فِيهِ السَّحَابُ وَإِنَّمَا    بَكَى أَدْمَعًا خَوْفَ النَّوَى تَتَحَدَّرُ  
وَحَسْبُكَ مِنْ ضَيْفٍ كَرِيمٍ قَرِينَتُهُ    مِنَ الْبِرِّ أَعْمَالًا إِلَى اللَّهِ تُذَخَّرُ

وقال ابن لب في نفس المعنى:<sup>2</sup>

أَأَزْمَعْتَ يَا شَهْرَ الصِّيَامِ رَحِيلاً    وَقَارَبْتَ يَا بَدَرَ الزَّمَانِ أَفُولاً  
نَزَلْتَ فَأَزْمَعْتَ الرَّحِيلَ كَأَنَّمَا    نَوَيْتَ رَحِيلاً إِذْ نَوَيْتَ نُزُولاً

كما تناول الشعراء رحلة الحج بما تشتمل عليه هذه الرحلة من عزم ومشقة وشوق، منهم أبو حيان النِّفزي الذي وصف لنا موكبا أندلسيا متوجهاً لأداء هذه الفريضة، قوله:<sup>3</sup>

فِي مَوْكَبٍ تَزْحَفُ الْأَرْضُ الْفَضَاءَ بِهِ    أَضْحَتْ وَمُوحِشُهَا بِالنَّاسِ مَأْمُولٌ  
يَطَارِدُ الْوَحْشَ مِنْهُ فَيَلْقُ لَجِبٌ<sup>4</sup>    حَتَّى ذَعَرَتْ فِي بِيَدِهَا الْغُولُ  
سَيُوقِفُهُمْ طُرْبُ نَحْوِ الْحِجَازِ فَهَمُّ    ذُووِ ارْتِيَاكِ عَلَى أَكْوَارِهَا مِيلُ  
شُعْتُ رُؤُوسُهُمْ يُبْسُ شِفَاهُهُمْ    خُوصٌ عِيُونُهُمْ غُرْبٌ مَهَارِيْلُ  
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَيْتِ الْإِلَهِ لَهُمْ    نَوْرٌ إِذَا هَمَّ عَلَى الْغَبْرَا أَرَا حَيْلُ

<sup>1</sup> - ديوان ابن الحاج النميري، ص 103.

<sup>2</sup> - نفع الطيب، ج 5، ص 512.

<sup>3</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج 3، ص 33.

<sup>4</sup> - اللَّجِبُ: ارتفاعُ الأصواتِ واختلاطُها.

صوّر في هذه الأبيات حالة الحُجاج (شعث رؤوسهم، يبس شفاههم، غرب مهزّيل) وهذا للدلالة على مشاق هذه الرحلة من الجوع والعطش والتعب. ثم وصف لنا آداءهم لمناسك الحج فقال: <sup>1</sup>

حَفُّوا بِكَعْبَةٍ مَوْلَاهُمْ فَكَعَبِيَّهُمْ عَالٍ بِهَا لَهُمْ طَوْفٌ وَتَقْبِيلٌ  
وَالصِّفَا وَقَتُّهُمْ صَافٍ بِسَعِيهِمْ وَفِي مَنَىٰ لَمُنَاهُمْ كَانَ تَنْوِيلٌ  
تَعَرَّفُوا عَرَفَاتٍ وَاقْفَيْنَ بِهَا لَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَكْبِيرٌ وَتَهْلِيلٌ  
لَمَّا قَضَيْنَا مِنَ الْغَرَاءِ مَنَسَكَنَا تُرْنَا وَكُلُّ بِنَارِ الشُّوقِ مَشْمُولٌ  
إِلَى الرَّسُولِ تُزْجَىٰ كُلُّ تَعْلَمَةٍ أَجَلٌ مِنْ نَجْوَةِ تَزْجِي الْمَرَايِلِ

### ث- المذاهب الدينية:

المذهبُ السائد في هذه المملكة هو مذهب الإمام مالك، «أحوال هذا القطر في الدين وصلاح العقائد أحوال سيّية، والأهواء والنّحل فيهم معدومة، ومذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية»<sup>2</sup>. ولكن هذا لا ينفي وجود بعض الأفراد تتبّع مذاهب أخرى، فعلى سبيل المثال نجد أن "أبا حيان الغرناطي على المذهب الظاهري، وأبا جعفر بن صلة على المذهب الحنبلي<sup>3</sup>. ويتجلى ذلك في قول الراعي الأندلسي في مدح

### المذاهب الأربعة:

عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا عِشْتَ وَاتَّبَعِ أَثَمَّةَ دِينَ الْحَقِّ تُهْدِي وَتُسَعِدِ

<sup>1</sup> - المصدر السابق الصفحة نفسه.

<sup>2</sup> - اللوحة البدرية، بن الخطيب، ص 27.

<sup>3</sup> - راجع: مظاهر الحضارة في الأندلس عصر بنو الأحمس، الطوخي، ص 347.

فمالككم فالشأفعي فأحمم ونعمانهم كل إلى الخير يرشد  
 فتابع لمن أحببت منهم ولا تمل لذي الجهل والتعصب إن شئت تُحمد  
 فكل ساء في وجيبة الاقتدا متابعهم جنات عدن يخلد  
 وحمهم دين يزين وبغضهم خروج عن الإسلام والحق يقصد<sup>1</sup>

ج- مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم:

- تفنن شعراء بني الأحمس في مدح رسول الله والصحابة ولم يغفل ذلك عنهم، فهذا قول ابن الحاج النميري:<sup>2</sup>

وأختم نظمي بالصلاة على الذي أتى خاتماً للرسل في خير أزمان  
 ودام الرضى عن آله أنجم العلاء وأصحابه والتابعين بإحسان

وأبدع ابن جابر الضرير في تعداد فضائل هؤلاء الصحابة من ذلك ما قاله في مدح أبي بكر الصديق:<sup>3</sup>

فمنهم أبو بكر خليفته الذي له الفضل والتقديم في كل مشهد  
 وصهر رسول الله وابنته التي يبرها نص الكتاب المجدد

<sup>1</sup> - الضوء اللامع، السخاوي، ج9، ص203.

<sup>2</sup> - ديوان ابن الحاج النميري، ص158.

<sup>3</sup> - نفع الطيب، المقري، ج7، ص359.

وصاحِبُهُ فِي الْغَارِ إِذْ قَالَ لَا تَخَفْ فثَالِثُنَا ذُو الْعَرْشِ أَوْثَقُ مِنْجِدٍ

وقال في عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب: <sup>1</sup>

وحسبي عثمان بن عفان أنه عليه اعتمادى وهو سؤولى ومقصدي

هو الجامع القران والقانت الذي إذا جن الليل ليس يأوي لمرقد

وقال في علي رضي الله عنه: <sup>2</sup>

وإن علياً كان سيفاً رسولهِ وصاحِبُهُ السامي لمجدٍ مُشَيِّدٍ

وصهرُ النَّبِيِّ الْمُجْتَبَى وابنُ عمِّهِ أبو الحسنين المحتوى كُلاًّ سُؤْدِدٍ

#### ح- الأعياد الدينية:

حرص الشعب الغرناطي على إقامة الأعياد الدينية والاحتفال بها، من ذلك ما قاله

ابن خاتمة في ترقب هلال عيد الفطر: <sup>3</sup>

يا حُسْنَهُ لِهَلَالِ الْفِطْرِ مُرْتَقِباً كالبدرِ أشرقَ في داجٍ <sup>4</sup> من الغسقِ <sup>5</sup>

أومي إليه بعينيه وغازلني فقلتُ والصَّبُّ مَفْطُورٌ على القَلْقِ

لُقيَاكَ عَيْدِي وَمَرَاكَ الْهَلَالَُ وفي لَمَّاكَ فِطْرِي فما أبغي لدى الأفقِ؟

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 7، ص 362.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 7، ص 363.

<sup>3</sup> - ديوان ابن خاتمة، ص 141.

<sup>4</sup> - داج: مُظْلِمٌ.

<sup>5</sup> - الغسقُ: أول ظلمة الليل.

كما احتفلوا بعيد الأضحى، فقد كان من عادة السلطان إقامة مراسم خاصة بهذه المناسبة، إذ يخرج لأداء صلاة العيد محصنا بموكب من خيرة الفرسان، وبعد النحر توزع الأضاحي على الفقراء والمساكين، ثم يرجع السلطان ليربع على عرشه ويستقبل التهاني فقد صور لنا ابن الخطيب في إحدى قصائده الرائعة هذا المشهد فقال: <sup>1</sup>

وَأَحْيَيْتَ لِلدِّينِ الحَنِيفِ شَرَاءً      بِأَنْصَارِ اللَّهِ تُحْيِي الشَّرَائِعُ  
وَقَدْ زَحَفَتْ يُغْشِي العُيُونَ رُؤُوسَهَا      صُفُوفٌ مِنَ الفُرْسَانِ وَهِيَ دَوَارِعُ  
فَلَمَّا قَضَيْتَ العِيدَ سُنَّةَ نَحْرِهِ      وَأَطْعِمَ مُعْتَرِزٌ<sup>2</sup>، هُنَاكَ، وَقَانِعُ  
رَجَعْتَ إِلَى دَارِ الخِلَافَةِ، وَالْعُلَى،      فَضَاءَتْ بِنُورِ الهَيْدِي تَلْكَ المَرَابِعُ  
وَعَرَّضْتَ لِلتَّقْبِيلِ كَفًّا كَرِيمَةً      تَفِيضُ عَلَى الطُّلَابِ مِنْهَا يَنَابِعُ

واحتفلوا بإعذار أبنائهم إتباعا للسنة النبوية، وأقاموا ولائم كبيرة لذلك، يقول ابن

زمرك في حفل ختان حفيد الغني بالله: <sup>3</sup>

أَقَمْتَ لَهُ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- سُنَّةً      مُؤَكَّدَةً تُرْضِي النَّبِيَّ مُحَمَّدًا  
وَجَاؤُوا بِهِ مِلءَ العُيُونَ وَسَامَةً      تَجَسَّسَ مِنْ نُورِ الهَيْدِي وَتَجَسَّسًا  
أَدَلَّ بِهَا مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ      إِلَى خَيْرٍ مِنْ يَهْدِي وَفَخْرٍ مِنْ اهْتَدَى

لقد احتفلوا كغيرهم من المسلمين بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم، ونُظمت العديد من القصائد لأجل هذه المناسبة العظيمة، أُطلق عليها تسمية "الميلاديات"، لقد حرص السلاطين على إقامة هذا الاحتفال بدافع ديني، وهذا ما دفع الشعراء إلى التنافس

<sup>1</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج 1، ص 650.

<sup>2</sup> - المُعْتَرِز: هو الذي يتعرض للناس دون سؤال ليعطوه.

<sup>3</sup> - ديوان ابن زمرك، ص 137.

في نظم هذه القصائد، بُغية التقرب من السلاطين وكسب ودّهم، ومن هذه النصوص الشعريّة نورد ما قاله ابن زمرك وهو يمدح السلطان الغني بالله بإحيائه احتفالاً بالمولود النبوي في قوله:<sup>1</sup>

يا فخرَ أندلسٍ وعصمةَ أهلها يُجزيكَ عنها اللهُ خيرَ جزاءٍ  
عظمتَ ميلادَ النَّبيِّ محمدٍ وشَفَعتهُ بالليلَةِ الغرّاءِ  
أحييتَ ليلتكِ ساهراً فأفدتنا قوتَ القلوبِ بِذلكَ الإحياءِ

وقال "ابن الخطيب" أيضاً في هذه الليلة المباركة:<sup>2</sup>

أعزّزُ بمولدهِ الكَرِيمِ، وخُصّهُ من ذِكْرِكَ التَّقديسِ، والتَّحْمِيدِ  
يا لَيْلَةَ، أهدتِ، لنا، نُورَ الهُدَى خَيْرَ البَرِيَّةِ كُلِّهَا مَوْلودًا  
يا لَيْلَةَ، تَخِذِ الملائِكُ يَوْمَها والمرسلونَ، إلى يومِ القِيامَةِ، عِيدًا

وقال أيضاً:<sup>3</sup>

وفي لَيْلَةِ المِيلادِ أَكْبَرُ آيَةٍ تَخِرُّ الجِبَالُ الرّاسِياتُ، لها، هَدًا  
أشادتُ، بها، الكُهانُ قَبْلَ طُلوعِها وَمَن هَوْلِها ((إِيوانُ كِسرِي)) قَدِ انْهَدَا  
فيا لَيْلَةَ، قَدِ عَظَّمَ اللهُ قَدْرَها وَأَنْجَرَ، لِلنُّورِ المُبِينِ بها، وَعُدَا

مما سبق يتبين لنا أن الشعراء حاولوا رسم صورة متكاملة للدين الإسلامي في القصيدة الأندلسية، وأنهم أبدعوا في ذلك من خلال التنوع في المواضيع التي طرّقوها، فقد جعلوا من المصادر الإسلامية رافداً لإبداعهم الشعري، كان القرآن الكريم على رأس

<sup>1</sup>- نفح الطيب، المقري، ج7، ص182.

<sup>2</sup>- ديوان ابن الخطيب، مج1، ص353.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، مج1، ص357.

تلك المصادر، فقد تنوعت طرق الأخذ منه، بحيث لم تقف عند التناص المباشر أو غير المباشر، بل تعدى ذلك إلى الإشارة والاستفادة مما حمله لنا القرآن من قصص للرسول والأنبياء. كما تجسد هذا البعد أيضا من خلال ذكر العبادات والدعوة لتقوى الله وطلب الغفران، ومدح الرسول والصحابة، في المناسبات الدينية وغيرها من المواضيع.

### 5- البعد الإصلاحي:

يتضمن هذا البعد الحكم والوصايا التي قدّمها الشعراء في هذا العصر، على اعتبار أن أغلبهم كانوا من المشايخ والفقهاء وأهل العلم، فقد قدّم هؤلاء الشعراء العديد من النصائح والإرشادات، واهتموا بنشر الخصال الحسنة بين الناس، من خلال توعيتهم ودعوتهم إلى ذلك، وستعرض بعض النماذج من ذلك ما قاله أبو البركات البلفيقي في المسامحة<sup>1</sup>:

تَغافلُ في الأُمورِ ولا تُكثِرُ      تَقصِّبُها فالاستقصاءُ فُرقةٌ

وسامح في حُقوقِكَ بعضَ شيءٍ      فما استوفى كريمٌ قطُّ حَقِّه

وقال ابن خاتمة في كتم السر<sup>2</sup>:

عَلَيْكَ الكَتْمَ واحذِرْ قولَ سِرِّ      لِمَنْ قَدْ ظَلَّ سِرِّ سِواكَ يَحكي

فَمَنْ أَهداكِ سِرِّ الغَيرِ يَوماً      أفادَ الغَيرَ سِرِّكَ دونَ شاكِّ

هنا بنى الشاعر نصيحته على المنطق، فمن أفشى لك سرَّ غيرك، سيفشي سرَّك لا

محالة. وفي موضوع مشابه حدثنا ابن خاتمة عن فوائد الصمت في قوله:

<sup>1</sup> - نيل الانتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكي، ص 188.

<sup>2</sup> - ديوان ابن خاتمة، ص 160.

لِسَانُكَ اسْتَجْنُ وُلْتُطِلْ حَبْسَهُ      إِن شِئْتِ إِكْرَاماً وَتَصْرُوبِينَا

لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلسَّجْنِ أَهْلًا مَا      غَدَا بِقَعْرِ الْقَمِ مَسْجُونًا<sup>1</sup>

هنا استعار الشاعر صورة السجن، الذي مثل به الفم ، كأنها رسالة من الله سبحانه وتعالى لضرورة التزام الصمت وكنم الأسرار.

وقال "ابن ليون" في تجنب القيل والقال<sup>2</sup>:

نَزْرَةٌ لِسَانِكَ عَنِ قَوْلِ تُعَابٍ بِهِ      وَارْغَبْ بِسَمْعِكَ عَنِ قِيلٍ وَعَنْ قَالٍ

لَا تَبِغْ غَيْرَ الَّذِي يَعْنِيكَ وَاطَّرِحِ الْـ      فَضُولَ تَحِيَا قَرِيرَ الْعَيْنِ وَالْبَالِ

يظهر من خلال الأبيات السابقة اهتمام الشعراء بقضية كتمان السر، لما عرفوه عن مساوي كشف الأسرار، وربما هذا كان نتيجة الفتن الصراعات الداخلية التي تفتت في المملكة، والتي كانت مرتبطة في أغلب الأحيان بالوشاية، لذلك دعا الشعراء لتجنب القيل والقال، وعدم التدخل في شؤون الآخرين.

ومن الأخلاق التي دعا إليها الشعراء أيضا نذكر حسن الجوار والإحسان إلى الجار

وتجاوز سيئاته ، في هذا قال ابن ليون التجيبي<sup>3</sup> :

لِلجَارِ حَقٌّ فَاعْتَمِدْ بِرَّهْ      وَاحْمِلْ أَذَاهُ مُغْضِيًّا سَاتِرًا

فَاللَّهِ قَدْ وَصَّى بِهِ فَاغْتَفِرْ      زَلَّاهُ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَا

ودعا هذا الشاعر أيضا إلى ضرورة قول الحق<sup>4</sup>:

<sup>1</sup>- المصدر السابق، ص 159.

<sup>2</sup>- نفع الطيب، المقري، ج 5، ص 547.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ج 5، ص 548.

<sup>4</sup>- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، ص 188.

يَحِقُّ الْحَقُّ حَتْمًا دُونَ شَكِّ وَإِنْ كَرِهَ الْمُشَكِّكَ وَالْمَلِيدُ  
صَرِيحُ الْحَقِّ قَدْ يَخْفَى وَلَكِنْ بُعِيدَ خَفَائِهِ لَا شَكَّ يَبْدُو

معنى هذين البيتين مقتبس من قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

### الْمُجْرِمُونَ﴾ صدق الله...<sup>1</sup>

ولقد خاطب ابن جياب البخيل في بيتين حثه فيهما على إنفاق المال:<sup>2</sup>

يَا أَيُّهَا الْمُمْسِكُ الْبَخِيلُ إِلَهُكَ الْمُنْفِقُ الْكَفِيلُ  
أَنْفِقْ وَثِقْ بِالْإِلَهِ تَزِيحُ فَإِنَّ إِحْسَانَهُ جَزِيلُ

وقدم ابن العريف نصيحة لمن يريد طلب العلم، ودعاه أن يأخذ العلم مشافهة

من العلماء، بقوله:<sup>3</sup>

مَنْ لَمْ يُشَافِهِ عَالِمًا بِأُصُولِهِ فَيَقِينُهُ فِي الْمَشْكَلَاتِ ظُنُونُ  
مَنْ أَنْكَرَ الْأَشْيَاءَ دُونَ تَيَقُّنٍ وَتَبَيُّنٍ فَمُعَانِدٌ مَفْتُونُ  
الْكَتُبُ تَذِكْرَةٌ لِمَنْ هُوَ عَالِمٌ وَصَوَائِبُهَا بِمَحَالِهَا مَعْجُونُ  
وَالْفِكْرُ غَوَاصٌّ عِلْمِهَا مُخْرِجٌ وَالْحَقُّ فِيهَا لَوْلَا مَكْنُونُ

1 - سورة الأنفال: الآية: 08.

2- الإحاطة، ابن الخطيب، مج 4، ص 199.

3- نفع الطيب، المقري، ج 4، ص 319.

ودعا ابن خاتمة إلى ضرورة التواضع في الملبس في قوله<sup>1</sup>:

دَعِ التَّائِقَ فِي لُبْسِ الثِّيَابِ وَكُنْ لِلَّهِ لَا بِلِبْسِ ثَوْبِ الْخَوْفِ وَالنَّدَمِ  
لو كان للمرء في أثوابه شرفٌ ما كان يخلع أسنانه في الحرم

قال أبو البركات ابن الحاج البلفيقي هذا البيت الرائع الذي تصبُّ في نفس المعنى<sup>2</sup>:

ما قيمة المرء بأثوابه السُرِّي في السُّكَّانِ لا في الدِّيَارِ

تحدث أبو جعفر الرعييني عن خلق الحياء فقال<sup>3</sup>:

قال الرسول ((الحياء خير)) فاصْحَبْ مِنَ النَّاسِ ذَا حِيَاءٍ  
وعن قليل الحياء فابعُدْ فخيـره ليس ذا رجاء  
من حكم الثمينة التي قدمها ابن الخطيب لابنه عبد الله وأمره بحفظ هذه الأبيات  
والتأدب بها فقال<sup>4</sup>:

إِذَا ذَهَبَتْ يَمِينُكَ لَا تُضَعِّعْ يَسَارَكَ فِي الْبِكَاءِ وَلَا الْمَصِيبَةَ  
وَيُسْرَاكَ اغْتَنِمْ فَالْقَوْسُ تَرْمِي وَمَا تَدْرِي أَرْشَقَتَهَا قَرِيبُهُ  
وما بغريبة نُوبُ اللَّيَالِي وَلَكِنَّ النِّجَاةَ هِيَ الْغَرِيبَةُ

من خلال النماذج السابقة المذكّرتجلى لنا اهتمام الشعراء بتقديم النصيح والإرشاد، والدعوة للتّحلي بالخصال الحميدة، تكون أحياناً في قصائد مُنفردة، وأحياناً في شكل أبيات متفرقة. كان هذا نتيجة لتشبّعهم بالثقافة الديّنية ، وكذلك لمعرفةهم بمكانة

<sup>1</sup>- ديوان ابن خاتمة، ص. 163.

<sup>2</sup>- شعر أبي البركات الحاج البلفيقي، ص38.

<sup>3</sup>- نفع الطيب، المقري، ج2، ص684.

<sup>4</sup>- المصدر نفسه، ج7، ص300.

الشِّعر في قلوب النَّاس، فنضمَّ الشُّعراء هذه القصائد بهدفِ تداولها بينهم، فلبما يتأثروا بها ويعتبروا منها بعد تكرارهم لهذه الأشعار.

#### 6- البعد الثقافي:

تجلّى لنا البعد الثقافي في هذه الحقبة الزمنية من خلال الرحلات العلمية، والشِّعر التَّعليمي، وشعر الأحاجي، ووفرة صف المصنّفات والمؤلفات، كما تعدُّ المجالس الشعرية من أبرز المظاهر الثقافية. فقد كان مؤسس المملكة يُقيم المجالس ويستقبلُ فيها الشُّعراء ليُنشدوا قصائدهم فيها. فهذا ابن زمرك يُخاطب الشعراء في أحد مجالس الشعر التي عقدها السلطان الغني بالله<sup>1</sup>:

تَبَارَكَ مَنْ زَانَ الْكِتَابَةَ بِالْعُلَى      وَجَلَّ مِنْهَا الْأَفَقَ بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ  
وأهدى إلى المولى جواهرَ نظمِهِ      فَيَا مَنْ رَأَى دُرًّا يُعَادُ إِلَى الْبَحْرِ  
وَأَتْخَفْتُمْ رَوْضَ السَّمَاحِ بِزَهْرِهِ      فَمَا لَكُمْ وَالرَّوْضُ يُتَّخَفُ بِالزُّهْرِ

وتعتبر الرحلات العلمية أيضا من أبرز المظاهر الثقافية لما فيها من تبادل للثقافات، وهذا ابن الحاج النميري يقول في رحلة التقى فيها بالحافظ الذهبي (673 هـ - 748 هـ)<sup>2</sup>:

رَحَلْتُ نَحْوَ دِمَشْقَ الشَّامِ مُبْتَغِيًّا      رِوَايَةً عَنْ ذَوِي الْأَحْلَامِ وَالْأَدَبِ  
فَقُزْتُ فِي كُتُبِ الْأَثَارِ حِينَ غَدَتِ      تُرْوَى بِسِلْسَةِ عُظْمَى مِنَ الذَّهَبِ (ي)

وتعد رحلة القلصادي المسماة «تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل و المناقب» من أبرز الرحلات الحجازية الأندلسية، التي جمعت بين العبادة و طلب العلم، فقد ذكر ذلك في مقدمة رحلته قائلا: "الحمد لله الذي جعل طلب العلم واجبا على

<sup>1</sup> - ديوان ابن زمرك، ص 205.

<sup>2</sup> - ديوان الحاج النميري، ص 46.

البعض من المسلمين، وفرض الحج على المستطيع من المؤمنين<sup>1</sup>. جالس فيها أشهر علماء ذلك العصر في كل من تلمسان وتونس والقاهرة والحجاز. كان عبد الكريم البسطي على صلة وثيقة بهذا الشيخ، قال بعض الأبيات مهنئاً إياه لوروده من الحج:

رَعَيْتُ لِحْلٍ حَلَّ بِالْقَلْبِ ثَاوِيًّا - عَلَى الْبُعْدِ - وَدَأَّ مَحْضَهُ لَمْ أَزَلْ أَرَعَى

رَأَى الْحَجَّ مَسْعَىً لِلثَّوَابِ فَأَمَّهُ وَعَادَ لَنَا مِنْ حَجِّهِ يَحْمِلُ الْمَسْعَى

وَدَانَ بِجَمْعِ الْعِلْمِ حِلًّا وَرَحْلَةً وَيَا سَعْدَ مَنْ لِلْعِلْمِ يَوْمًا رَأَى جَمْعًا<sup>2</sup>

ومن المظاهر الثقافية وَضَعُ بعض المعارف والعلوم في قالب شعري وهو ما يسميه البعض بـ:"الشعر التعليمي" ومن أمثلة ذلك ما نظمته "أبو جعفر الرعيبي الألبيري في علم العروض قوله<sup>3</sup>:

دَائِرَةُ الْحُبِّ قَدْ تَنَاهَتْ فَمَا لَهَا فِي الْهَوَى مَزِيدُ

فَبِحَرْشِ وُقِي بِهَا طَوِيلٌ وَبِحَرْ دَمْعِي بِهَا مَدِيدُ

وَأَنَّ وَجَدِي بِهَا بَسِيطٌ فَلِي فَعَلِ الْحَسَنُ مَا يَرِيدُ

وقال أيضا<sup>4</sup>:

عَلِمْتُ بِالْعُرُوضِ يَخْبِينُ قَلْبِي فِي مَدِيدِ الْهَوَى بِلِحْظٍ سَرِيعِ

عَنْهُ وَافِرُ الرِّدْفِ يَبْدُو وَخَفِيفٌ مِنْ خَصْرِهِ الْمَقْطُوعِ

1 - رحلة القلصادي، ص 81.

2 - البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد ابن شريفة، ص 13.

3 - نفع الطيب، المقري، ج 2، ص 679.

4 - المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

يحاول الشاعر هنا أن يذكر أسماء البحور الشعرية لتسهيل حفظها، ولعل هذا ما جعل الشعراء يستغلون نظم النصوص التعليمية شعراً.

كما أنشد أبو جعفر الألبيري لرفيقه "ابن جابر" بعض الأبيات في علم الحساب أشار فيها إلى علميات الضرب والقسمة، بربطها بجمال الشعر الغزل في قوله:<sup>1</sup>

قَسَمَ الْقَلْبَ فِي الْغَرَامِ بِلِحْظٍ يَضْرِبُ الْقَلْبَ حِينَ يُرْسِلُ سَهْمَهُ  
هَذَا فِي هَوَاهُ يَا قَوْمُ حَالِي ضَاعَ قَلْبِي مَا بَيْنَ ضَرْبِ وَقِسْمِهِ

وأشاد أبو حيان النّفزي بعلم النحو واعتبره أصل كل العلوم<sup>2</sup>:

وَقَدْ قَصُرَتْ أَعْمَارُنَا وَعِلْمُنَا يَطُولُ عَلَيْنَا حَصْرُهَا وَنُكَابِدُهُ  
وَفِي كُلِّهَا خَيْرٌ وَلَكِنْ أَصْلَهَا هُوَ النَّحْوُ فَاحْذَرْنَا مِنْ جَهَوْلِ يُعَانِدُهُ

وذكر لنا الشيوخ الذين وضعوا هذا العلم مثل أبو الأسود الدؤلي والخليل بن

أحمد الفراهيدي وغيرهم في قوله:<sup>3</sup>

لَقَدْ حَازَ فِي الدُّنْيَا فَخَارًا وَسُودَدًا أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّيَلِيُّ<sup>4</sup> لِلجَرِّ سَانِدُهُ  
وَمَا زَالَ هَذَا الْعِلْمُ تُمْنِيهِ سَادَةٌ جِهَابِذَةٌ تَبْلَى بِهِ وَتَعَاضِدُهُ  
إِلَى أَنْ أَتَى الدَّهْرُ الْعَقِيمُ بَوَاحِدٍ مِنَ الْأَزْدِ تُمْنِيهِ إِلَيْهِ فَرَائِدُهُ  
إِمَامُ الْوَرَى ذَلِكَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدٍ<sup>1</sup> أَقْرَلَهُ بِالسَّبْقِ فِي الْعِلْمِ حَاسِدُهُ

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج2، ص681.

<sup>2</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب مج3، ص35.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، مج3، ص35.

<sup>4</sup> - هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني «16 ق. ه/ 69 ه». هو أول واضع لعلم النحو، وشكّل أحرف المصحف، وضع النقاط على الأحرف العربية بأمر من الإمام علي بن أبي طالب.

هو الواضِعُ الثاني الذي فاقَ أولاً ولا ثالثُ في الناسِ تصحى قواصِدُه

فقد كانَ ربَّانِيَّ أهلَ زَمَانِهِ صُويِّمٌ قُويِّمٌ رَاكِعُ اللَّيْلِ ساجِدُه

ثم ذكر سيبويه<sup>2</sup> في قوله<sup>3</sup>:

أتى سيبويه ناشراً لعلومه فلولاه أضحى النحو عطلاً شواهده

في هذه النماذج يتبين لنا اهتمام الشعراء بالدعوة للمعرفة والعلم والتعلم، إذ يمكن للمطلع على القصيدة أن يعرف أهمية علم النحو ويعرف أسماء أبرز مؤسسيه والمشتغلين فيه، وكانت هذه القصائد التعليمية تساعد طالبي العلم على معرفة المواضيع بشكل مبسط، وقد قال ابن الجياب مفتخراً ببلاغة أهل الأندلس<sup>4</sup>:

أبى الله إلا أن تكونَ اليَدُ العُليا      لأنَّ دلس من غير شرطٍ ولا ثنيا  
فما عَدِمَتِ أهلَ البلاغةِ والحِجَا      يقيمونَ فيه الرِّسمَ للدينِ والدُّنيا  
إذا خَطَبُوا قاموا بكلِّ بليغَةٍ      تُجَلَّى القلوبُ الغُلفُ والأعينُ العميا  
وإن شَعَرُوا جاءوا بكلِّ غريبَةٍ      تَخَالُ النُّجومَ النَّيِّراتِ لها حليا

1 - هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليعمدي، وكنيته أبو عبد الرحمن عاش ما بين (100 هـ - 170 هـ - 718 م - 786 م)، يُعدّ علمًا بارزًا وإمامًا من أئمة اللغة، وواضع علم العروض.

2 - هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، يُكنى أبو بشر، الملقب سيبويه عاش ما بين 148 هـ - 180 هـ / 765 - 796 م)، إمام النحاة، وأول من بسّط علم النحو. أ.

<sup>3</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج3، ص36.

<sup>4</sup> - أزهار الرِّياض في أخبار عياض، أحمد بن محمد المقري، ضبطه وحقّق وعلّق عليه: مصطفى السقا- ابراهيم الابياري- عبد الحفيظ شلي، المعهد الخلفي للأبحاث المغربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة 1358هـ-1939م، ج1، ص124.

كما اهتم الشعراء أيضا بالمصنّفات والكتب كدعوةٍ للقراءة، أو كنوعٍ من أنواع الإشهار الذي نعرفه في زماننا، ومن هذا ما قاله ابن زمرك في مدح كتاب "الشفاء بالتعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض" بطلب من الفقيه أبو عبد الله بن مرزوق عندما شرع في شرحه فقال:<sup>1</sup>

ولا مثلَ تعريفِ الشِّفاءِ حقوقَه      فقد بانَ فيه للعقولُ جميعُها  
بمِراةِ حُسنٍ قد جَلَّتْها يَدُ النُّهى      فأوصافُه يَلتأخُ فيه بَديعُها  
نُجومٌ اهتدأءٍ والمِدادُ يُجَنُّها      وأسرارُ غيبٍ واليَراعُ تَذيِعُها  
لقد حُزتَ فضلاً يا أبا الفضلِ شامِلاً      فيُجزيكَ عن نصيحِ البرايا شَفيعُها  
وللهِ مَمَّنَ قد تصدَّى لِشِرحِه      فلبَّاهُ من عُرِّ المَعاني مُطيعُها  
فكم مُجَمِّلٍ فَصَّلَتِ مِنْهُ وَحِكمَةٌ      إذا كَتَمَ الادمَاجُ مِنْهُ تُشيعُها

وقال ابن الخطيب أيضا في مدح هذا المصنف:<sup>2</sup>

أَزَاهِيهِ رُريَاضٍ،      أم شِفاءٍ لِعِراضٍ؟  
جَدَلُ الباطِلِ، لِلحَقِّ،      بِأسِ يافِ مَواضِي  
وَجَلالِ الأَنوارِ بُرْها      نَنا بِخُلفِ، وَافْتِراضِ

من خلال الأبيات السالقة الذكر يتبين لنا اهتمام الشعراء بمصنّفات العلماء والمشايخ، وفي المقابل نجد دعوة الكتاب الشعراء لمدح مؤلفاتهم، كنوعٍ من الإشهار، بقي

<sup>1</sup> - الإحاطة، ابن الخطيب، مج2، ص203.

<sup>2</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج2، ص644.

أن نعرف هل كان الشعراء يقدمون هذه الخدمة مجاناً، أم أنهم كانوا يحصلون على مكافآت مقابل ذلك.

كل هذا كان للشرف الذي وصل إليه الشعر في ذلك العصر، وقد تحدث ابن

الخطيب عن هذا بقوله<sup>1</sup>:

أَمْوَلَايَ ، إِنَّ الشِّعْرَ دِيْوَانٌ حِكْمَةٌ يُفِيدُ الْغِنَى وَالْعِزَّ وَالْجَاهَ مُذْ كَانَا  
وَقَدْ وُجِدَ الْمُخْتَارُ فِي الْحَفْلِ مُنْصِتًا لَهُ وَحَبَا (( كَعْبًا ))<sup>2</sup> عَلَيْهِ وَ(( حَسَّانًا ))<sup>3</sup>  
وَفِيْمَا رَوَاهُ النَّاقِلُونَ وَأَثَبْتُوا بِذَلِكَ دِيْوَانَنَا صَحِيحًا فِدْيَانًا  
لَهُمْ فِي بُحُورِ الْقَوْلِ إِذْ هُمْ بِحَارِهِ خِطَابٌ وَشِعْرٌ يَسْتَفِزَانِ تَبْيَانًا

وكان الغرناطيون يهتمون بالشعر لدرجة أنهم كانوا يجعلون من كل المناسبات

قاعدة للكتابة الشعرية، مثال ذلك لما أهدى ابن الخطيب السلطان كتابه "عمل من

طب لمن حب" أنشد قائلاً<sup>4</sup>:

أَهْدِيْتُكَ الْعِلْمَ الَّذِي يَقْبُولُهُ كَتَبَ الْإِلَاهُ مَزِيَّةَ الْإِنْسَانِ  
سَلَبَ الْعِدَى كُتْبِي فَقَامَ بِنُصْرَتِي حِفْظِي عَلَى عَجَلٍ وَفَهْمِ جَنَانِ  
وَخَصَّصْتُهُ لَكَ بِالْعِلَاجِ لِكَوْنِهِ يُحْتَاجُ دُونَ سِوَاهُ كُلِّ زَمَانِ  
حَتَّى تُرَى عُمَرَ الطَّبِيعَةَ بِالْغَا بِمَشِيئَةٍ مِنْ مُبْدِعِ الْأَكْوَانِ

<sup>1</sup> - المصدر السابق، مج2، ص579.

<sup>2</sup> - يقصد كعب ابن زهير.

<sup>3</sup> - يقصد حسان ابن ثابت شاعر الرسول.

<sup>4</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج2، ص595.

تعد إعاره الكتب من أبرز المظاهر الثقافية في ذلك العصر، سنورد بعض الأبيات لعبد الكريم البسطي شكر فيها بعض الأصحاب الذين أعاروه كتاب الصيب والجهام لابن الخطيب:

إِنِّي لأَقْطَعُ مَدَّتِي مِنْ ذِكْرِكُمْ يَا أَهْلَ وَدْيَ بِالثَّنَاءِ الطَّيِّبِ

فَلَقَدْ قَضَيْتُمْ لِي مَآرِبَ لَمَّا أَعْرْتُمْ لِي كِتَابَ الصَّيِّبِ<sup>1</sup>

لقد كان هذا الشاعر مُجِباً للمُطَالَعَةِ ومُتَعَلِّقاً بالكتب ويُكِنُّ لها أهمية كبيرة، نظم بعض الأبيات يتأسف فيها عن بيعه لأحد كتبه لحاجته للمال:

قَسَمًا لَوْلَا مَعَادَاةَ الزَّمَنِ وَاحْتِيَاجِي مِنْ كِتَابِي لِلثَّمَنِ

مَا بِنَفْسِي لِبَيْعِ سَمَحْتٍ وَلَوْ اعْتَضْتُ بِهِ مُلْكَ الْيَمَنِ<sup>2</sup>

لم يقتصر الجانب الثقافي في الشعر على ما سبق ذكره، إنما تجاوزه لشعر الأحاجي والألغاز، وهو نوع من الترف الفكري والثقافي، ودليل ملموس على أن الشعب كان مثقفاً، وأن الساكنة كان لها اهتمام بالغ بالشعر، جعلهم يهتمون به حتى في مجالس لهوهم وسمرهم. ومن ذلك ما قاله ابن الجياب في الألغاز والأحاجي قوله في لغز المائدة، الذي أظهر فيه ثقافة الدينية:<sup>3</sup>

حَاجِيَتْ كُلَّ فِطْنٍ نَظَّارٍ مَا اسْمُ الْأُنْثَى مِنْ بَنَى النِّجَارِ

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَاءَ ذِكْرُهَا فَقُلْ مَا يَغْفَلُ عَنْهَا الْقَارِي

1 - البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد بن شريفة، ص 69.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - الإحاطة، ابن الخطيب، مج4، ص. 120 .

وقال أبو حيان النفزي يلغز في قيراط وزعم انه لا يُفك:<sup>1</sup>

وما اسمٌ حُماسيٌّ إذا ما فكَّكتَهُ      يصيرُ لنا فعلينِ أمرًا وماضيا  
بعكسٍ وهو كلٌّ وجزءٌ وجمعُهُ      بإبدالِ عينٍ حار فيه التناهيَا  
ومع كونه فردًا وجمعًا فأولُّ      وآخرهُ أضحى لشخصٍ معاديا  
وفي عكسه صوتٌ فتبنيه صيغةً      وتبني بمعناه وما أنت بانيا  
فكم فيه من معنى خفيٍّ وإنما      عنيتُ بذكري للذي ليس خافيا

يظهر من زعم النفزي أن لغزه عصيٌّ عن الحل فيه نوعٌ من الذكاء، الذي كان يصنع جواً من المتعة والتَّحدي في نفس المتلقي، الذي كان مُهتَمًّا بدوره بالبحث عن حل لهته الألباز والأحاجي.

كما قال ابن جيان في لغز الفلك:<sup>2</sup>

ما اسمٌ لشيءٍ مُرتقي      في مغربٍ ومشرقِ  
إذا حذفتَ فناءهُ      كان لك الذي بقي

في هذا اللغز يساعد الشَّاعر المتلقي بأن الكلمة المراد البحث عنها فيها حرف الفاء، مما يَخْتزِل في ذهن السَّامعين عدد الكلمات، فدائماً يجعل الشُّعراء للحل قرينة مساعدة يستفيد منها المستمع.

<sup>1</sup>- نفع الطيب، المقري، ج2، ص564.

<sup>2</sup>-المصدر نفسه ج5، ص451.

وقال في لغز الغزال عدة أبيات معطيا كثيرا من احتمالات الحلول لمن يسمعون

السؤال شعرا<sup>1</sup>:

حاجيتكم ما اسم شيءٍ يروقُ في الوصفِ حُسنا  
 له محاسنٌ شتى منها فرادى ومثنى  
 إن زال أولُ حروفٍ زال الـذي منه يعنى  
 أو زال ثانيه منه فالتلُّ أدهى وأفنى  
 أو زال ثالثه فهـ \_\_\_\_\_ ولغو صبيّ معنى  
 أو زال رابعه فـ \_\_\_\_\_ جهادٌ فيه تسنى  
 فأوضح القصيدُ يا مَنْ قد فاق عقلاً وذهنا

كما كان لابن الحاج الغرناطي مساهمة في هذا الغرض من ذلك ما قاله في لغز

القلم:<sup>2</sup>

سألتك ما واشٍ يرادُ حديثه وهوى الغريبُ النَّازِحُ الدارِ إفصاحه  
 تراه مدى الأيام أصفرَ ناحلاً كمثلِ عليلٍ وهو قد لازم الراحة

ما يمكن استنتاجه من خلال هذه النماذج، أن هذا الشعب كان مثقفاً، ومهتماً  
 بالشعر، تجلّى لنا ذلك في عدة مواضع، من ذكر للرحلات والمجالس العلمية والشعر  
 التعليمي، حيث ظهرت قصائد تُعنى بتعليم الناس مختلف العلوم، من الفقه والفرائض

<sup>1</sup> - نفع الطيب، المقري، ج 5، ص 452.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج، ص 155.

والعروض والحساب وغيرها، إضافة لشعر الأحاجي والألغاز الذي كان مشهوراً في مجالس العامة، فقد كان اللغز يَبقى لعدّة أيام قبل أن يُوجد له حل، يتناقله الناس فيما بينهم، كل هذا يدل على مكانة الشعر في قلوب العامة والخاصة في المملكة.

### 7- البعد الإنساني:

يعتبر البعد الإنساني من أهم الأبعاد الحضارية، تجلّى في الإخوانيات لما تحمله من مشاعر إنسانية نبيلة من: عتاب، وشكر، وتهادي، وتهنئة، وتعزية، بالإضافة إلى مواسة المرضى والرأفة بالحيوانات والعناية بها، وتعدى ذلك الخيول والجمال التي وصفها ومدحها الشعراء العرب، إلى الخراف والديوك وغيرها من الحيوانات الأليفة التي عاشت مع ساكنة غرناطة. يمكننا اختصار الجوانب الإنسانية في الموضوعات التالية:

أ- مواسة المرضى.

من مواقف ابن الخطيب الإنسانية محاولته رفع معنويات أحد الفضلاء وقد ظهر

عليه "جذام" ويسمى بداء الأسد<sup>1</sup>:

أَصَابَتْكَ يَا عَيْنٌ - عَيْنُ الْحَسَدِ فَتَجُرُّ النَّدَى وَالنَّدَامِي كَسَدِ  
وَكَلْتُ لِكَلِّ شَهِيرٍ خَطِيرٍ فَقُمْتَ بِهِ وَسَدَدْتَ الْمَسَدِ  
وَلَمَّا عَلَوْتَ وَقُدْتَ الزَّمَانَ بِحَبْلِ فَأَوْهَقْتَهُ مِنْ مَسَدِ  
رَأَى أَسَدًا مِنْ أُسُودِ الرَّجَالِ لِمَاكَ زَمَاكَ بِدَاءِ الْأَسَدِ  
وَقَدْ يَتَأْتِي صَلاَحُ النَّفُوسِ وَتَطْهِيرُهَا ، بِفَسَادِ الْجَسَدِ<sup>2</sup>

<sup>1</sup>- داء الأسد هو صنف من الجذام سمي بذلك لمشابهة وجه صاحبه وجه الأسد.

<sup>2</sup>- ديوان ابن الخطيب، ص 340.

وقال ابن زمرك بمناسبة شفاء السلطان من المرض<sup>1</sup>:

لَكَ الْبُشْرَى أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَظِلَّ اللَّهِ فَوْقَ الْعَالَمِينَ  
شِفَاؤَكَ لِلصُّدُورِ بِهِ شِفَاءٌ وَقُرَّةٌ أَعْيُنٍ لِلْمُؤْمِنِينَ  
بِرَاحَتِكَ النُّفُوسُ لَهَا ارْتِيَاخٌ وَبُرُوكَ عِصْمَةٌ دُنْيَا وَدِينَا

### ب- التعزية:

تعتبر التعازي أصلاً في التعاملات عند المسلمين، ارتبط هذا الفعل شعريا بالثناء، عمد الشعراء فيه لمواساة بعضهم بعض عند المصائب والنوائب، تعزيزاً للتألف والتلاحم فيما بينهم. ومن أمثلة هذا ما قاله ابن زمرك<sup>2</sup>:

عَزَاءٌ فَعَفُوُ اللَّهِ لِلْمَيِّتِ شَامِلٌ وَصَبْرًا فَأُطْفِئُ اللَّهُ لِلْحَيِّ كَافِلٌ  
وَمَنْ كَانَ بَيْنَ الْعَفْوِ وَاللُّطْفِ أَمْرُهُ تَسَنَّتْ لَهُ فِيمَا يُرِيدُ الْمَأْمِلُ  
إِذَا الْأَجَلُ الْمَكْتُوبُ جَاءَ لِقَوْتِهِ فَمَا مَانَعُ مِنْهُ الْقَنَا وَالْقَنَايِلُ  
فَسَلِّمْ إِلَى رَبِّ الْقَضَاءِ قَضَاءَهُ (فَيَفْعَلْ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ فَاعِلٌ)

وقال يُوَاسِي السلطان يوسف الثاني لفقده والده الغني بالله<sup>3</sup>:

عَزَاءٌ أَمِيرَ الْمُسْلِمِينَ فَأَيْتُهَا مَقَادِيرُ رَبِّ الْخَلْقِ فِي الْخَلْقِ يُجْرِيهَا  
هُوَ الْمَوْتُ وَزِدُّ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا أَوَاخِرُهَا تَقْفُوسَ بَيْلِ أَوَالِيهَا

<sup>1</sup> - ديوان ابن زمرك، ص 293.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 285.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ص 513.

وَمَا بَيْنَنَا حَيٌّ وَمَا بَيْنَ آدَمِ أَلَا هَكَذَا سَوَى الْبَرِيَّةِ بَارِهَهَا  
وَفِي مَوْتِ خَيْرِ الْخَلْقِ أَكْبَرُ أَسْوَةٍ تُصَبِّرُ أَحْرَارَ النُّفُوسِ وَتُسَلِّمُهَا

### ت- الرأفة بالحيوان:

من تجليات البعد الإنساني الرأفة بالحيوانات والعناية بها، كالخراف والدُّيوك وغيرها من الحيوانات الأليفة التي عاشت مع ساكنة غرناطة. وتعدَّى ذلك من وصفها إلى رثائها والحزن على فراقها. من ذلك ما قاله "ابن المربع" وهو يرثي ديكهُ ويبيكي عليه لعدم تمكُّنه من تنبيهه للأذان، حين قال:<sup>1</sup>

أَوَدَى بِهِ الْحَتْفُ لَمَّا جَاءَهُ الْأَجَلُ دِيكًا فَلَا عِوَضَ مِنْهُ وَلَا بَدَلَ  
قَدْ كَانَ لِي أَمَلٌ فِي أَنْ يَعِيشَ فَلَمْ يَثْبُتْ مَعَ الْحَتْفِ فِي بُغْيَا لَهَا أَمَلٌ<sup>2</sup>  
فَقَدْتُهُ فَلَعَمْرِي إِنَّهَا عِظَةٌ وَبِالْوَاعِظِ تُذْزِرِي دَمْعَهَا الْمُقْلُ

كما أشاد بدقة صياحه في الوقت دون كلل ولا مل في قوله:<sup>3</sup>

مُؤَقِّتٌ لَمْ يَكُنْ يُحْزِي لَهُ خَطَأٌ فِيمَا يُرْتَّبُ مِنْ وَرْدٍ وَلَا خَلَطٌ<sup>4</sup>  
كَأَنَّ زَرْقِيلَ<sup>5</sup> فِيمَا مَرَّ عَالِمُهُ عِلْمَ الْمَوَاقِيتِ فِيمَا رَتَّبَ الْأَوَّلُ  
يُرْجَلُ اللَّيْلِ يُحْيِي بِالصُّرَاخِ فَمَا يَصُدُّهُ كَلَلٌ عَنْهُ وَلَا مَلَلٌ

<sup>1</sup>- الإحاطة، ابن الخطيب، مج3، ص323.

<sup>2</sup>- ورد في نفع الطيب: في بُقْيَاهِ لِي أَمَلٌ

<sup>3</sup>-المصدر نفسه، مج3، ص323-324.

<sup>4</sup>- ورد في نفع الطيب: وَلَا خَلَلٌ

<sup>5</sup>- هو إبراهيم بن يحيى النقاش الزُّرْقَلِي القرطبي، من أعظم أهل الفلك، ومخترع أجهزة دقيقة كالزُّرْقَلِيَّة والصَّفِيحَة،

ثم يظهرُ لنا جانبُ إنسانيٍّ آخر من خلال عنايته بهذا الديك لما أصابه المرض، لكن للأسف لم ينفَع فيه العلاج لأن أجله قد حل، حيث قال<sup>1</sup>:

رَأَيْتُهُ قَدْ وَهَتْ مِنْهُ الْقُوَى فَهَوَى لِأَرْضٍ فَعَلَا يُرِيهِ الشَّارِبُ التَّمْلُ  
لَوْ يُفْتَدَى بِدِيوكِ الْأَرْضِ قَلَّ لَهُ ذَاكَ الْفِدَاءِ، وَلَكِنْ فَاجَأَ الْأَجَلَ  
قَالُوا الدَّوَاءَ فَلَمْ يُغْنِ الدَّوَاءُ وَلَمْ يَنْفَعَهُ مِنْ ذَاكَ مَا قَالُوا وَمَا فَعَلُوا  
أَمَلْتُ فِيهِ ثَوَاباً أَجْرَ مُحْتَسِبٍ إِنْ قُلْتَ ذَلِكَ، صَحَّ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ

ونظم عبد الكريم البسطي أيضا بعض الابيات في رثاء خروف له، بعدما ضحى به في العيد، فقال<sup>2</sup>:

لَهْفَ نَفْسِي وَلَهْفَ نَفْسِي عَلَيْهِ أَلْفَ لَهْفٍ مُضَافَةً لِأُلُوفٍ  
أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ لِي بَعْدَهُ أَوْ أَيُّ عَيْدٍ تَرَاهُ عَيْنِي شَرِيفٍ  
بَانَ عَنِّي وَحَمَلَّ الْقَلْبَ حَزْناً دَائِماً لَيْسَ حَمْلُهُ بِالْخَفِيفِ  
حَسْبِيَ اللَّهُ مُصَابِي عَلَيْهِ فَهُوَ حَسْبِي لِكُلِّ خَطْبٍ مَخُوفٍ

لقد بالغ الشاعر في حزنه بعض الشيء، إذ أن الحزن لأجل كبش تمت التضحية به لأداء شعيرة دينية ليس من عُرف المسلمين.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، مج3، ص324..

<sup>2</sup> - شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إعداد: فاطمة مفلح مرشد العبدالات، إشراف: حمدي منصور. كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون الأول سنة 2002م ص130. عن ديوان عبد الكريم القيسي، ص.164

ت- التهادي:

من المظاهر الحضارية التي انتشرت في ذلك العصر، التهادي وهو دليل على المحبة والمودة بين الأهل والأصدقاء، وهو من المشاهد الإنسانية التي اهتم بها الشعراء انطلاقاً من الحديث الشريف الذي يصب في هذا المعنى، " تهادوا تحابوا"<sup>1</sup>. تنوعت الهدايا وتعددت أشكالها، ومن التهادي بالورود ما صورته لنا ابن خاتمة الأنصاري يصف لنا مشهداً جميلاً قام فيه أحد أصدقائه بإهدائه باكورة ورد فقال<sup>2</sup>:

حَيْثُكَ بِكَرْمٍ مِنْ بَنَاتِ الرَّوِّ      وَضٍ أَعْجَلَهُمْ ابْتِكَارُ  
جَاءَتْكَ مُنْبِئَةً بِإِقْدَارِ      بَالِ الرَّبِيعِ لَهَا ابْتِدَارُ  
مَحْفُوفَةً بِالْأَسْرِ مِنْهُ      عَلَى مَحَاسِنِهَا خِمَارُ  
فَكَأَنَّهَا مَا بَيْنَهُ      خَدٌّ أَحَاطَ بِهِ عِندَارُ

ومن ذلك أيضاً ما كتبه "ابن زمرك" في إحدى مقطوعاته الشعرية لما قام بتقديم باقة ورد جميلة للسلطان الغني بالله قال في ذلك<sup>3</sup>:

أَمْوَلَايَ تَقْبِيلِي لِيُمنَاكَ شَاقِنِي      وَلَا يُنَكِرُ الظُّمَأْنَ شَوْقاً إِلَى الْبَحْرِ  
بَعَثْتُ لَكَ الزَّهَرَ الْجَنِيَّ لَعَلَّهَا      يُقْبِلُهَا عَنِّي تُغُورُ مِنَ الزَّهْرِ

1 - ورد في أدب المفرد للبخاري، باب قبول الهدية: حدثنا عمر بن خالد: قال: حدثنا ضمام بن اسماعيل قال: سمعت موسى بن وردان، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تهادوا تحابوا". الأدب المفرد، البخاري، حقق نصوصه ورقم أبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السننية، القاهرة، 1375هـ، ص155.

<sup>2</sup>- ديوان ابن خاتمة الانصاري، ص126.

<sup>3</sup>- ديوان ابن زمرك، ص421.

كما ذكرنا سابقا قد تتنوع الهدايا من طعام ولباس وغيرها. فهذا شاعرنا "ابن خاتمة الأنصاري يصف لنا بهار - وهو نوع من التوابل- جاءه هدية قدمه إليه أحد أصدقائه:<sup>1</sup>

يا رياضاً أهدي لأنفي بهارا وصباحاً أبدي لعيني نهارا  
وصلتني هديّة منك أهدت لفؤادي من المنى أوطارا  
نفتحتني بمثل ذكرك طيباً ربّ طيبٍ يُعدي النفوس ادكارا

وأهدى ابن الخطيب أحد القضاة قارورة فيها ماء الزهر، وخاطبه مغازلاً أنه هو العطر نفسه فلا حاجة له به لما قال:<sup>2</sup>

خُذْهَا مُجَاغَةً مَاءٍ زَهْرٍ بِاسِمٍ مِنْ فَوْقِ غُصْنٍ لِلرِّيَاضِ رَطِيبٍ  
أهديتها طيباً إليك وإن يكن علمي بأنك طيب الطيب  
أرأيت بنت زجاجة ومجاجة تُهدى إلى قاضٍ من ابن خطيب

من خلال النماذج السابقة الذكر يتبين لنا أنّ شعر هذا العصر صور لنا العديد من المشاهد الإنسانية، التي استنبطها من تعاليم الدين الإسلامي، كالتهادي والرفق بالحيوانات، وجبر الخواطر، كذلك ما يتعلق بزيارة المرضى وغير ذلك من القيم الإنسانية، التي اهتم الشعراء بذكرها ووصف تفاصيلها للآخرين، لجعلهم يقومون بنفس الشيء كنوع من التسويق لهذه الأفعال الحسنة.

<sup>1</sup> - ديوان ابن خاتمة، ص.128

<sup>2</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج1، ص 108.

8- البعد الفني:

كان الاهتمام بالجوانب الفنيّة من أهم المقومات الحضارية التي عُرفت بها مملكة بني الأحمس، فقد عمدوا إلى إدراج الشعر في كل مناحي الحياة، من خلال النقوش والرُّقوم الشعرية، التي ارتبطت الخط العربي الذي أعطاهها قيمة جمالية، كان الخط الكوفي هو الغالب، مع اعتماد خط النسخ في بعض الأحيان.

لقد اقيمت النقوش الشعريّة في فن العمارة، فزينت جدران القصور والمباني، وكانت معلماً من معالم الحضارة الإسلامية في الأندلس. والجدير بالذكر أن هذه الأشعار تعود للشعراء المقربين من السلاطين فقط أمثال: ابن الخطيب وابن زمرك وابن الجياب وابن فركون. سنورد بعض النماذج على سبيل المثال:

لقد نقشت أشعار ابن الخطيب في العديد من أركان قصر الحمراء، ومنها هذه الأبيات التي زينت أحد الجدران قالها في مدح السلطان الغني بالله<sup>1</sup>:

السَّعْدُ، هَذَا بَابُهُ الْمَفْتُوحُ وَالْعِزُّ، هَذَا سِرُّهُ الْمَشْرُوحُ  
أَثَارُ مَوْلَانَا الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ مِثْلُ الْكَوَاكِبِ، فِي السَّمَاءِ، تَلُوحُ

وقال أيضا وكتبتُ لِيُنْقَشَ عَلَى طَاقِ مَاءِ بِيَابِ الْقُبَّةِ<sup>2</sup>:

أَنَا طَاقٌ تَزْهُو، بِي، الْأَيَّامُ تَعَبْتُ، فِي بَدَائِعِي، الْأَفْهَامُ  
وَتَبَدَّيْتُ، لِلنَّوَاطِرِ، مَحْرَا بَا، كَأَنَّ الْإِنَاءَ، فِيَّ، إِمَامُ  
وَأَقِفْ لِلصَّلَاةِ حَتَّى إِذَا مَا جِئْتَ لِلشُّرْبِ حَانَ، مِنْهُ، سَلَامُ

<sup>1</sup>-ديوان ابن الخطيب، مج 1، ص 235.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، مج 2، ص 537.

لقد نُظمت أغلب هذه الأشعار بأمر من السلاطين أنفسهم، من النماذج التي تؤكد ذلك ما نظمه ابن فركون بأمر من الملك يوسف الثالث<sup>1</sup> حيث قال: «وأمرني كذلك - أعلى الله مقامه - بمنظوم يُكتب بالطيقان العلياً من هذا المبنى فحدوتُ حدو الأمر الكريم في ذلك غرضاً وعروضاً وقافيةً وعدد أبياتٍ م»<sup>2</sup>. سنذكر المقطع الأول منها:<sup>3</sup>

أَحْرَزْتُ كُلَّ وَصْفٍ رَائِقٍ حَسَنِ      مَا لَمْ يُنَلِّ مِثْلُهُ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ  
 ان حَلَّ مِنْ مَظْهَرِي مَوْلَايَ أَفْقَ عُلَاً      فَأَيْنَ صَنْعَاءُ<sup>4</sup> أَوْ سَيْفَ بَنُ ذِي يَزْنَ<sup>5</sup>  
 هَذَا هُوَ الْمَصْنَعُ الْأَعْلَى فَحُلَّ بِهِ      طَوَعَ السُّعُودِ وَدَعَّ غُمْدَانَ<sup>6</sup> لِلْيَمَنِ  
 أَوْ حَلَّ فِي مَظْهَرِي عِنْدَ الْعَشِيِّ فَمَا      لِلشَّمْسِ دُونِي أَنْ تَهْدِي إِلَى سَنَنِ

وهذا يدل على أن الشاعر لم ينظم هذه الأبيات من تلقاء نفسه، بل قام السلطان بتحديد نوع البحر الذي ينظم فيه، واختار القافية وحدد أيضا عدد الأبيات بأحد عشر بيتاً خصصها لمدحه وذكر محامده.

<sup>1</sup> لابن فركون العديد من الأشعار المنقوشة الموزعة على طيقان القصر بالشكل الآتي: الطاقة الكبرى: 11 بيتاً. الطاقة المشرفة على الحمراء المقابلة للكبرى: 8 أبيات. الطاقة الثالثة التي ليمين الكبرى: 8 أبيات. الطاقة الرابعة التي تُشرف على الصّهرج: 8 أبيات. الطاقة الخامسة الصّغرى: 5 أبيات. الطاقة السادسة الصّغرى: 5 أبيات. الطاقة السابعة: 5 أبيات. وترك الطاقة الثامنة لينظم فيها الملك يوسف بنفسه عدة أبيات. ينظر: ديوان ابن فركون، ص (271- 276).

2- المصدر نفسه، ص 272.

3- المصدر نفسه، ص 272.

4 - صنعاء هي عاصمة اليمن.

5 - هو سيف بن ذي يزن بن عافر بن أسلم بن زيد ولد في يافع، ملك يمني عاش ما بين 516 و574م.

6 - غمدان: يقع هذا القصر في مدينة صنعاء، يُعد سيف بن ذي يزن من آخر الملوك الذين سكنوه، ويعتبر من عجائب الهندسة المعمارية وأقدم القصور الضخمة في العالم.

ونظم خمسة أبيات لتنقش على الطاقة المطلة على جنة العريف وهي كالتالي<sup>1</sup>:  
 أنا أسمى في الحُسنِ قَدراً وأَعْلَى      حَيْثُ أَصْبَحْتُ لَابِنِ نَصْرِ مَحَلًّا  
 وَإِنَّمَا جَنَّةُ الْعَرِيفِ عَرُوسٌ      وَأَنَا تاجُهَا الرَّفِيعُ الْمُحَلًّا  
 يُوسُفُ مُبَدِعي فَرَائِقُ وَصَفِي      بِحُلَى الْعِزِّ وَالْكَمَالِ تَحَلَّى  
 دَامَ فِي غِبْطَةٍ وَطُولِ سُورٍ      يَقْدُمُ النَّصْرُ جُنْدَهُ حَيْثُ حَلًّا  
 كما كتب لينقش على قُبَّتَيْنِ بالقصر في قوله: " ولما شرع - أيده الله - في تجديدِ

القُبَّتَيْنِ وإحياءِ رَسْمَيْهِمَا أمرني بنظم أبياتٍ كتبت دائرةً في إحداهما "2:

لِلَّهِ مَنِّي مَصْنَعٌ      يُبِدِي الْجَمَالَ وَيُبْدِعُ  
 مَوْلَى الْخَلَائِفِ يُوسُفُ      بَدْرٌ وَأُفْقِي مَطْلِعُ  
 رَوْضُ الْمَحَاسِنِ جَانِبِي      أَزْهَارُهُ تَتَضَوُّعُ  
 وَالزُّهُرُ إِنِ نَاجَيْتُهَا      أَلْقِي الْحَدِيثَ فَتَسْمَعُ  
 أَنَا قُبَّةٌ لِلْمَصْنَعِ إِذْ      أَنَا لِلصَّنِيْعَةِ مَوْضِعُ

ومن النصوص التي نقشت على جدران الحمراء، نجد قول ابن الجياب<sup>3</sup>:

قَدْ زَيْنَ الْحَمْرَاءَ هَذَا الْمَصْنَعُ      هُوَ لِلْمُسَالِمِ وَالْمُحَارِبِ مَرْبَعُ

<sup>1</sup> - ينظر: ديوان ابن فركون، ص 275.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 276.

<sup>3</sup> - ديوان ابن الحاج النميري، ص 24

وعلى النسق نفسه نظم ابن زمرك العديد من الأشعار، منها ما قاله ليُنقش على

خزانة السلطان:<sup>1</sup>

يا ابنَ الملوكِ وأبناءِ الملوكِ ومَن      تَعْنُو النُّجُومَ لَهُمَ قَدْرًا إِذَا انْتَسَبُوا  
إِنْ كُنْتَ شَيْدَتَ قَصْرًا لَا نَظِيرَ لَهُ      حَازَ العُلَى وَسَمَتَ مِنْ دُونِهِ الرُّتَبُ  
شَيْدَتَ لِلدِّينِ فِي عِلْيَاءِ شَاهِقَةٍ      بَيْتًا مِنَ العِزِّ لَمْ تُمَدِّدْ لَهُ طُنْبُ

لم تنقش الأشعار في القصور فقط، بل زينت بعض المنشآت المعمارية

الأخرى، التي لها مكانة مهمة في المملكة كالمدرسة اليوسفية، نورد في هذا الصدد بعض

الآبيات لابن الجياب المنقوشة على باب هذه المدرسة:<sup>2</sup>

يا طالبَ العِلْمِ هَذَا بَابُهُ فَتِحَا      فَادْخُلْ تُشَاهِدْ سَنَاهُ لِأَخِ شَمْسٍ ضُحَى  
وَاشْكُرْ مُجِيرَكَ مِنْ حَلٍّ وَمُرْتَحِلٍ      إِذْ قَرَّبَ اللَّهُ مَرْمَاكَ مَا نَزَحَا  
وَشَرَفَتْ حَضْرَةَ الإِسْلَامِ مَدْرَسَةً      بِهَا سَبِيلُ الهِدَى وَالْعِلْمِ قَدْ وَضَحَا  
أَعْمَالُ يَوْسَفَ مَوْلَانَا وَنِيَّتُهُ      قَدْ طُرِّزَتْ صُحُفًا مِيزَانُهَا رَجَحَا

ومن أبيات أخرى لابن الخطيب زينت أحد جدران هذا الصرح:<sup>3</sup>

أَلَا هَكَذَا تُبْنَى المَدَارِسُ لِلْعِلْمِ      وَتَبْقَى عُهُودُ المُجْدِ ثَابِتَةً الرَّسْمِ  
وَيُقْصَدُ وَجْهُ اللَّهِ بِالعَمَلِ الرِّضَى      وَتُجْنَى ثِمَارُ العِزِّ مِنْ شَجَرِ العِزْمِ

كما نقشت على الأثاث من ذلك قاله ابن الخطيب ليكتب على سفرة طعام:<sup>4</sup>

نَشَدْتُكَ هَلْ أَبْصَرْتَ قَبْلِي أَوْ بَعْدِي      مُقَوَّرَةً قَوْرَاءَ كَالْقَمَرِ السَّعْدِ؟

<sup>1</sup> - ديوان ابن زمرك، ص. 156.

<sup>2</sup> - نفع الطيب، المقرئ، ج 5، ص 457.

<sup>3</sup> - المصدر نفسه، ج 6، ص 482.

<sup>4</sup> - ديوان ابن الخطيب، مج 1، ص 334.

رَحِيْبَةٌ أَكْنُافٍ، ضَمِيْنَةٌ أَنْعَمِ تَدُلُّ عَلَى الْفَخْرِ الْمُؤْتَلِّ وَالْمَجْدِ

يُبَشِّرُ بِالشَّمْلِ الْجَمِيْعِ قُدُوْمَهَا وَتَأْتِي مَعَ الْعَيْشِ الْخَصِيْبِ عَلَى وَعْدِ

تَمَدُّ بِبِاسْمِ اللَّهِ، فِي كُلِّ مَشْهَدٍ وَتُرْفَعُ بَعْدَ الشُّكْرِ لِلَّهِ وَالْحَمْدِ

ونقش على بعض الأسلحة ممن أمثلة ذلك ما قاله ابن الخطيب ليكتب على

حمالة سيفٍ لأحدِ أولادِ السلطان: <sup>1</sup>

إِنَّا، بَنِي نَصْرٍ إِذَا مَا أَطْلَعْتَ يَوْمًا سَمَاءُ سُعُودِنَا مَوْلُودًا

كَانَتْ حَمَائِنُنَا لَهُ وَسُرُوجُنَا بَيْنَ الْمُلُوكِ تَمَائِمًا وَمُهْرُودًا

ونقش على شواهد قبور السلاطين وغيرهم تخليدا لذكراهم وتعدادا لفضائلهم

ومن ذلك ما قاله ابن الخطيب ونُقش على قبر السلطان أبي الحجاج يوسف الأول: <sup>2</sup>

يُحْيِيكَ بِالرِّيْحَانِ وَالرُّوْحِ مِنْ قَبْرِ رِضَا اللَّهِ عَمَّنْ حَلَّ فِيكَ مَدَى الدَّهْرِ

إِلَى أَنْ يَقُومَ النَّاسُ تَعْنُؤُوجُهُمْ إِلَى بَاعِثِ الْأَمْوَاتِ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ

وَلَسْتَ بِقَبْرِ إِنَّمَا أَنْتَ رَوْضَةٌ مُنْعَمَةٌ الرِّيْحَانِ عَاطِرَةٌ النَّشْرِ

نظم ابن الخطيب بعض الابيات لتكتب على سرير بديع من الخشب اتُخذ

للسلطان: <sup>3</sup>

إِذَا نِمْتَ نَمٌ لِلْأَمْنِ فَوْقَ مِهَادٍ وَإِنْ قُمْتَ قُمْ لِلْعِزِّ تَحْتَ عِمَادٍ

<sup>1</sup>- ديوان ابن الخطيب: مج 1، ص 330.

<sup>2</sup>- المصدر نفسه، مج 2، ص 398.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، مج 2، ص 342.

وَجُلٌ فَوْقَ سَرْجِي وَاجْعَلِ الْوَصَلَ غَايَتِي      فَايِّي، لِلذَّاتِ، خَيْرُ جَوَادِ  
حُجِبْتُ بِحُجْبِ الصَّوْنِ عَنْ كُلِّ نَاطِرٍ      وَأُسْكِنْتُ لِلتَّرْحِيبِ أَرْفَعَ نَادِي  
وَحَفَّ بِي الْغَيْدُ الْجِسَانُ لِخِدْمَتِي      فَسِرِّي مَكْتُومٌ وَحُسْنِي بَادِي

يعد ابن زمرك من أبرز الشعراء النقوش، وهذا ما أكده عبد الحميد عبد الله الهرامة في قوله: " كان ابن زمرك صاحب حظوة في نفس الغني بالله من ابن الحاج، كما كان شعره أجود تأليفاً وأصدق تعبيراً، فلقي قبول الأمير، وفاز بالتدوين على جدران القصر ليبدو في آثاره الباقية وكأنه شاعر الحمراء بلا منازع"<sup>1</sup>. سنورد بعض النماذج لأشعاره المرقومة، منها ما قاله ليرقم على سرجٍ مدح فيها السلطان ويدعوله بالنصر:

أَنَا السَّرْجُ فَوْقِي سِرَاجُ الْمُلُوكِ      وَوَسْطَى السُّلُوكِ وَبَدْرُ التَّمَامِ  
غَمَامُ الْعُضَاةِ سِمَامُ الْعُدَاةِ      إِمَامُ الْهُدَاةِ وَمَوْلَى الْأَنَامِ  
وَشَكْلِي فِي الْحُسْنِ شَكْلُ الْهَيْلَالِ      وَرَقَمِي يُزْرِي بِزَهْرِ الْكِمَامِ<sup>2</sup>

وقال أيضاً:

أَنَا فِي الشَّكْلِ هَالَةٌ      فَوْقَهَا الْبَدْرُ قَدْ بَدَا  
أَيْ بَدْرٌ مُتَمَّمٌ      لَاحَ فِي مَرْقَبِ الْهُدَى  
تَحْسُدُ الشَّمْسُ فِي الضُّحَى      نَجَلٌ نَصْرٌ مُحَمَّدًا<sup>3</sup>

كان الكلام على لسان الجمادات طريقة غالباً ما عمد إليها ابن زمرك في أشعاره

المرقومة .

1 - ديوان ابن الحاج النميري ص25

2 - ديوان ابن زمرك، ص106.

3- المصدر نفسه، ص107.

وقال أيضا ليكتب على ثوب أهدي للسلطان أبي العباس<sup>1</sup>:

أُهْدِي أَبَا الْعَبَّاسِ      مَلِكَ النَّدَى وَالْبَاسِ  
 ثُوبَ السَّمَاءِ لِأَنَّهُ      بَدْرُ بَدَا لِلنَّاسِ  
 يَكْسُو إِمَامًا لَمْ يَزَلْ      بِحُلَى الْمَحَامِدِ كَاسِي  
 فَيَأَلُهُ مِنْ مُرْتَدٍ      ثُوبَ الثُّقَى لَبَّاسِ<sup>2</sup>

وقال شعرا رُقم في طرزِ عِمَامَةٍ:

بَيْنَ أَنْصَارٍ وَنَصْرِ      لِلْهُدَى عِزُّ أَنْتِصَارِ  
 بِإِمَامٍ غَالِبِي<sup>3</sup>      سَاجِبِ ذَيْلِ الْفَخَارِ  
 حَسَدَتْ يَوْمَ الْمَعَالِي      تَاجَهُ دُرُّ الدَّرَارِي<sup>4</sup>

ومجمل القول أنَّ الغرناطين حوّلوا اهتمامهم بالشعر من الكتابة إلى تخليده بنقشه على الجدران والقباب واقحامه في العمارة الغرناطية، ونقشه على السروج والأثاث والاونان والقبور، وتجاوزوا ذلك إلى رقمه في الجلود والأقمشة، وأصبح تقديم الهدية كلباس مرقوم من أفخم الهدايا التي قدمها الغرناطيون لبعضهم أو لغيرهم من خارج المملكة كدليل على الحضارة والرقي.

1 - هو أبو العباس المريني سلطان المغرب الأقصى.

2 - ديوان ابن زمرك، ص 436.

3 - نسبة إلى الغالب بالله، مؤسس المملكة.

4 - ديوان ابن زمرك، ص 100.

من خلال استعراضنا لهذه الأبعاد الحضارية ظهر جلياً اهتمام الغرناطيين بالشعر الذي لامس كل مناحي الحياة، فبرزت رغبة الأمراء في لزوم النص الشعري رغبة في تخليدهم لما يستقبل من الزمان، وفي نشر اسمهم بين الخصوم في زمانهم، وكان الشعراء ملازمين للأمراء والسلطين، ينظمون على رغباتهم، ويذمون أعداءهم ويرفعون من شأن مملكتهم.

أما فيما يتعلق بالجانب الاصلاحى والإنسانى والدينى، فقد ظهرت الشخصية الغرناطية داعية لمكارم الأخلاق، ناصحةً بالتحلى بها، كذلك ظهر شعر المدائح والمناسبات الدينية التي اهتم بها الغرناطيون شعبا وحكّاما.

أما فيما يخص الجانب الثقافى والفنى، فقد برزت القصائد التعليمية، وأشعار الأحاجى والألغاز الغامضة التي يتنافس المتلقون لها في بذل الجهد لأجل حلها، كما تجسدت السمة الفنية والجمالية في الشعر المنقوش على العمران والأثاث والأسلحة وشواهد القبور، والمرقوم على الجلود والأثواب، ولا يزال أغلبها إلى اليوم خالدا تراه الأعين.

خاتمة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة التي جمعت بين الأدب والحضارة في عصر بني الأحمر، توصلنا إلى جملة من النتائج كانت كالآتي:

- إن العلاقة التي تجمع بين الأدب والحضارة هي علاقة الجزء بالكل، لأن الأديب ابن بيئته فلا بد لنتاجه أن يكون جزءًا من حضارته. بالإضافة إلى "علاقة التأثير والتأثر"، فالأدب يتأثر بالحضارة ويصوّر مدى تقدمها وازدهارها، وفي المقابل نجد أن الأدب يُؤثّر في الحضارة ويُساهم في تطویرها لأنّه جزء منها.

- بالرغم من صغر مملكة بني الأحمر وانكماش رُقعتها، وكل ما واجهته من محنٍ وصراعاتٍ مدة قرنين ونصف قرن من الزمن، استطاعت أن تترك بصمتها عبر التاريخ وحققت ازدهارا في مختلف الميادين: السياسية، الحربية، الاجتماعية، الاقتصادية، العمرانية. كما عرفت نهضة ثقافية وفكرية برز في كنفها العديد من العلماء في مختلف العلوم والمعارف. -عرف المجتمع الغرناطي تنوعاً في تركيبته السكانية - المسلمون، النصراني، اليهود- والتي أدّت إلى التّنوع في الملبسِ والمأكّلِ والعاداتِ والتقاليدِ، بالإضافة إلى تمتّعه بقسطٍ وافٍ من الحرّية، فهو لم ينس حياة المرح حتى في أيام المحن والحروب .

-ترجع على عرش المملكة ثلاثة وعشرون سلطانا، كان نظام الحكم وراثيًا، لكن لم تكن هناك قواعد وأصول محدّدة يتم بموجبه وراثه الحكم، فلم يكن من الضّروري أن يرث الابن الأكبر العرش، كما أشرك بعض السلاطين وليّ العهد في الحكم .

- مرت هذه المملكة بثلاث مراحل (مرحلة التأسيس، مرحلة الازدهار، مرحلة السقوط)، وكان لها أثر واضح على الحركة الشعرية التي عانت في مرحلة التأسيس من الاضطراب والتشتت، ولمّا عرفت المملكة نوعا من الاستقرار في القرن الثامن ازدهرت وتنوعت مضامين الشعر، أما في المرحلة الأخيرة فقد تراجعت فيها الحركة الشعرية نتيجة لهجرة العديد من أعلام الأدب والشعر.

-هنالك مجموعة من العوامل ساهمت في نشاط الحركة الشعرية منها العوامل الداخلية التي تمثلت في تشجيع السلاطين للشعراء وإكرامهم، جمال الطبيعة وال عمران الذي كان سبباً في تغذية مخيلة الشعراء، وتركيبه المجتمع التي ساهمت في التمازج الثقافي. أما العوامل الخارجية فتجسدت في الهجرات المتلاحقة للشعراء والعلماء، والتأثر بالثقافات الأخرى كثقافة أهل المشرق.

- انقسم الغزل في هذا العصر لشقّين، غزل بالمؤنث وغزل بالمدكر، ركز أغلب الشعراء على الشق الأول وصوروا لنا جمال المرأة ومحاسنها، في حين نجد بعض الشعراء آثروا التغزل بالغلمان، فاختلطت أوصاف الغلمان بالنساء إلى حدّ الالتباس على المتلقي في بعض الأحيان.

- يعد المدح من أكثر الأغراض الشعرية انتشاراً في هذا العصر، تنوع بين مدح السلاطين ومدح للأشخاص، كما أبدع الشعراء في نظم المدائح النبوية وأكثرها فيها، وأقاموا لها المناسبات والاحتفالات.

- لقد ازدهر شعر الزهد والتصوف في هذا العصر، ولم يكن على صلة بالدوافع الدينية فقط بل، كان له دوافع سياسية تمثلت في كثرت الحروب والفتن والوضع المأساوي للذي عاشته المملكة، ودوافع اجتماعية تمثلت في تفشي الفتن وانتشار مجالس اللهو والخمر، ودوافع ثقافية تمثلت في الاحتكاك بشيوخ التصوف من خلال الرحلات الحجازية.

- لقي غرض الوصف اهتماماً كبيراً من قبل الشعراء، تعرضوا فيه لوصف جمال الطبيعة الساكنة والمتحركة ووصف جمال العمران ومجالس اللهو والطرب. كما وصفوا كل ما وقعت عليه أعينهم، من مناسبات وأحداث وغيرها.

- لم ينظم الشعراء كثيراً في غرض الفخر مقارنة بالأغراض الأخرى، وهذا راجع ربما لسمة التواضع، ونفس الأمر نجده في غرض الهجاء، إذ يندر أن تجد هذه المواضيع في دواوين الشعراء.

- لقد تنوعت قصائد الرثاء وتعددت مضامينها، منها رثاء النفس، رثاء الأشخاص، رثاء السلاطين، رثاء المدن. اشتملت هذه المراثي على تآبين للميت والإشادة بفضائله وتحسرا عليه، كما في أنها جمعت بين الحزن والفرح في بعض الأحيان، من خلال تهنئة للملك الذي يتربع العرش بعد الملك الفقيد.

- حمل الشعر الغرناطي في طياته العديد من الأبعاد الحضارية، كالبعد التاريخي، السياسي، الديني، الاجتماعي، الإنساني، الثقافي، الفني، التي بيّنت لنا مدى التطور والرقى الذي شهده هذا العصر.

- لقد أنخ الشعراء لهذا العصر في قصائدهم، من خلال توثيق العديد من الأحداث والمناسبات بذكر تفاصيلها وتواريخ حصولها، كما وصفوا العديد من الوقائع بذكر الهزيمة والنصر على حد سواء، وهذا يُبيّن معرفتهم مُسبقاً بأهميّة شعرهم تاريخياً، لهذا قدّموا لقصائدهم ذاكِرين تواريخها وزّمن حصولها.

- كان للشعر دور فعّال في تغيير المسارات السياسيّة، يظهر ذلك جلياً من خلال وفرة شعر الاستصراخ والاستغاثة، فقد سعى الشعراء لدعم المملكة بأقلامهم، من خلال الاستنجاد وطلب العون من الممالك الإسلاميّة، والتحفيز على الجهاد، وكذلك شجاعتهم في الدِّفاع عنها من خلال الهجاء السياسي، حتى وصل بهم الأمر لهجاء السلاطين بحد ذاتهم، لإثارة عزائمهم لنصرة المسلمين.

- احتل البعد الديني مساحة واسعة من أشعار هذا العصر، تجلّى لنا ذلك من خلال التنوع في المواضيع المطروقة كالتناص القرآني، والمدائح النبوية وذكر المناسبات الدينيّة، ومدح الصحابة، كما اهتموا بالجانب الأخلاقي من خلال الدعوة إلى مكارم الاخلاق والنصح والإرشاد وغيرها من الموضوعات.

- لقد أبدع الشعراء في تصوير مجتمعهم وتفنّنوا فيه، فذكروا كل ما يتعلق بحياة الشعب من ملبسٍ ومطعمٍ وعادات وتقاليد، ومباهج الحياة من الاحتفالات ومجالس

اللهو، وصوروا العديد من المشاهد الإنسانية كعبادة المرضى، وجبر الخواطر والتهادي، والرفق بالحيوان، وغيرها من المشاهد التي استنبطت من تعاليم الدين الإسلامي.

- عرف هذا العصر ظاهرة النقوش والرُقوم الشَّعرية، التي كان لها طابع جمالي وفني، فقد زينت هذه الأشعار جدران القصور والمنشآت المعمارية، وتنوعت استخداماتها في كل مناحي الحياة، كنقشها على العمران، والسروج، والأواني، والقبور، والأثاث، ورقمها على الجلود والأثواب. وهذا يدل على مكانة الشعر في هذا العصر.

- برز البعد الثقافي والفكري من خلال الشعر التعليمي والمجالس الشَّعرية، والرحلات العلمية، وكثرة المصنَّفات في مختلف العلوم، والدعوة للمعرفة والتعلم، وشعر الأحاجي والألغاز، كل هذا يبين أن الشعب الغرناطي كان شعبا مثقفا.

وأخيرا لا ندعي أننا بلغنا درجة الكمال في هذه الدراسة فالكمال لله وحده، وما هذه النتائج التي وصلنا إليها إلا بداية مفتوحة لمزيد من الدراسات أمل أن يُفيد منها الباحثون. فإن وُفقنا فبفضل الله تعالى وحده، وإن أخطأنا فحسبنا بذلك الجهد.

وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

# الملاحق

1- ملحق الوثائق

2- ملحق الخرائط

3- ملحق الصور

ملحق الوثائق: معاهدة تسليم غرناطة

1-نص الاتفاقية السرية:

أدرجنا النص الكامل لبنود الاتفاقية السرية بين أبوعبد الله الصغير والملكين الكاثوليكين، وننقل هذه البنود بنصها الكامل من كتاب (التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثولوكيين)<sup>1</sup>.

1- يتعهد ملك غرناطة والقادة والقضاة والحجاب والعلماء والمفتون والشيخ، ووجهاء غرناطة والبيازين وأهاليها وأرباضها كافة صغاراً وكباراً، بأن يسلموا إلى صاحبي السمو، أو من ينتدبانه في جو من الوفاق في مدة أقصاها ستون يوماً، اعتباراً من 25 نوفمبر 1491 إلى أمالك التال-ي-ة: قل-اع الحمراء وحصونها وأبوابها وأبراجها، وأي-ة أبواب أخرى في مدينة غرناطة وكورها، وكذلك جميع الأبواب التي تحددها هذه المعاهدة، وأن يعلنوا عن ولائهم وطاعتهم وإخلاصهم لصاحبي السمر، وأن يؤدوا واجبهم تجاه سادتهم الجدد، شأن سائر عايا البلاد المخلصين، ولضمان تنفيذ سلامة هذه البنود، يقدم ملك غرناطة وقادته جميع الأشخاص المذكورين أعلاه خمسمائة شخص من أبناء علية القوم وإخوانهم في المدينة والبيازين، لصاحب السمو في المعسكر الملكي بمرج غرناطة وذلك قبل تسليم الحمراء بيوم واحد، مصطحبين معهم الحاجب يوسف بن قماشة، ليكونوا جميعهم رهائن لدى صاحبي السمو لمدة عشرة أيام، يتم خلالها ترميم القلاع وتزويدها بالمؤن، شريطة أن يعامل الرهائن إلى حين انتهاء الفترة معاملة حسنة، وعند انتهاء الأجل، يرد الرهائن إلى ذويهم، وتسري هذه الاتفاقية على صاحب السمو ابنها الأمير ضون خوان وعقبهم، وأن يعامل أبو عبد الله الصغير وجماعته وجميع أشرف منطقة غرناطة والبيازين وأية أماكن أخرى كرهايا واتباع لهم نفس الحقوق التي هي للرهايا الأصليين، وأن تشملهم حماية صاحب السمو ورعايتهم، وأن تترك لهم جميع منازلهم وأحوالهم وأملآكهم، من الآن وإلى أجل غير مسمى، دون أن يلحقها أي أذى أو يصادر شيء منها، وفي مقدمة ذلك كله يعامل الجميع باحترام وتقدير، شأن سائر الرعية من الإسبان.

<sup>1</sup> - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثولوكيين، ص(54-47)

2- وفي اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء والحصون والقلاع والأبواب التي حددتها الاتفاقية، يقوم صاحب السمو بإعادة ابن أبو عبد الله الصغير المحجوز لديها مع سائر الخدم والحشم، الذين لم يكرهوا على التنصر أثناء احتجازهم إلى الملك أبي عبد الله الصغير.

3- بعد أن ينفذ أبو عبد الله الصغير كل البنود المذكورة في المعاهدة، يتعهد صاحبة السمو بمنح أبي عبد الله الصغير وأحفاده وورثته حق الملكية المطلقة على الأماكن التالية:  
أ- الأرجاء والكور في برجة.

ب - دلالية

ج- مرشانة

د- بلدوذ

هـ- لوتشار

و- اندرش

ز- شبلس

ح- أجيغر

ط. أرجية .

على أن تؤدي جميع الضرائب والإتاوات والرسوم المستحقة إلى صاحب السمو، ويحق لأبي عبد الله الصغير وأولاده وأحفاده وورثته بحكم الملكية المطلقة لهذه المناطق وما يلحق بها من الأرجاء المسكونة وغير المسكونة تحصيل خراجها وموروثاتها وبيعها وعشورها وحقوقها، كما يحق لأي واحد من هؤلاء أن يتولى القضاء في هذه الأرجاء باعتباره سيدها، ولكنه في الوقت نفسه تابع وخاضع لصاحب السمو، ولا يستطيع أي إنسان السيطرة على أي من هذه المناطق، لأنها تعتبر من الناحية القانونية ملكا شرعية لأبي عبد الله الصغير، وله حق التصرف بها، وحرية بيعها أو رهنها متى شاء، شريطة أن تكون الأولوية عند البيع أو الرهن لصاحب السمو وإذا أراد شراءها فيتفقان مع أبي عبد الله على الثمن الذي يرضي به.

ويستطيع صاحبة السمو الاحتفاظ بقلعة عذرة وأراضيها مع سائر القلاع والأبراج الممتدة على الساحل إذا رغبا بذلك، وإذا شاء صاحب السمو استغلال قلعة عذرة بالإضافة إلى مياه شاطئ عذرة - إن أمكن ذلك. وتبقى القلعة تابعة لأبي عبد الله الصغير، بعد أن يصلحها ويحصنها صاحبة السمو، وفي مراحل الإصلاح والتحصين تكون تابعة لصاحب السمو، وبذلك لا يطالب صاحبة السمو بالفوائد المستحقة على القلاع والأبراج الممتدة على ساحل البحر، أما حراستها وحمايتها فهي من شأن أبي عبد الله الصغير وأما دخل هذه القلاع والكور والأرجاء، ووارداتها في مراحل الإصلاح والتقوية والاستغلال فليس لأبي عبد الله شيء منه، باستثناء عائدات تأجيرها، لكن هذه القلاع والأرجاء والكور تبقى ملكا لأبي عبد الله ولا تصدر منه ، وإذا انعم صاحبة السمو على شخص ما بشيء من هذه الممتلكات التي اقطعت لأبي عبد الله الصغير، فلا يجوز له بيعها، وإذا ما رأى التخلي عنها، يقوم صاحب السمو بتعويضه عنها بالطريقة التي ترضيه، أما إذا تركت هذه الأملاك للملك أبي عبد الله الصغير فيبقى ريعها ودخلها من حق أبي عبد الله ، كما هو شأنها الآن وفيما بعد، دون أن يهددها أي خطر أو حجز أو اعتراضات أخرى .

4- يقدم صاحب السمو إلى الملك أبي عبد الله الصغير هبه قدرها ثلاثون ألف جنيه قشتالي من الذهب، تعادل (14) كوينش، و (55.0000) مرافيدي يبعثان بها اليه عقب تسليم الحمراء وبقية القلاع في الوقت المحدد لها.

5- يمنح صاحب السمو للملك أبي عبد الله الصغير كل ما ورثه عن والده السلطان أبي الحسن، سواء في غرناطة أو البشترات، لتكون ملكا له ولأولاده وعقبه وورثته، وتتضمن هذه الشركة معاصر للزيت وأراضي ومزارع وحدائق (حواكير)، وله الحق في بيعها أو رهنها والتصرف بها كيفيا يشاء، كسائر الكور والأرجاء التي سلف ذكرها، باستثناء الأملاك التي كانت بحوزة بني نصر ملوك غرناطة السابقين، فإنها تبقى ملكا للدولة، ولا يجوز التصرف بها إلا بأمر صاحب السمو.

6- يمنح صاحبة السمو للملكات غرناطة، خاصة عائشة والدة أبي عبد الله الصغير، وأخته وزوجته مريمه وثريا زوجة والده السلطان أبي الحسن علي المعروفة بايسابيل دي سوليس، كل ما كان يملكه في غرناطة والبشترات، من الحواكير والأراضي والأرجاء والطواحين والحمامات، بحيث تكون ملكا لهن ولعقبهن إلى الأبد، ولهن الحق في بيعها

ورهنها والتصرف بها كما يشأن، مع ما يلحق ذلك من الامتيازات الممنوحة لأبي عبد الله الصغير.

7- تعفي جميع التركات التي ورثها أبو عبد الله الصغيري، والملكات المذكورات وثريا زوجة مولاي أبي الحسن علي بن نصر، من الضرائب والفوائد اعتباراً من الآن وإلى الأبد.

8- يعطى للملك المذكور (أبو عبد الله الصغيري) وللملكات المذكورات كل ما كان ملكاً لهن .

9- إذا استسلمت لصاحب السمو أية قرى أو مواقع تابعة للمملكة قبل تسليم الحمراء على صاحبي السمو إعادة جميع هذه المواقع للملك أبي عبد الله الصغير بشكل طوعي، وسوف تحظى هذه الأماكن بعناية أبي عبد الله الحسنة.

10- ألا يطلب صاحبا السمو أو أي واحد من سلالتها ملك غرناطة أو أيًا من أتباعه، في أي وقت يتبادل ما غنمه الطرفان من الأموال والعقارات، باستثناء ما تنص عليه بعض الاتفاقات ومعاهدات التسليم الخاصة المعقودة بين صاحبي السمو وملك غرناطة، بحيث يدفع صاحبا السمو لمالك العقارات ثمنًا لها فتنقل ملكيتها إليهما، ويحظر على أي إنسان المطالبة بأحقيته بوضع يده عليها بقليل ولا بكثير، ومن يخالف ذلك تتخذ بحقه أشد العقوبات الصارمة، ويعتبر خارجة عن القوانين الإسلامية والمسيحية على السواء.

11- عندما يرغب الملك أبو عبد الله الصغير والملكات المذكورات أنفاً وزوجة مولاي أبي الحسن على والدة أبي عبد الله الصغير، وأولادهم وأحفادهم، وقادتهم وأتباعهم ونساؤهم وفرسانهم ورماتهم وعيالهم، في العبور إلى المغرب، فسوف يجهز صاحبا السمو سفينتين كبيرتين من مدينة جنوة، للجواز بهم في الوقت الذي يشاءون، وبحوزتهم أموالهم وثيابهم وذهبهم وفضتهم وجواهرهم ومواشيمهم وأسلحتهم ماعدا ذخائر تلك الأسلحة دون مقابل من نفقة أو أجر أثناء صعودهم السفن أو نزولهم منها مع تأمين وصولهم بطمأنينة وأمان وحسن معاملة، لأي مكان معروف سواء في المغرب أو الإسكندرية أو تونس أو فاس، أو أي مكان يرغبون بالهبوط فيه.

12- إذا لم يتمكن الملك المذكور أو أي شخص من المذكورين أعلاه من بيع عقارات المشار إليها فله الحق في تفويض من يشاء لاستلام ريعها وإرساله له أينما كان، دوناً عائق أو قيد أو غرامة.

13- يسمح للملك أبي عبد الله الصغير متى شاء، أن يرسل بعض أتباعه أو عماله إلى أرض المغرب للاتجار بالسلع، مصدريين ومستوردين، دون أن يتوجب عليهم دفع أية نفقات أو ضرائب أو غرامات مالية مقابل هذا الاتجار، لا في ذهابهم ومكوئهم هناك ولا في إيابهم.

14- يسمح للملك أبي عبد الله أن يبعث بست دواب محملة بالسلع إلى أية ناحية من النواحي التابعة لصاحبي السمو، من أجل مقايضتها بالزاد والمؤونة اللازمة، وتكون هذه الدواب معفاة من جميع الضرائب في الموانئ والمدن والقري، والأماكن التي تجري فيها المقايضة إعفاء مطلقاً دون قيد أو نفقة.

15- عندما يخرج الملك أبو عبد الله الصغير من مدينة غرناطة تمنح له حرية الإقامة والمسكن في الوقت الذي يشاء وفي الأراضي التي اقتطعت له حسب الاتفاقية، ويسمح له بالخروج مع من يشاء من حشمه وقادته وعلمائه وقضاته وفرسانه، وكل من يرغب بالخروج معه بخيولهم ودوابهم وأسلحتهم، وبرفقة زوجاتهم وعبيدهم، ولا يؤخذ منهم سوى الذخائر التي سوف يضع صاحبة السمو عليها أيديها، ولن يفرض على أي من ذريتهم في أي وقت وضع علامة مميزة لهم في ثيابهم، ولهم أن يتمتعوا بسائر الامتيازات المتفق عليها في وثيقة تسليم مدينة غرناطة».

(انتهت المعاهدة السرية).

2- نص الاتفاقية العلنية<sup>1</sup>:

«المادة الأولى:

على ملك غرناطة والقادة والفقهاء والحجاب والعلماء والمفتين والوجهاء بمدينة غرناطة والبيازين وضواحيها ان يسلموا إلى صاحبي السمو، أو من ينتدبانه للنيابة عنها في مدة أقصاها ستون يوما، اعتبارا من 25 تشرين الثاني عام 1491م معاقل الحمراء، والبيازين، وأبواب تلك المعاقل، وأبراجها، وأبواب المدينة المذكورة، والبيازين، وضواحيها، وضمن هذه الشروط يأمر صاحبها السمو بأن لا يصعد أي نصراني السور القائم بين الحمراء والبيازين، لئلا يكشف عورات المسلمين في بيوتهم، وإن خالف أحد هذه الأوامر يعاقب عقوبة شديدة، وضمن هذا الشرط سيقدم المسلمون الطاعة والإخلاص والولاء كأتباع مخلصين لصاحبي السمو.

وضمنا لسلامة تنفيذ هذه البنود، يقدم أبو عبد الله الصغير ملك غرناطة إلى صاحبي السمو، خمسمائة شخص من أبناء وبنات علية القوم، في المدينة والبيازين وضواحيها، وذلك قبيل تسليم الحمراء بيوم واحد، مصطحبين معهم الحاجب يوسف بن قماشة، ليكونوا جميعهم رهائن لدى صاحبي السمو، لمدة عشرة أيام يتم خلالها ترميم المعاقل المذكورة، شريطة أن يعامل الرهائن إلى حين انتهاء هذه الفترة معاملة حسنة، وفي نهاية الأجل يرد الرهائن إلى ملك غرناطة، ويراعي هذه الاتفاقية صاحبها السمو وبنهما ضون خوان وسلالتهم، ويعتبر أبو عبد الله الصغير وسائر قاداته، وجميع سكان غرناطة والبيازين، وضواحيها وقراها وأراضيها، والقرى والأماكن التابعة للبشرات، رعايا طبيعيين، ويبقون تحت رعايتهم ودفاعهم، وتترك لهم جميع بيوتهم وأراضيهم، وعقارهم وأملاكهم حاليا ودون أن يحلق بها أي ضرر أو حيف، وأن لا يؤخذ أي شيء مما يخصهم، بل بالعكس، سيتم احترام الجميع ومساعدتهم ويلقون المعاملة الطيبة، من قبل صاحبي السمو وشعبهما كخدم وأتباع لها.

<sup>1</sup> - التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثولوكيين، ص (20-45)

المادة الثانية:

في الوقت الذي يتسلم صاحبها السمو قصر الحمراء، يأمران أتباعهما بالدخول من بابي العشارونجدة، ومن الحقل القائم خارج المدينة، وعلى من يعين لاستلام الحمراء أن لا يدخل من وسط المدينة.

المادة الثالثة:

في اليوم الذي يتم فيه تسليم الحمراء والبيازين، وشوارعها وقلاعها وأبوابها وغير ذلك، يقوم صاحبها السمو بتسليم ابن الملك أبي عبد الله الصغير، المحتجز في قلعة موكلين، مع سائر الرهائن الموجودين معه وسائر الحشم والخدم الذين كانوا برفقته، ولا يكرهون على التنصر أثناء احتجازهم.

المادة الرابعة:

يسمح صاحبها السمو وسلالتهما، للملك أبي عبد الله الصغير وشعبه أن يعيشوا دائما ضمن قانونهم - أي بممارسة الشعائر الإسلامية، دون المساس بسكناهم وجوامعهم وأبراجهم، وسيأمران بالحفاظ على مواردهم، وسيحاكمون بموجب قوانينهم وقضاتهم، حسبما جرت عليه العادة، وسيكونون موضع احترام من قبل النصاري، كما تحترم عاداتهم وتقاليدهم إلى غير حين.

المادة الخامسة:

لن تصدر من المسلمين أسلحتهم أو خيولهم أو أي شيء آخر، حاضرة وإلى الأبد، باستثناء الذخيرة الحربية التي يجب تسليمها لصاحبي السمو.

المادة السادسة:

يسمح لمن يرغب في الجواز إلى العدو -المغرب- أو أي مكان آخر، من أهالي غرناطة والبيازين والبشرات والمناطق الأخرى، التابعة لمملكة غرناطة ببيع ممتلكاتهم وأراضيهم لمن شاءوا، ولن يحاول صاحبها السمو وذريتهما منعهم من ذلك أبدا، وإذا ما رغب صاحبة السمو بشرائها من أموالها الخاصة، فشأنها في ذلك شأن سائر الناس، ولكن الأولوية تكون لهما.

المادة السابعة:

الأشخاص الذين يرغبون في العبور إلى العدو تجهز عملية نقلهم في غضون ستين يوماً من تاريخه، على متن عشر سفن كبيرة تتوزع على الموانئ القريبة منهم، حسب رغبة البحريين ليحملوا أحراراً وطوع إرادتهم إلى المكان الذي يرغبون النزول إليه فيها وراء البحر - أرض المغرب - خاصة الموانئ التي كانت ترسو بها تلك السفن.

أما الأشخاص الذين يرغبون في العبور في غضون الأعوام الثلاثة القادمة فتهيأ لهم السفن الخاصة من الموانئ القريبة لمكان إقامتهم ، شريطة أن يقدموا طلباتهم قبل موعد الرحيل بخمسين يوماً، وينقلون برعاية تامة إلى الميناء الذي يرغبون بالنزول فيه، ولا يترتب على من يريد العبور إلى العدو خلال الأعوام الثلاثة هذه أجر أو نفقة، أما الذين يرغبون في العبور بعد انتهاء الأعوام الثلاثة، فعليهم دفع دويلة واحدة فقط عن كل شخص، أما الذين لا يتمكنون من بيع أملاكهم الموزعة في جميع أنحاء مملكة غرناطة قبل سفرهم، فيحق لهم تفويض أي شخص من أجل تحصيل حقوقهم، وليقوموا مقامهم، ويتولوا بعد ذلك إرسال هذه الحقوق لأصحابها أينما كانوا وبدون أية عوائق.

المادة الثامنة:

ألا يرغم صاحب السمو وسلالتها حاضراً وإلى الأبد، المسلمين، وأعقابهم، على وضع أية شارة مميزة لملابسهم.

المادة التاسعة:

لا يحق لصاحبي السمو لمدة ثلاث سنوات من تاريخه، تحصيل الإتاوات من الملك أبي عبد الله الصغير، وسكان غرناطة، والبيازين، وأرباضها، وهي الإتاوات التي يترتب أداؤها عن دورهم وأملاكهم الموروثة، بل يكفي أن يدفع المسلمون لصاحبي السمو، عشر الخبز والذرة، وعشر المواشي خلال شهري أبريل ومايو.

المادة العاشرة:

على الملك أبي عبد الله وسائر سكان المملكة الذين شملتهم الاتفاقية، أن يطلقوا سراح جميع الأسرى النصارى، الذين في قبضتهم أو في أي مكان آخر طواعية ودون أية فدية، وذلك حين تسليم المدينة.

#### المادة الحادية عشرة:

على صاحبي السمو أن لا يستخدموا أي رجل من أتباع أبي عبد الله أو سكان المملكة، أو أن يسخروا دوابهم في أي غرض دون إرادتهم، ودون أن تدفع لهم أجورهم.

#### المادة الثانية عشرة:

لا يسمح لأي نصراني بدخول المساجد، أو أي مكان لعبادة المسلمين، دون اذن من الفقهاء، ومن يخالف ذلك يعاقبه صاحبا السمو.

#### المادة الثالثة عشرة:

لا يجوز لأي يهودي أن يتولى الجباية، أو تحصيل الضرائب من المسلمين بشكل مباشر، أو أن يمنح أية سلطة، أو ولاية عليهم.

#### المادة الرابعة عشرة:

يعامل صاحبا السمو الملك أبا عبد الله الصغير وسائر رعاياه الذين شملتهم هذه المعاملة، معاملة شريفة، وتحترم عاداتهم وتقاليدهم، وتمنح للقادة والفقهاء الحقوق، وتبقى الحقوق التي كان يتمتع بها هؤلاء زمن أبي عبد الله الصغير على حالها، ويتعرف لهم بتلك الحقوق.

#### المادة الخامسة عشرة:

يجب أن يقضي في أية دعوى، أو مشكلة تقع بين المسلمين، القضاة وفقا لأحكام الشريعة الإسلامية، كما جرت عليه العادة.

#### المادة السادسة عشرة:

يصدر صاحبا السمو أو امرهما للمسلمين، بعدم إيواء الضيوف من النصارى، أو إخراج الثياب، أو الدواجن، أو الدواب، ويشمل ذلك صاحبي السمو وجماعتهما، إذ يمنع على هؤلاء النصارى دخول بيوت المسلمين، واستعمال مضايقتهم لإقامة الحفلات.

المادة السابعة عشرة:

إذا دخل نصراني منزل مسلم قسرا، يطلب صاحبا السمو من العدالة ايقاع العقوبة عليه.

المادة الثامنة عشرة:

فيما يتعلق بقضايا التركات عند المسلمين يجب أن ينظرها القضاة المسلمون، وفق النظم الإسلامية المتبعة.

المادة التاسعة عشرة:

تشمل هذه المعاهدة قاطني الأحياء المجاورة لمدينة غرناطة، وسكان القرى والأرجاء التابعة للمدينة والبشرات وأماكن أخرى، بما في ذلك الأشخاص الذين قد يقبلون المعاهدة بعد مرور ثلاثين يوما من تسليم غرناطة، ويتمتع هؤلاء بجميع الإعفاءات الممنوحة خلال السنوات الثلاث.

المادة العشرون:

يتولى الفقهاء إدارة إيراد الجوامع والحلقات الدراسية فيها، ما يرصد من أجل الصدقة أو عمل الخير، بما في ذلك إيرادات المدارس التي تنفق في تعليم الصبيان، لا يحق لصاحبي السمو، التدخل بأي حال من الأحوال في شأن هذه الصدقات، أو الأمر بمصادرتها في أي وقت في الحاضر أو فيما بعد.

المادة الحادية والعشرون:

لا يجوز لن يتولى القضاء، إصدار قرارات ضد أي مسلم بذنب اقترفه آخر، فلا يؤخذ الأب بذنب ابنه، ولا الولد بذنب والده، ولا أخ بذنب أخيه، ولا القريب بذنب قرابته، بل تقع العقوبة على من يقترف الجرم.

المادة الثانية والعشرون:

يقرر صاحبة السمو العفو عن المسلمين من أتباع القائد حميد أبي علي الذين كانوا يذودون عن حصونهم، ضد هجمات النصارى ولا يطلب أي تعويض عن قتل من النصارى أثناء اصطدامهم مع المدافعين من المسلمين، أو عما أخذه المسلمون من المكاسب في ذلك المكان، في الحاضر أو فيما بعد.

المادة الثالثة والعشرون:

يغفر صاحباً السمو لمسلمي مدينة الكابطي، هجماتهم واعتداءاتهم التي كانت تستهدف حرس الملكين، وتمنح لهم حرية العيش كبقية إخوانهم الذين شملتهم هذه المعاهدة.

المادة الرابعة والعشرون:

يعتبر صاحبة السمو جميع أسرى المسلمين، أو الفارين من الأسر إلى مدينة غرناطة والبيازين وأرباضها، أو إلى أي ناحية تابعة لمدينة غرناطة أحراراً، ولا تصدر العدالة بحقهم أي حكم كان، لكن هذا الامتياز خاص بمسلمي الأندلس، ولا يشمل أسرى الجزر أو كناريس.

المادة الخامسة والعشرون:

لا يدفع المسلمون لصاحبي السمو أكثر مما كانوا يدفعونه لملاكهم المسلمين من الإتاوات.

المادة السادسة والعشرون:

يسمح لجميع من عبروا العدو -المغرب- من سكان غرناطة، والأرجاء التابعة لها، والبيازين وأرباضها، والبشرات وغيرها، بالعودة خلال ثلاثة أعوام من تاريخ إبرام الاتفاقية، والتمتع بالامتيازات التي تمنحها لهم هذه الاتفاقية.

المادة السابعة والعشرون:

لا يجبر أي مسلم حمل معه بعض الأسرى النصارى إلى العدو، وجعلهم في قبضة سلطة أخرى، على إرجاع هؤلاء الأسرى، أو إعادة الأجر الذي تقاضاه لقاء تسليمهم.

المادة الثامنة والعشرون:

يحق للملك أبي عبد الله، أو أي من قواده، أو سكان القرى والأرجاء المجاورة لغرناطة والبيازين والبشرات وغيرها، ممن عبروا إلى العدو -المغرب- ولم تطب هم الإقامة هناك، أن يعودوا خلال الأعوام الثلاثة، ولهم الحق بأن يتمتعوا بكافة نصوص الاتفاقية المبرمة.

#### المادة التاسعة والعشرون:

يحق لتجار مدينة غرناطة والبيازين وارباضها، والبشرات وغيرها أن يحملوا سلعهم إلى المغرب، ويعودوا بها آمنين مطمئنين، كما يحق لهم دخول سائر الأرجاء التي في حوزة الملكين الكاثوليكين، دون أن تترتب عليهم أية إتاوة مترتبة على النصرارى.

#### المادة الثلاثون:

لا يجوز إرغام أية نصرانية تزوجت من أحد المسلمين، واعتنقت الدين الإسلامي على العودة إلى النصرانية إلا طائعة، وبعد أن تسأل في ذلك أمام جمع من المسلمين والنصارى، وفيما يتعلق بأبناء الروميات، وبناتهن فلهن نفس الحقوق المنصوص عليها في هذه الفقرة.

#### المادة الحادية والثلاثون:

إذا سبق لنصراني ذكرنا كان أو أنثى، اعتناق الإسلام قبل إبرام هذه الاتفاقية، فلا يحق لأحد من النصرارى إن يهدده، أو ينال منه بأية صورة، ومن يفعل ذلك يلق آثاما.

#### المادة الثانية والثلاثون:

لا يجوز إرغام مسلم أو مسلمة على اعتناق النصرانية.

#### المادة الثالثة والثلاثون:

إذا رغبت امرأة مسلمة متزوجة، أو أرملة، أو بكر في اعتناق النصرانية بدافع العشق فلا يتجاب لها، حتى تسأل وتوعظ وفقا للشريعة الإسلامية، وإذا حملت معها خفية بعض الحلي، أو غيرها من دار والدها، أو أقاربها، أو أي شخص آخر، فيجب إعادة هذه الأشياء إلى ذويها، وتعتبر اختلاسا، وتتولى العدالة اتخاذ الإجراءات الصارمة بحقها.

#### المادة الرابعة والثلاثون:

ألا يرغم صاحبا السمو، أو أي واحد من عقيهما، حاضرا ومستقبلا، أبا عبد الله الصغير، أو جماعته أو حاشيته، أو أي أحد من سكان المملكة أو خارجها مسلمين ونصارى، ومدجنين برد ما غنموه أثناء الوقائع التي جرت بينهم، من الثياب، والمواشي، والأنعام، والفضة، والذهب، وغيرها من الأشياء، التي وضع المسلمون أيديهم عليها، ولا يحق لأحد أن يطالب بشيء يكتشف انه كان له، وإذا طالب به، فانه يعرض نفسه لأقصى العقوبات.

#### المادة الخامسة والثلاثون:

إذا سبق مسلم أن أهان أسير نصرانيا - ذكرا كان أم انثى - أو جرحه أو قتله أثناء احتفاظه به، فلا يسأل عن شيء مما كان.

#### المادة السادسة والثلاثون:

بعد انتهاء السنوات الثلاث المنصوص عليها في الاتفاقية تدفع ضريبة الأملاك والضياح الأميرية، وفقا لقيمتها الحقيقية، شأن سائر الأملاك والأراضي.

#### المادة السابعة والثلاثون:

تعامل أملاك الفرسان، والقادة المسلمين، المعاملة المنصوص عليها في البند السابق فلا يدفع عنها أكثر مما يدفع عن الأملاك العادية.

#### المادة الثامنة والثلاثون:

وتشمل هذه الاتفاقية أيضا اليهود من مواليد مدينة غرناطة، والبيازين، وارباضها والأراضي التابعة لها، واليهود الذين كانوا من قبل نصارى، ويسمح لهؤلاء اليهود بالعبور إلى العدو خلال شهر من تاريخه.

#### المادة التاسعة والثلاثون:

أن يعامل الحكام، والقواد، والقضاة الذين يعينهم صاحبا السمو على مدينة غرناطة، والبيازين، والكور التابعة لهما الناس بالحسنى، وان يحافظوا على امتيازاتهم الممنوحة لهم في المعاهدة، وإذا أخل أحدهم بذلك، أو ارتكب خطيئة، يصدر صاحبا السمو أو امرهما بمعاقبته على قدر جرمه، وعزله من منصبه وتولية غيره، من يحسنون معاملة المسلمين كما نصت عليه الاتفاقية.

المادة الأربعون:

لا يحق لصاحبي السمو أو أي من أبنائها وأحفادهما، منذ الآن التعقب على شيء ارتكبه الملك أبو عبد الله الصغير، أو أحد من رعاياه، إلى حين تسليم الحمراء، أي بعد مرور ستين يوما من توقيع هذه الاتفاقية.

المادة الحادية والأربعون:

ألا يولى على جماعة أبي عبد الله الصغير واحد من الفرسان، أو القادة، أو الخاصة الذين كانوا موالين لمولاي أبي عبد الله الزغل ملك وادي آش، عم أبي عبد الله الصغير الذي كانت بينه وبين أبي عبد الله عداوة قديمة.

المادة الثانية والأربعون:

يتولى النظر في الخصومات التي قد تقع بين مسلم ونصراني، أو مسلمة ونصرانية، مجلس مؤلف من حكّامين: أحدهما مسلم والأخر نصراني، تحاشيا للتظلم من الأحكام القضائية.

المادة الثالثة والأربعون:

وبالإضافة إلى جميع ما نصت عليه الاتفاقية، يأمر صاحب السمو بمنح أبي عبد الله الصغير كل الامتيازات المنصوص عليها في الاتفاقيات الموثقة بخاتم الأمير - نجل صاحبي السمو- والموقعة من قبل كاردينال اسبانيا، والكهّان، والاساقفة ورؤساء الأديرة، والشرفاء، والدوقات، والمركيزات، والكونتات، وأصحاب المراتب الجليلة، وكتاب العدلية في مدينة غرناطة، اعتبارا من يوم تسليم الحمراء، والبيازين، وأبوابها وأبراجها، وتعتبر جميع محتويات هذه الاتفاقية نافذة وسارية المفعول في الحاضر وفيما بعد.

المادة الرابعة والأربعون:

يصدر صاحب السمو أو امرهما بالإفراج عن أسرى المسلمين -ذكورا وإناثا- من أهالي غرناطة والبيازين، وارباضها، والكور التابعة للمملكة، إفراجا غير مشروط بنفقة، أو فدية أو غيرها، وذلك بغية إرضاء الملك أبي عبد الله الصغير، وأهالي غرناطة والبيازين، وارباضها وضياعها كافة، ويتم الإفراج عن هؤلاء الأسرى على النحو التالي:

يفرج عن جميع أسرى مدينة غرناطة، والبيازين، وأرباضها، وضياعها الموجودين في الأندلس، خلال الأشهر الخمسة التي تعقب إبرام المعاهدة، ويفرج عن الأسرى الموجودين في قشتالة، خلال الأشهر الثمانية التالية، وبعد انقضاء يومين من تسليم أسرى النصارى لصاحبي السمو، يتسلم المسلمون مائتي أسير مسلم، مئة من الرهائن، والمئة الثانية من غير الرهائن.

#### المادة الخامسة والأربعون:

يصدر صاحبا السمو أو امرهما بإخلاء سبيل (ابن الدرامي) الأسر عند (غونثالو فرنانديث)، و(عثمان) أسير (الكونت تنديا)، وابن رضوان اسير الكونت (قبرة)، وإعادة ابن الفقيه محي الدين وخمسة أشخاص من خاصة إبراهيم بن السراج الذين فقدوا وعرف مكان وجودهم.

#### المادة السادسة والأربعون:

إذا خضعت أية ناحية من نواحي البشترات لسلطة صاحبي السمو، فإنه يتأتى على المسلمين تسليم جميع الأسرى النصارى الموجودين لديهم، في مدة أقصاها خمسة عشر يوما من تاريخ الانضمام، دون أن يؤدي سموها أي شيء مقابل ذلك التسليم، كما يجب على هذه النواحي، تسليم أية رهينة من النصارى لديهم خلال المدة.

#### المادة السابعة والأربعون:

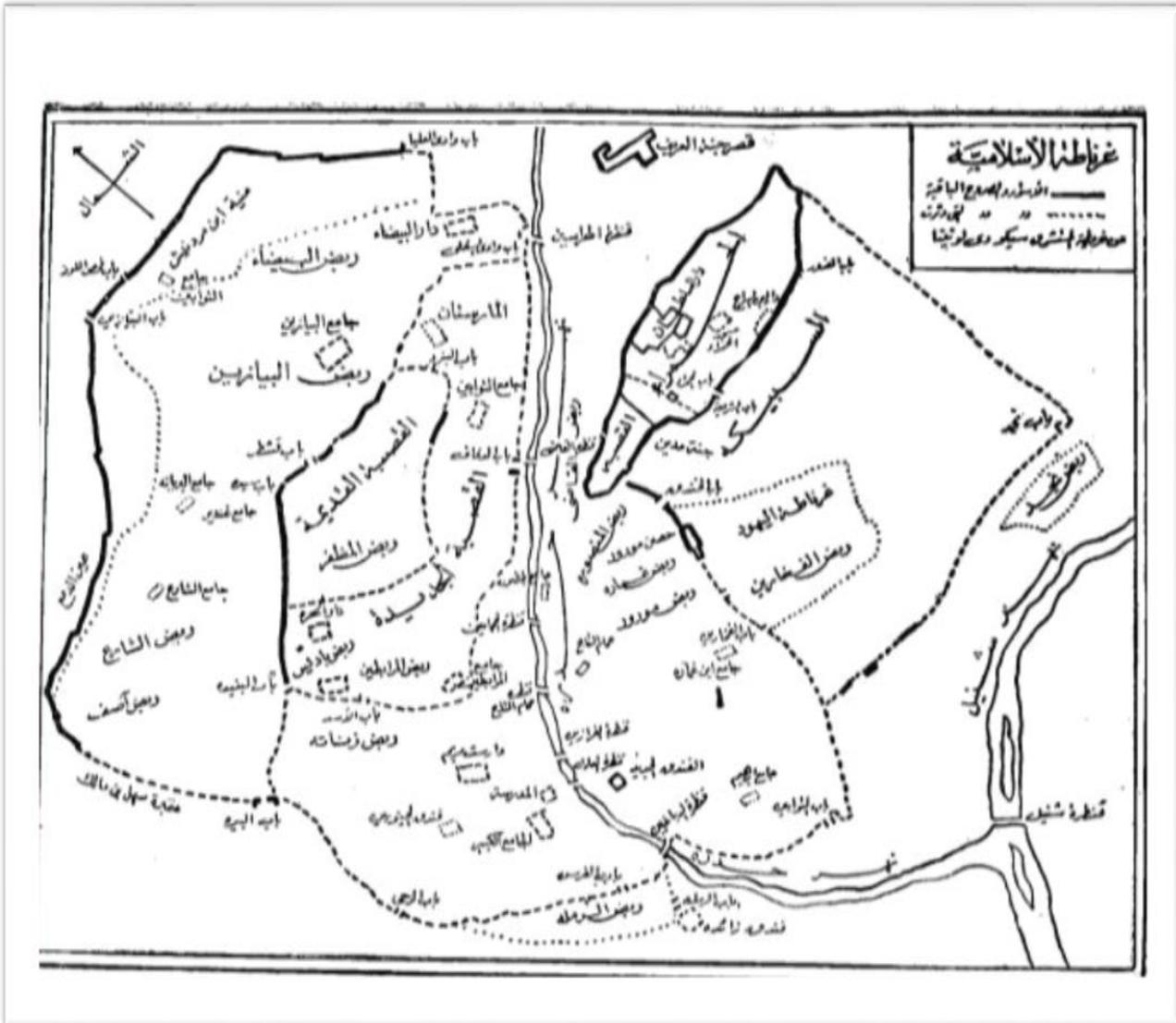
يتعهد صاحبا السمو لجميع السفن التي تأتي من المغرب، وترسو في موانئ مملكة غرناطة، بحرية التنقل ذهابا وإيابا، وهي آمنة شريطة ألا تقوم بنقل الأسرى من النصارى، ويصدر صاحبا السمو أو امرهما للنصارى بعدم اعتراض هذه السفن، أو الإضرار بها، أو بأهلها، أو بمصادرة شيء منها.

#### انتهت المعاهدة العلنية

وتوجد هناك معاهدة ثالثة وكما يتضح أنها الأخيرة، وقد صيغت بنود هذه الاتفاقية لترتيب عملية عبور أبو عبد الله الصغير إلى المغرب، بعد تنازله عن جميع ممتلكاته مقابل مبالغ مالية في نيسان 1493، ويضم المتحف الحربي في مدريد صورة عن هذه الاتفاقية.

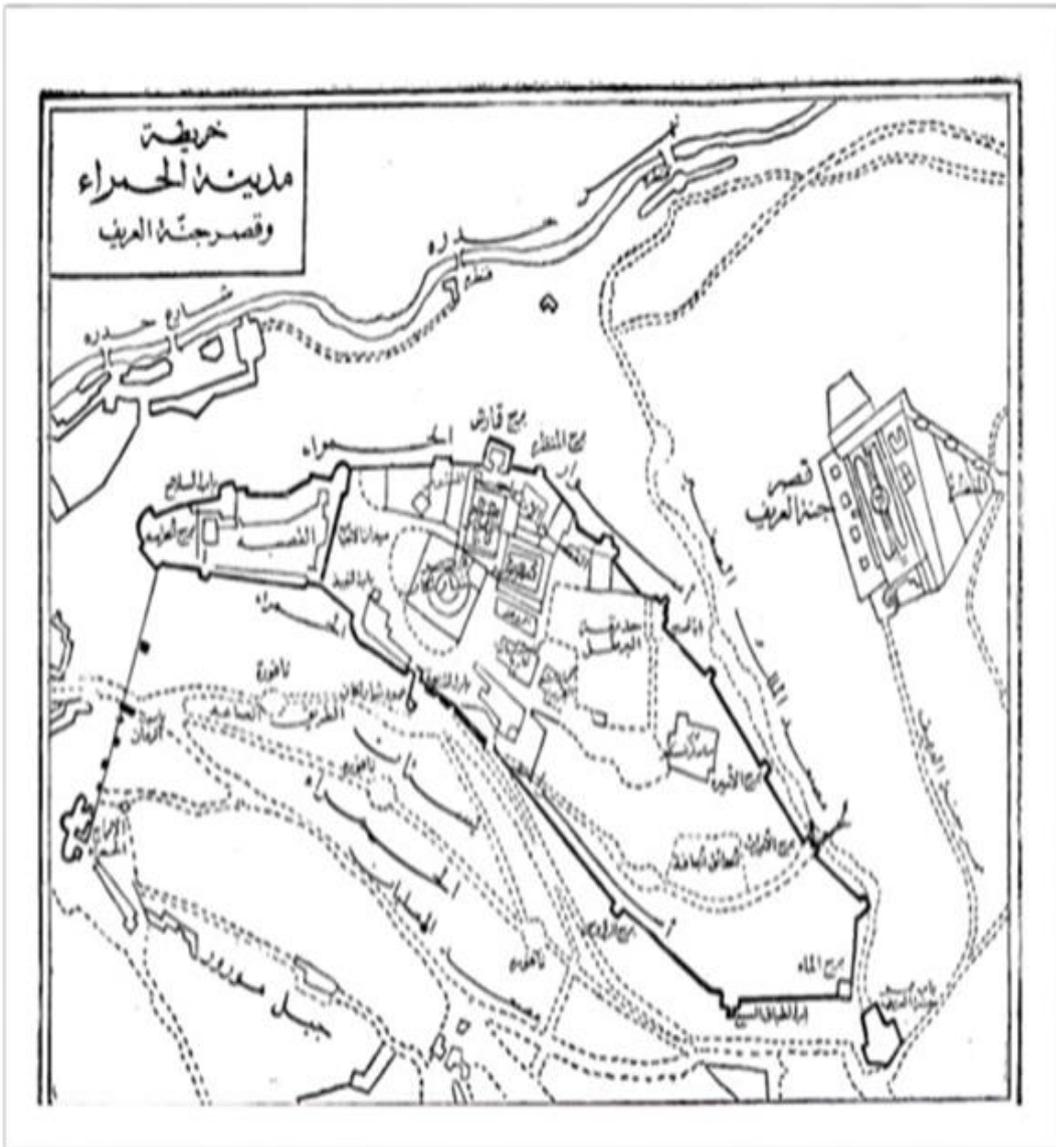
ملحق الخرائط:

- الخريطة الأولى<sup>1</sup>



<sup>1</sup> الآثار الاندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، محمد عبد الله عنان، ص 166

الخريطة الثانية<sup>1</sup>



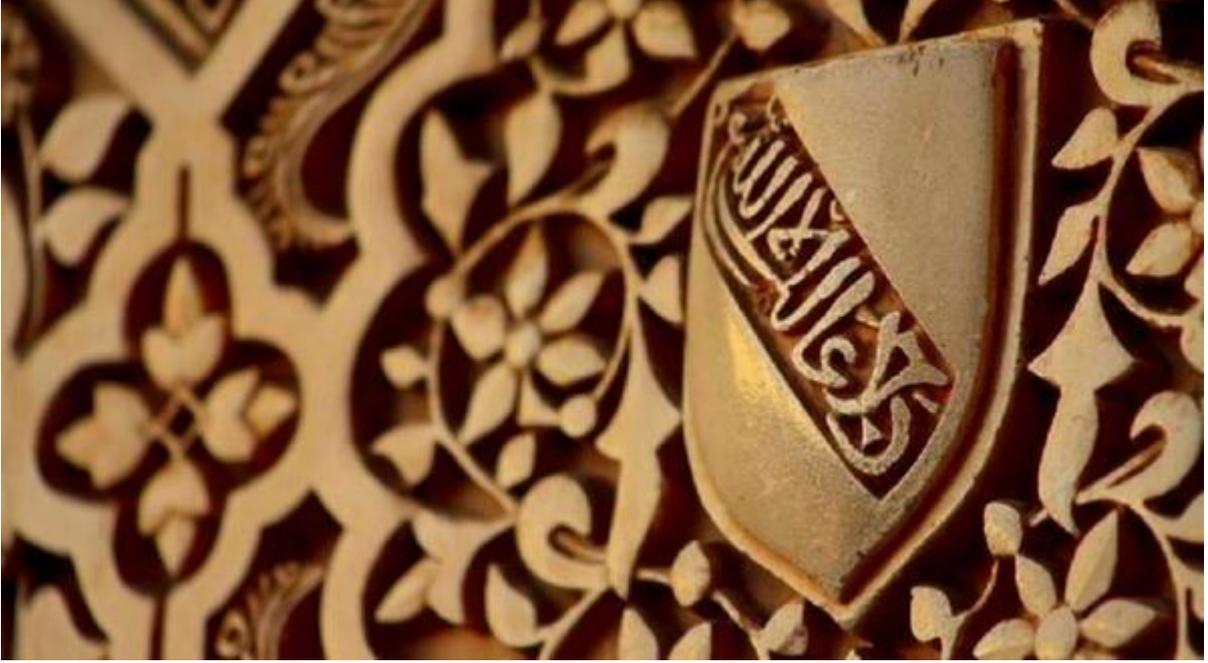
<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 194



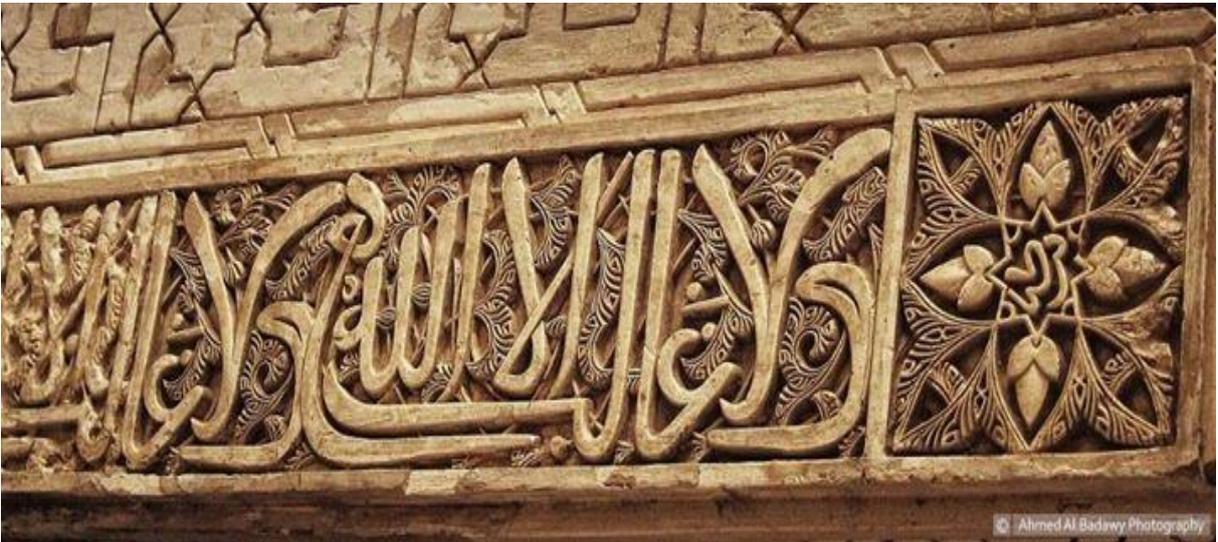
الخريطة الرابعة:1



<sup>1</sup> أخبار سقوط غرناطة، واشنطن ايرفينغ، ترهاني يحي نصري، ص12.



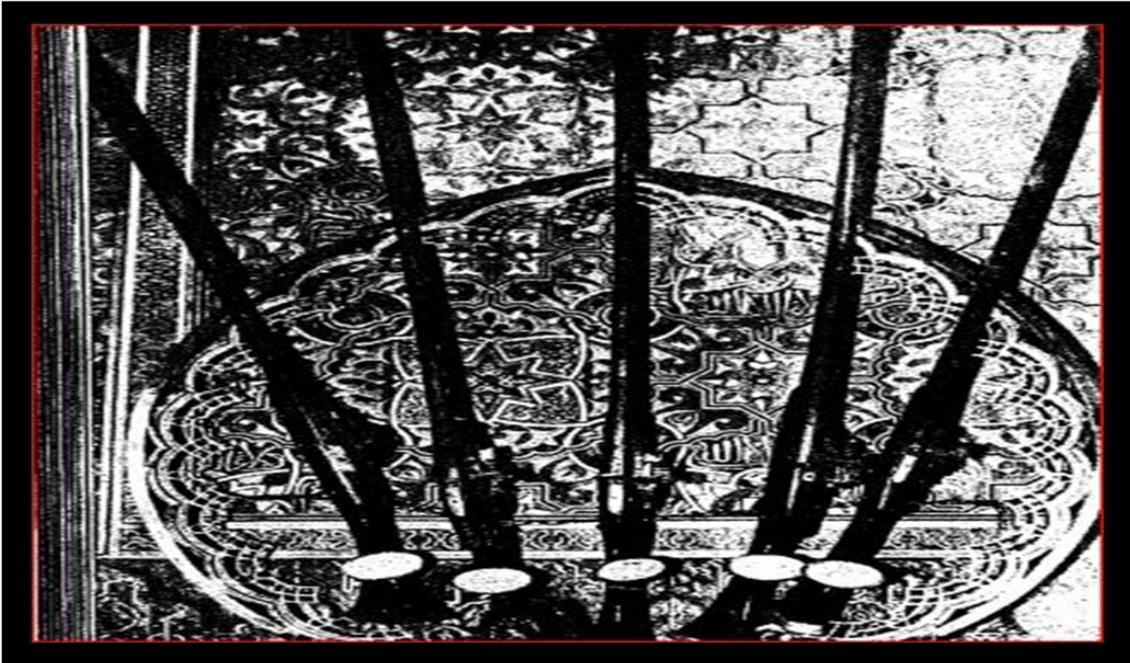
شعار مملكة بني الأحمر



## أبو عبد الله محمد آخر ملوك الأندلس<sup>1</sup>



## البنادق التي استخدمها أهل قرنطة<sup>2</sup>



<sup>1</sup> الأثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، محمد عبد الله عنان، ص3

<sup>2</sup> الأندلسيون المواركة، عادل سعيد بشتاوي، ص154.



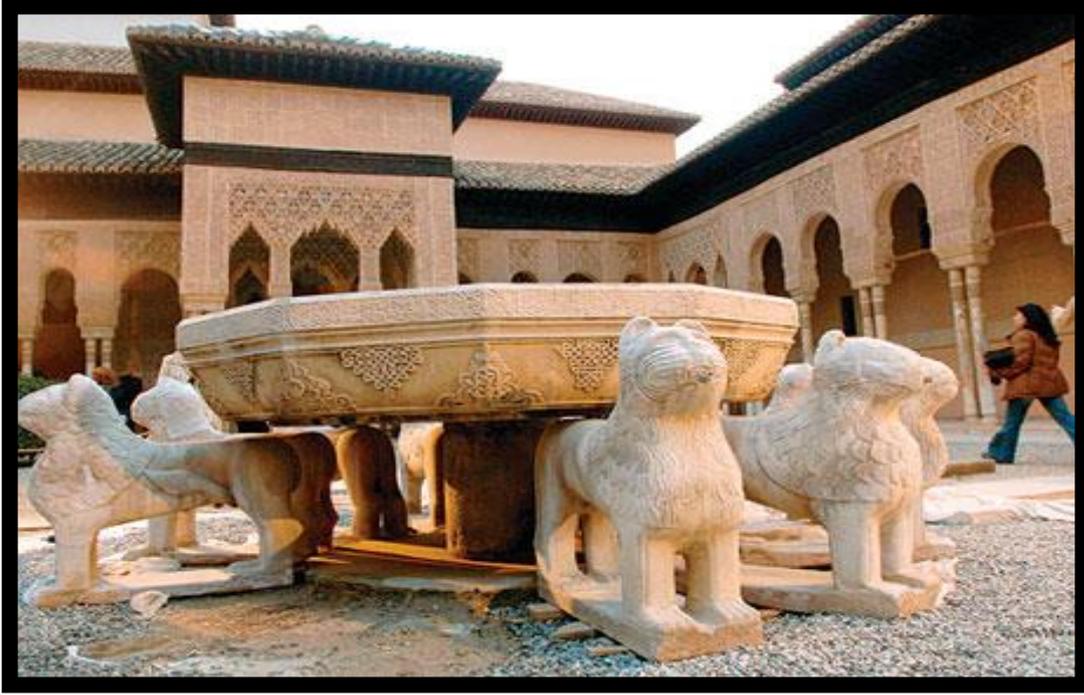
منظر لقصر الحمراء<sup>1</sup>



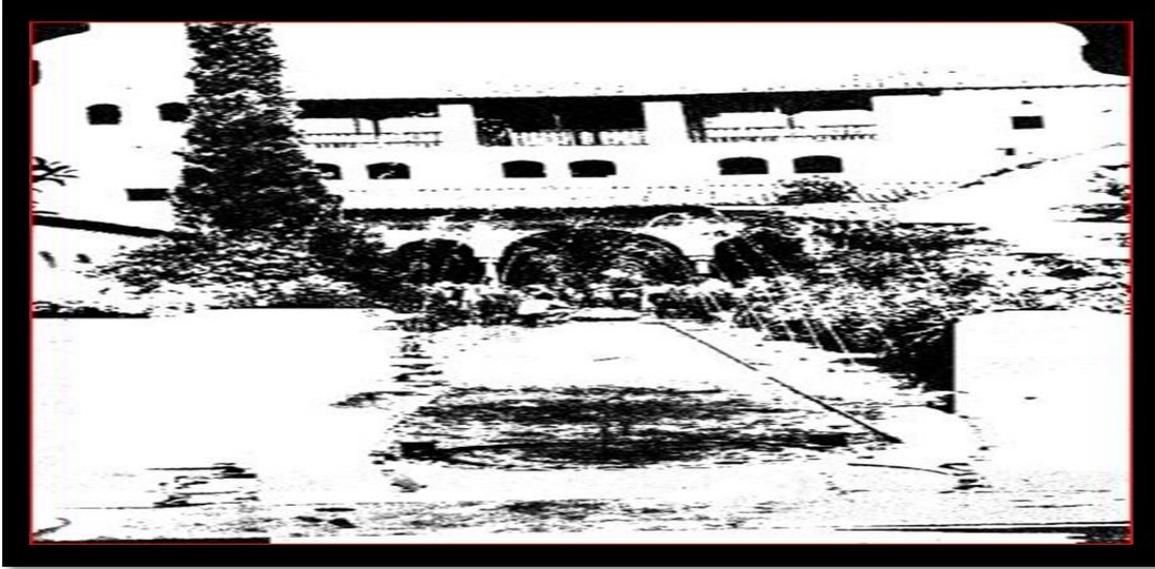
جبل شلير – جبل الثلج-<sup>2</sup>

<sup>1</sup> الأندلسيون المواركة، عادل سعيد بشتاوي ص 66.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 156.



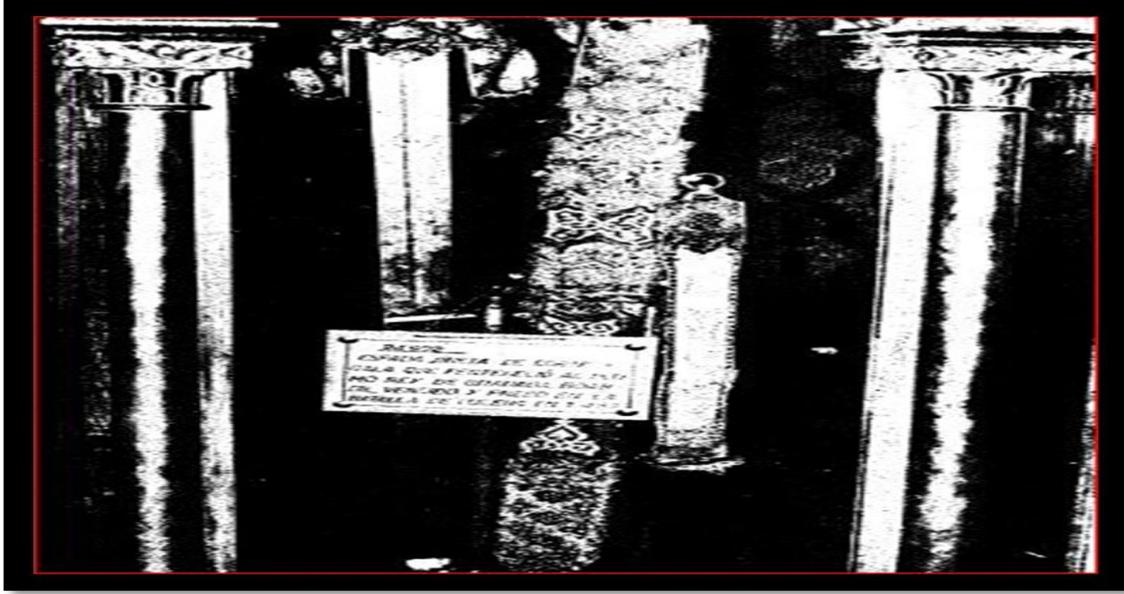
بهمو الأسود بقصر الحمراء<sup>1</sup>



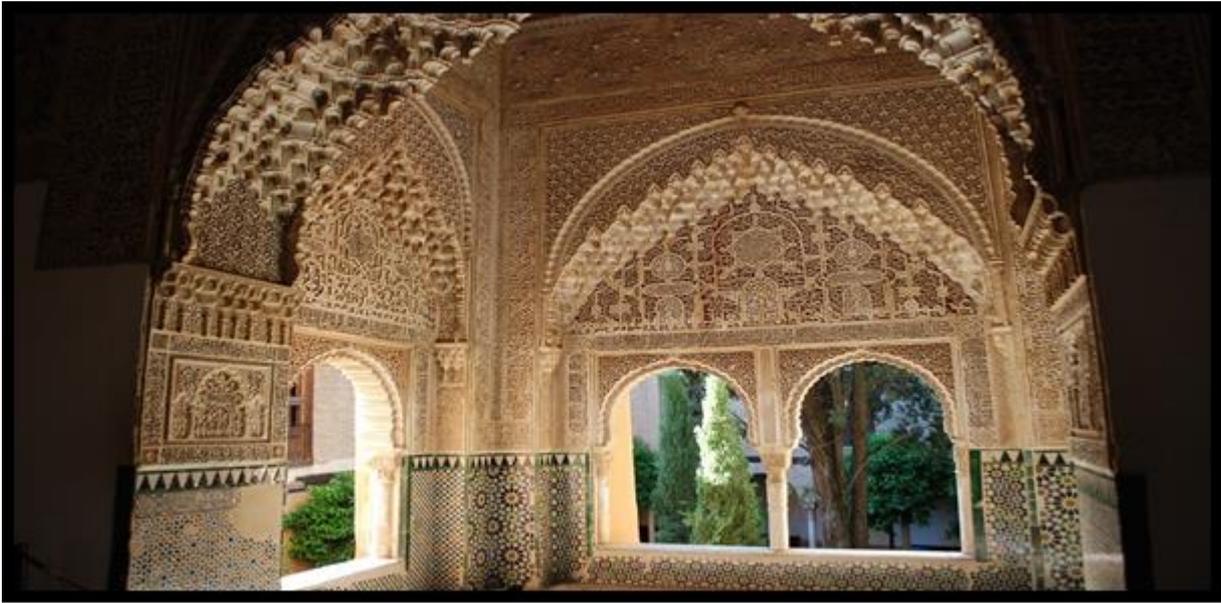
جَنَّة العريف<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محنة مسلي الاندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، محمد عبده حتامله، ص14.

<sup>2</sup> الأندلسيون المواركة، عادل سعيد بشتاوي ص11



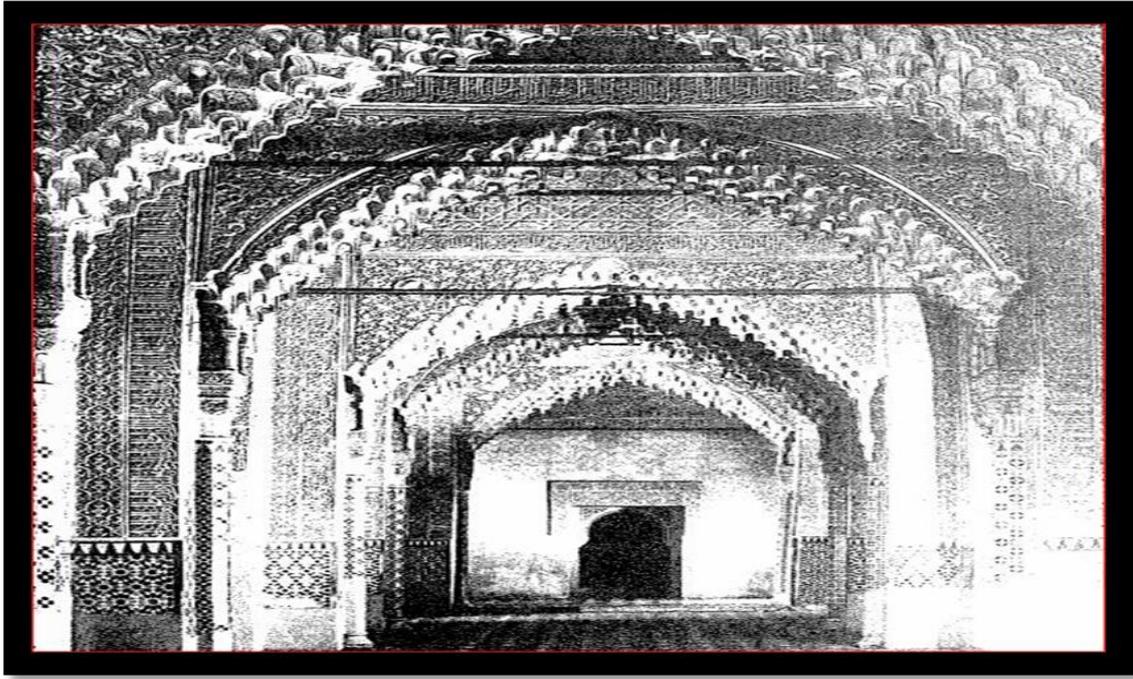
سيف آخر سلاطين بني الأحمر<sup>1</sup>



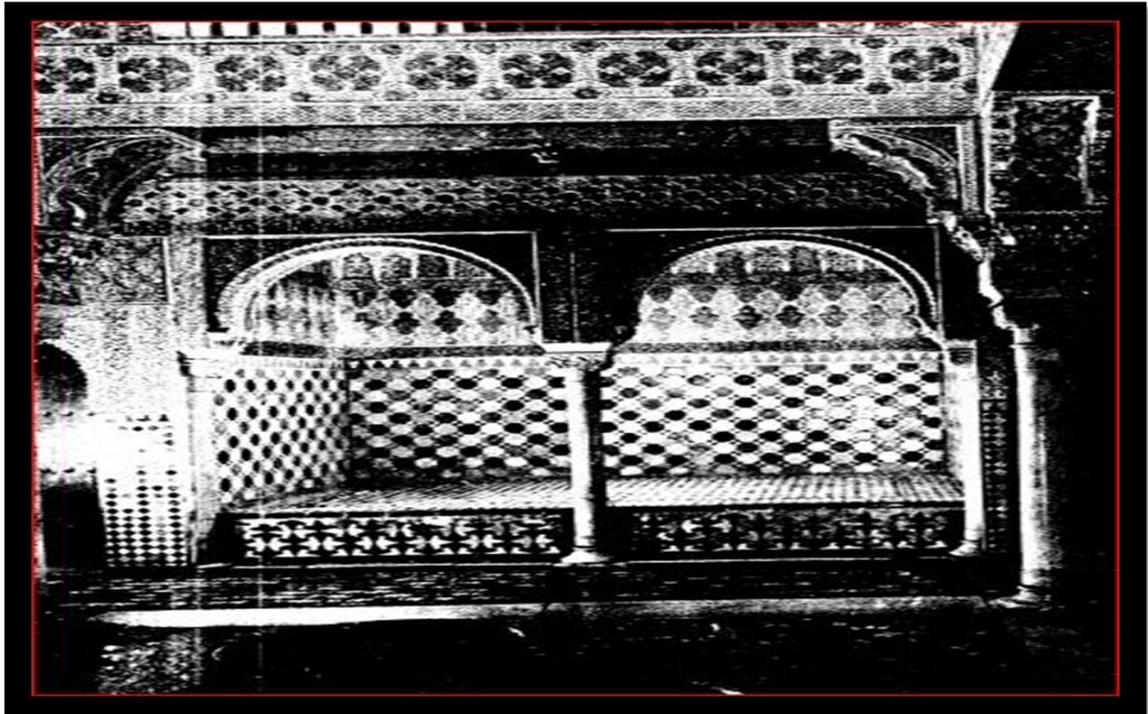
منظرة دار عائشة الحرة<sup>2</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 119.

<sup>2</sup> التنصير القسري لمسلمي الاندلس، محمد عبده حتماله، ص 23.



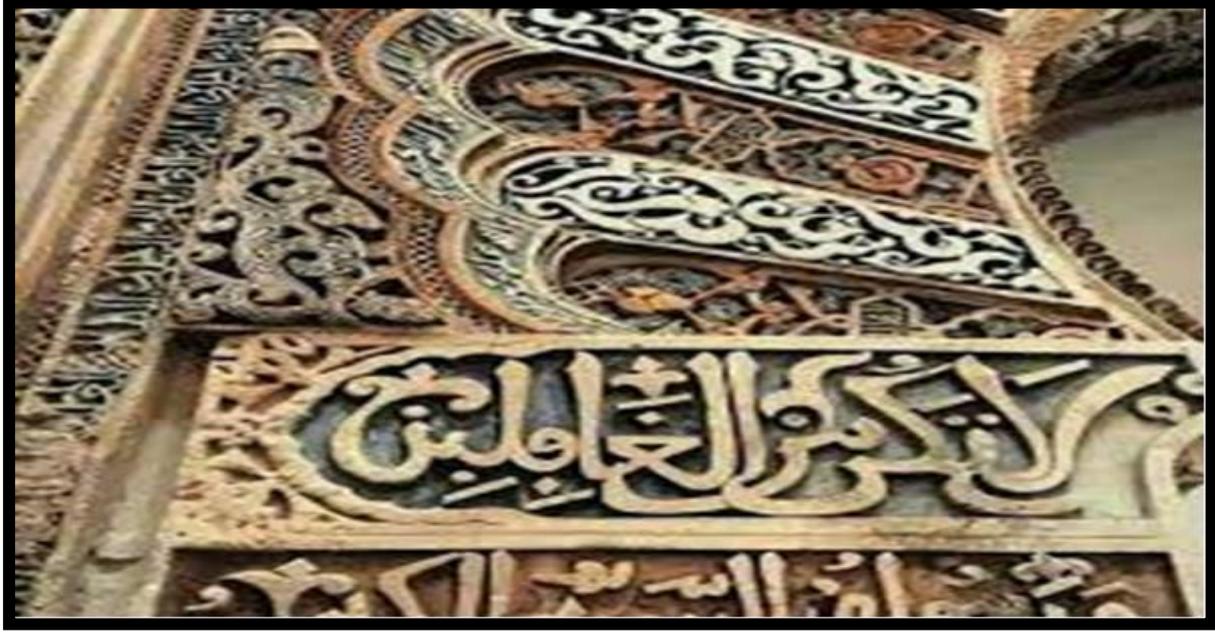
صالة ملوك بني الأحمر بقصر الحمراء<sup>1</sup>



حمام قصر قمارش<sup>2</sup>

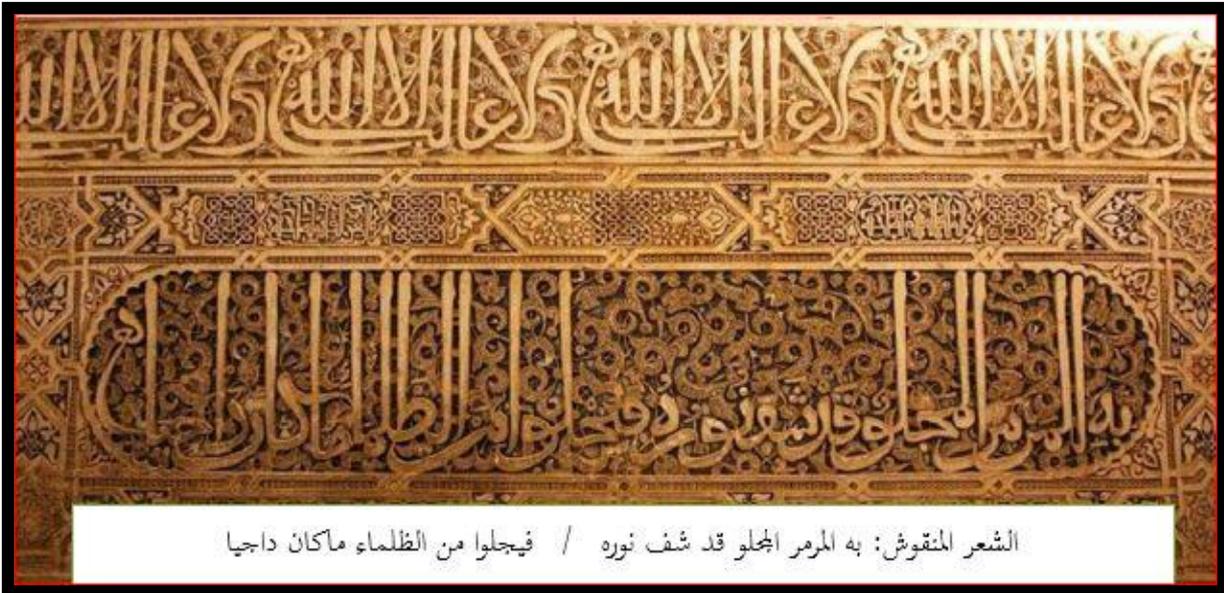
<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 29.

<sup>2</sup> محنة مسلي الاندلس، محمد عبده حتامه، 28



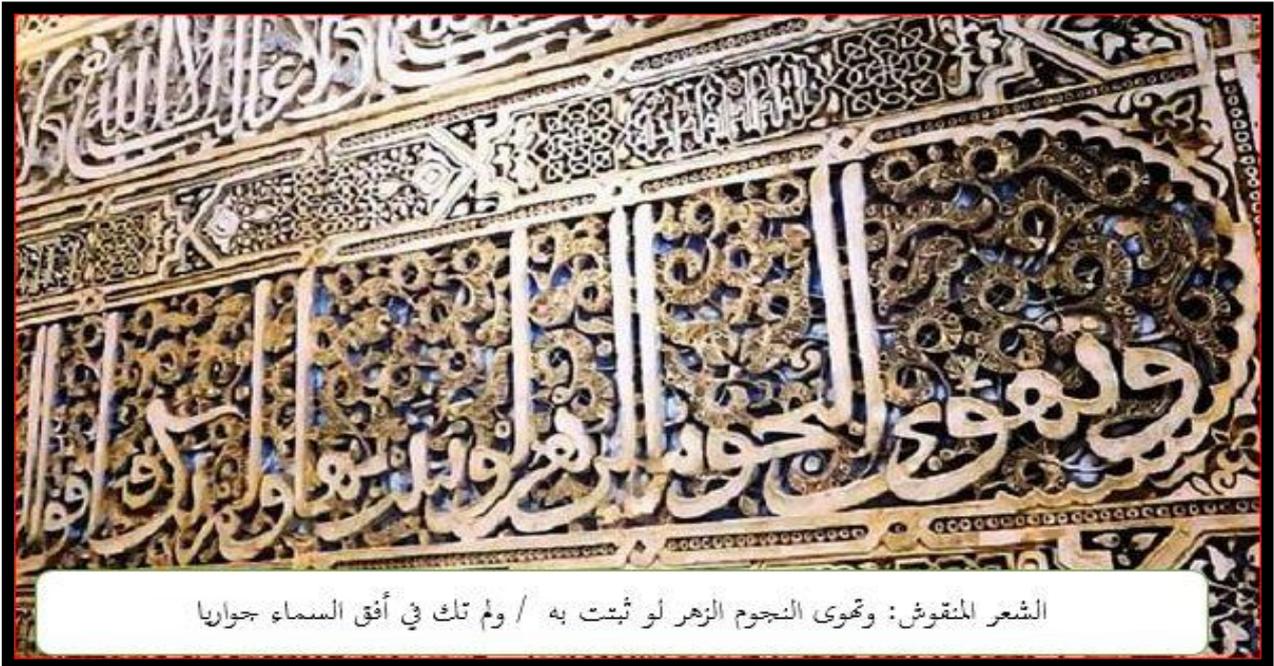
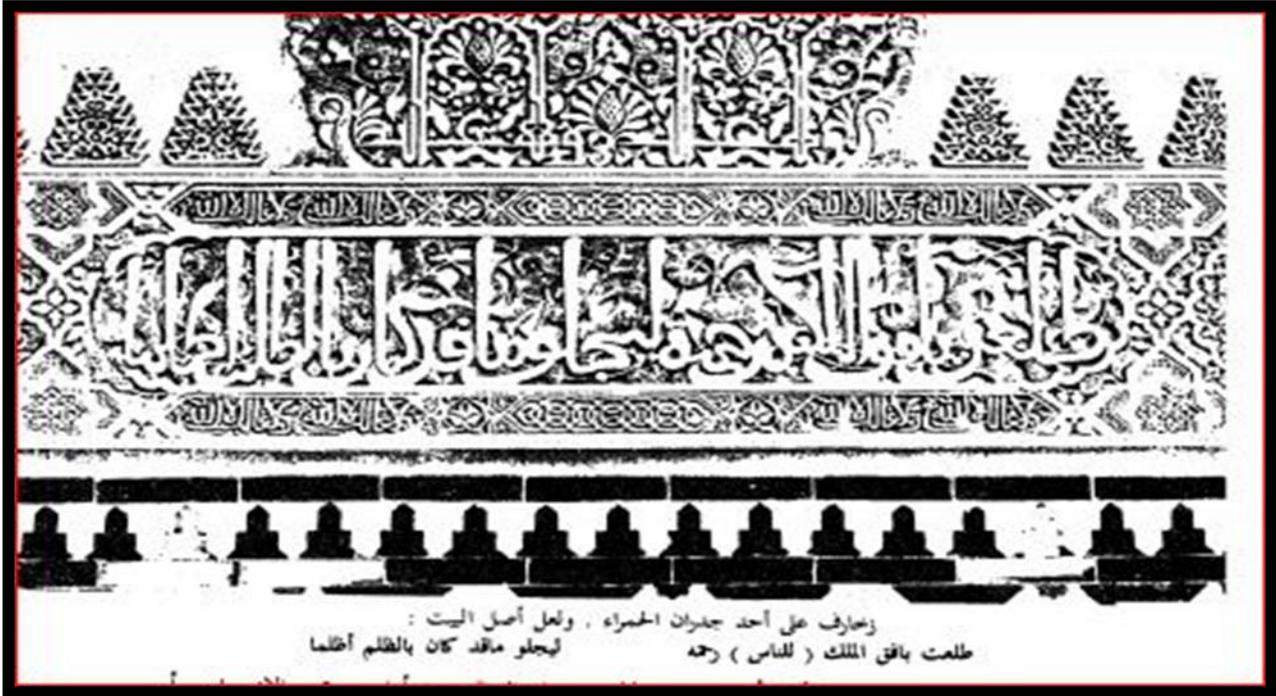
نقوش في جدار مسجد غرناطة

" أقبل على صلاتك ولا تكن من الغافلين "



بيت شعري لابن زمرك نقش على جدار بقصر الحمراء<sup>1</sup>

<sup>1</sup> دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد13 عدد 2 أبريل2021، ص08.



أبيات شعرية لآين زمرك نقشت على جدران الحمراء<sup>1</sup>

<sup>1</sup> المرجع السابق، الصفحة نفسها.

قائمة المصادر

والمراجع

❖ القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

أولاً: المصنّفات العربية:

- 1- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال - دراسة تاريخية أثرية، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1417هـ/1997م.
- 2- الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، شرحه وضبطه وقدم له يوسف على الطويل، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، 2014.
- 3- الأدب العربي لغير الناطقين بالعربية، حسن خميس المليحي، عمادة شؤون المكتبات، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت.
- 4- الأدب المفرد، البخاري، حقق نصوصه، ورقم أبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة 1375هـ.
- 5- أدب صدر الإسلام، واضح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 1414هـ/1994م.
- 6- الأدب وفنونه دراسة ونقد، دكتور عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، د ط، سنة 1434هـ/2013م.
- 7- أربعون سببا من أسباب سقوط الأندلس، عبد الحلیم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، سنة 1414هـ-1994م.
- 8- أزاهر الرياض في أخبار عياض، أحمد بن محمد المقري، ضبطه وحقّق وعلّق عليه: مصطفى السقا- إبراهيم الإبياري- عبد الحفيظ شلبي، المعهد الخلفي للأبحاث المغربية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة 1358هـ-1939م.
- 9- أساس البلاغة، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1965.

- 10- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي، تحقيق عادل مرشد، دار الإعلام، عمان، ط1، سنة2002..
- 11- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، وهو كتاب نثر الجمان في شعر من ضمنى وإياهم الزمان، تأليف أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر، حققه وقدم له، رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، سنة1407هـ-1987م.
- 12- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، أيار/مايو2002.
- 13- أعمال الأعلام فيمن بُوع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، ابن الخطيب، تحقيق سيّد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط، د ت.
- 14- آفاق غرناطة: بحث في التاريخ السياسي والحضاري العربي، عبد الحكيم الذنون، دار المعرفة، دمشق، ط1، سنة1408هـ/1988م.
- 15- الأندلسيون المواركة، عادل سعيد بشتاوي، دار الكتب، القاهرة مصر، ط1، 28يناير1983.
- 16- البسطي آخر شعراء الأندلس، محمد ابن شريفة، دار المغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط1، سنة1985م.
- 17- بلوغ الأمل في فن الزجل، ابن حجة الحموي، تحقيق رضا محسن القريشي وعبد العزيز الأهواني، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق، سنة1974، ص128.
- 18- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق إبراهيم التريزي، راجعه عبد الستار أحمد فراج مطبعة حكومة الكويت 1392هـ - 1982م الجزء11.
- 19- تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي، راجعه وضبطه عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، المنصورة مصر، د ت.

- 20- تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة 3، حزيران / يونيو 1997، الجزء السادس.
- 21- تاريخ الأدب العربي-العصر الجاهلي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 1، د ت.
- 22- تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مبارك الميلي، تقديم محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، د ت، ج 2
- 23- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د. خليل إبراهيم السامرائي- د. عبد الواحد ذنون طه – د. ناطق صالح مطلوب، دار الكتب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ط 1، يناير 2000.
- 24- تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار عبادي، دار النهضة العربية بيروت لبنان. د ط. سنة 1978.
- 25- تاريخ المغرب والأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، عبد المحسن طه رمضان، دار الفكر عمان، الطبعة الأولى سنة 2011.
- 26- تاريخ دولة الدولتين الموحّدية والحفصية، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المعروف بالمراكشي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 2، سنة 2002.
- 27- تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن استحق القضاء والفتيا، النباهي أبو الحسن، تحقيق لجنة التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت. ط 5. سنة 1403 هـ / 1973 م.
- 28- تحفة النُّظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، سنة 1428 هـ/2007.
- 29- التنصير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين (1516-1474م)، محمد عبده حتامله، سادت الجامعة الأردنية على نشره، ط 1، 1980م.

- 30- الثقافة العربية والثقافات الأخرى، الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية والعلوم والثقافة، الطبعة الثانية، سنة 1436هـ /2015م.
- 31- جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى، ابن عاصم، تحقيق صلاح جرار، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، سنة 1989، ج 1.
- 32- جيش التوشيح، ابن الخطيب، تحقيق هلا ناجي ومحمد ماضور، مطبعة المنار، تونس، 1967.
- 33- الحضارة - دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها -، حسين مؤنس، عالم المعرفة، إصدار المجلس الثقافي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د. ط، د.ت.
- 34- الحضارة- الثقافة-المدنية "دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم"، نصر محمد عارف، سلسلة المفاهيم والمصطلحات، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط 2، 1415هـ /1994م.
- 35- حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار، أبو القاسم بن محمد با إبراهيم الغساني (الشهير بالوزير)، حققه وعلق على حواشيه ووضع فهرسه، محمد لعربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1410هـ-1990م.
- 36- الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، سلى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، تشرين الثاني. نوفمبر 1999م. ج 1.
- 37- الحضارة في مفهوم الإسلام، أنور الجندي، دار الأنصار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، د ط، د ت.
- 38- الحُلة السّيرا في مدح خير الوَري، ابن جابر الأندلسي، تحقيق علي أبو زيد، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 1405هـ-1985م.
- 39- خلاصة تاريخ الأندلس، الأمير شكيب أرسلان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، د ط، د ت.

- 40- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د ط- د ت.
- 41- دولة الإسلام في الأندلس. العصر الرابع: نهاية الأندلس، عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة مصر، الطبعة الرابعة، سنة 1418 هـ /1998.
- 42- ديوان إبراهيم بن الحاج النميري، تقديم وضبط عبد الحميد عبد الله الهرامة، المجمع الثقافي، أبوظبي، 1424 هـ-2003م.
- 43- ديوان ابن خاتمة الأنصاري ورسالة: الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعاذل، حققه وشرحه د. رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1، 1414هـ-1994م.
- 44- ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق محمد ابن شريفة، سلسلة التراث مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ط1، سنة 1407هـ-1987م.
- 45- ديوان طرفة بن العبد، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 1423هـ /2002م.
- 46- ديوان لسان الدين بن الخطيب، صنعه وحقَّقه وقَدَّم له د. محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء- المغرب، ط 2، سنة 1428هـ/2007م.
- 47- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي، حققه عن نسخة الاسكوريال د. إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ج4.
- 48- رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي، جمع عيسى بن محمد الشامي، كنوز الأندلس، د ط، د ت.
- 49- رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د ط، سنة 1978.
- 50- الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة بيروت، لبنان، ط 2، سنة 1984م.

- 51- روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، بن الأزرق، تقديم وتحقيق: سعيدة العلمي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، سنة1999م.
- 52- روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب، حَقَّقه وعلَّق على حواشيه، وتعليق وتقديم عبد القادر أحمد عطا عبد الستار، دار الفكر العربي للطبع والنشر، د. ط، د. ت.
- 53- ريحانة الكتاب ونفحة المنتاب، ابن الخطيب. تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة 1981، ط1، ج 2.
- 54- الزراعة في الأندلس، يوسف نكاري، مطبعة الجسور، وجدة المغرب، ط1، سنة2007.
- 55- ابن زمرك شاعر الحمراء، حجاجي حمدان. ديوان المطبوعات الجامعية. بن عكنون الجزائر. د ط د ت.
- 56- ابن زمرك الغرناطي سيرته وأدبه، أحمد سليم الحمصي، دار الايمان للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس- لبنان، ط1، 1405هـ-1985.
- 57- السِّحر والشعر، ابن الخطيب، حققه المستشرق الإسباني ج. م. كونتننته فيرير راجعه ودققه محمد سعيد إسبر، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، سنة2006.
- 58- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف، خرج حواشيه وعلق عليه: عبد المجيد خيالي، دارالكتب العلمية بيروت لبنان، ط1 2002م- 1424هـ، الجزء الأول.
- 59- شعرُ أبي البركات بن الحاج البلفيقي، بعناية عبد الحميد عبد الله الهرامة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة- دبي ط1، سنة 1996م.
- 60- شعر الاستصراخ في الأندلس، جمع وإعداد عزوز زرقان، دارالكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة2008م.
- 61- الشعر الأندلسي، يوسف، عيد، دار العزة والكرامة للكتاب، وهران، ط1، م2013.

- 62- صبح الأعشى في صناعة الانثى، أحمد ابن علي القلقشندي. المؤسسة المصرية لتأليف والترجمة والطباعة. د.ط. د.ت، الجزء 5.
- 63- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد بن الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، كانون الثاني 1410هـ/يناير 1990م، المجلد الأول.
- 64- الضَّوء اللّامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين محمد بن عبد الرحمان السّخاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م
- 65- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، منشورات دار الكتاب اللبناني بيروت، ط 2، سنة 1959م، الجزء 7.
- 66- العقد المنظّم للحكّام فيما يجري بين أيديهم من العُقود والأحكام، ابن سلمون الكناني، تعليق محمد عبد الرحمان الشاغول، دار الآفاق العربية للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط1، سنة 1432هـ-2011م.
- 67- العمارة والفنون في دولة الإسلام، سعد زغلول عبد الحميد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د.ط، د.ت.
- 68- غرناطة في ظل بني الأحمر، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، ط1، 1413هـ/1993م.
- 69- الفن والأدب، مشال عاصي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت لبنان د ط، د.ت.
- 70- في الأدب والحضارة، محمد الحسنواوي، دار عمّار عمان، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1975م.
- 71- ابن فركون الأندلسي شاعر غرناطة، قاسم القحطاني، دار الكتب الوطنية، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، ط1 سنة 2009م.

- 72- فيضُ العُباب وإفاضة قداحِ الآداب في الحركة السَّعيدة إلى قسنطينة والزاب، ابن الحاج النميري، دراسة واعداد محمد ابن شقرون، دار المغرب الإسلامي، الرباط، ط1، سنة 1990.
- 73- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د ط، 1979م، ج 3.
- 74- قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط، راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 2011م.
- 75- كتاب العين مُرتبًا على حروف المعجم، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1424هـ / 2003م، ج 1.
- 76- الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، ابن الخطيب، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة للطبع والنشر، بيروت، سنة 1983م.
- 77- كناسة الدُّكان بعد انتقال السكان حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب في القرن الثامن هجري، ابن الخطيب، تح: محمد كمال شبانة، مراجعة د. حسن محمود، دارالكتاب العربي للطباعة والنشر، مصر، د ط، د ت.
- 78- لسان الدين ابن الخطيب . حياته وتراثه الفكري . عبد الله عنان، مكتبة الخانجي . القاهرة، سنة 1388هـ / 1968م
- 79- لسان الدين ابن الخطيب 713-776هـ/1313-1374م نثره وشعره وثقافته في إطار عصره، نبيل خالد الخطيب، دار النهضة العربية.
- 80- لسان العرب، بن منظور، دارصادر، لبنان، د ط، د ت، مج 1.
- 81- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ابن الخطيب، صححه ووضع رتبه ناشره محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، سنة 1337هـ..
- 82- مأساة سقوط الأندلس في الشعر الأندلسي- منظر عام ليهو السباع بغرناطة-، سليمة بنعمر، مطبعة الخليج العربي، تيطوان، المغرب، سنة 2010.

- 83-محطات أندلسية - دراسات في التاريخ والأدب والفن الأندلسي، محمد حسن قجه، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط1، 1405هـ-1985م.
- 84-محنة مسلمي الأندلس عشية سقوط غرناطة وبعدها، محمد عبده حتاملم، مطابع دار الشعب، عمان-الأردن، ط1، سنة1988م.
- 85-المدن والآثار الإسلامية في العالم . أحمد أرشد الخالد . دار المعتر للنشر. ط 1. 2010.
- 86-المساجد والقصور في الأندلس، السيد عبد العزيز سالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط، سنة1986م، ص111.
- 87-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، بن فضل الله العامري، تحقيق كمال سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، سنة 2010.المجلد الثامن.
- 88-مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله)، أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، سنة 1983م.
- 89-مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، أحمد محمد الطوخي، تقديم أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية مصر، سنة 1998م
- 90-المعارضات في الشعر الأندلسي دراسة نقدية موازنة، يونس طركي سلوم البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2008م.
- 91-معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، ابن الخطيب، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، سنة 1423هـ/2002م.
- 92-المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، د ط، د ت.
- 93-مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه، وخرّج أحاديثه، وعلّق عليه عبد الله محمد درويش، داريعرب، سوريا، 2004 م، ط 1، ج 2.
- 94-مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر403-483هـ/1012-1090، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة1414هـ/1994م.

- 95- موشحات لسان الدين ابن الخطيب (دراسة وجمع)، عبد الحلیم حسین الهروط، دار جریر للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة 2 منقحة ومزیدة، 1433هـ-2012م.
- 96- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج شرح النووي على مسلم، بيت الأفكار الدولية، السعودية، د ط، د ت.
- 97- نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، مؤلف مجهول، ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر، ط1، 1463هـ/2002م.
- 98- النثر الفني عند لسان الدين ابن الخطيب، عبد الحلیم حسین الهروط، دار الجيل للنشر والتوزيع، عمان، 1426 هـ.
- 99- نظم العقدين في مدح سيّد الكونين أو الغين في مدح سيّد الكونين، ابن جابر الأندلسي، تحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1426 هـ/2005م.
- 100- نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، ابن الخطيب، نشر وتعليق، أحمد مختار العبادي، مراجعة عبد العزيز الأهواني، دار النشر المغربية، الدار البيضاء المغرب، د ط، د ت.
- 101- نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب، المقري شهاب الدين أحمد بن محمد، حققه إحسان عباس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، د ط، 1407 هـ/1977
- 102- النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، سنة 1387 هـ / 1968م.
- 103- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والطباعة والنشر، القاهرة، ط3، سنة 1966م.
- 104- نهاية الوجود العربي بالأندلس، علي حسين الشطشاط، دار قباء للنشر والتوزيع. مصر. سنة 2001.

105- نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التّنّبكتي، تقديم عبد الحميد عبد الله الهزّامة، دار الكتاب، طرابلس، ط2، 2000م.

ثانيا: الكتب المترجمة:

106- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحلّيم النجار، دار المعارف، القاهرة، ط5.

107- تاريخ الفكر الأندلسي، أنجل جنثالث بالنثيا، نقله عن الإسبانية، حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

108- الحمراء قصة أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على الأندلس وإسبانيا، واشنطن إيرفينغ، ترجمة هاني يحي نصرى. المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. الطبعة الأولى سنة 1951.

109- سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس، واشنطن إيرفينغ، ترجمة إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1988م.

110- العمارة الإسلامية - عمارة المياه-، بابيليون مالدونادو، ترجمة علي إبراهيم علي منوفي، مراجعة وتقديم، محمد حمزة إسماعيل الحداد، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1 2007.

111- العمارة في الأندلس، عمارة المدن والحصون، بابيليون مالدونادو، ترجمة: علي إبراهيم، مراجعة وتقديم: محمد حمزة حداد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط1، 2005، القاهرة، المجلد الأول.

112- قصة الحضارة، ولّ وإيريل ديورانت، تقديم محي الدّين جبار. ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، د ط، د ت، المجلد1.

- 113- مختصر دراسة للتاريخ، أرنولد توينبي، ترجمة فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غرب، تقديم عبادة كحيله، المركز القومي للترجمة القاهرة، سنة 2011م، الجزء 1.

### ثالثاً: الأطارح الجامعية:

- 114- أثر التصوف في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر، إعداد: فاطمة إبراهيم عبد الفتاح محسين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، سنة 2010، تحت إشراف: صلاح محمد جرار.
- 115- الأندلس في عهد بني الأحمر- دراسة تاريخية وثقافية (635-897هـ / 1238-1492م)، إعداد: بوحسون عبد القادر، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، سنة 2012-2013. تحت إشراف: عبدلي لخضر.
- 116- التجليات الحضارية في الشعر الأندلسي (عصر بني الأحمر)، إعداد: سعد بن ماشي بن عودة العنزي، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون 2012. تحت إشراف: حمدي منصور.
- 117- الحركة الشعرية في الأندلس -عصر بني الأحمر-، إعداد: أيمن يوسف إبراهيم، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطني، نابلس. فلسطين، سنة 2007. تحت إشراف: وائل أبو صلاح.
- 118- الحكمة في شعر أبي البقاء الرندي (البنية والدلالة)، إعداد: نوف بنت محمد علي يماني، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، سنة 1436هـ-1437هـ. تحت إشراف: حميد محمد عباس سمير.

- 119- الحياة الأدبية والمظاهر الحضارية على عهد الموحدين من القرن السادس الهجري إلى نهاية القرن السابع الهجري، إعداد: فايزة سعيدات، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، 2017-2018، تحت إشراف: أ.د محمد مرتاض.
- 120- الخصائص الشكلية لفن الزجل في الأندلس، إعداد مزوري مومن، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، سنة 2012-2013م. تحت إشراف، د. كريب رمضان.
- 121- الخطاب الشعري الصوفي المغربي في القرنين السادس والسابع الهجريين- دراسة موضوعاتية فنية، إعداد، أحمد عبيدي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب المغربي القديم، جامعة الحاج لخضر باتنة، سنة 2004م- 2005م. تحت إشراف: محمد الأخصر الزاوي.
- 122- شعر أبي الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة -دراسة موضوعية فنية-، إعداد: شريف عبد الحليم محمد عويضة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، فبراير سنة 2014. تحت إشراف: عبد الله رمضان خلف مرسي.
- 123- الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر بني الأحمر، إعداد: عبير عبد الله أمين الحسين، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، سنة 2007. تحت إشراف: حمدي منصور.
- 124- شعر الحروب والفتن في الأندلس (عصر بني الأحمر)، إعداد: رانية أحمد إبراهيم أبو لندة، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، سنة 2007. تحت إشراف: وائل أبو صالح.
- 125- شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر، إعداد: فاطمة مفلح مرشد العبدالات، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، كانون الأول سنة 2002م. تحت إشراف: حمدي منصور.

- 126- الشعر في إقليم غرناطة في القرن السابع الهجري: أغراضه وقضاياها الفنية، إعداد: نوح يونس عبد الله، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بنغازي، كلية الآداب واللغات، 26-12-2012. تحت إشراف د. محمد فرج دغيم.
- 127- شعر المولديات في العهد الزياني، إعداد: أحمد موساوي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان، سنة 1424هـ/2003م، تحت إشراف: أ. د محمد مرتاض.
- 128- المدائح النبوية في الشعر الأندلسي في القرن الثامن الهجري مضامينها وأشكالها الفنية لسان الدين بن الخطيب وابن جابر "أنموذجا"، إعداد: السعيد قوراري، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الأدب العربي، جامعة باتنة1، السنة الجامعية 2016-2017م. تحت إشراف: الشريف بوروبة.
- 129- المدحة في شعر لسان الدين بن الخطيب الغرناطي 776هـ البعد والتشكيل، إعداد سعيد بن مسعد بن سعيد العاصمي المالكي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة ام القرى بمكة المكرمة، سنة 1422هـ /1423هـ، تحت إشراف: حسين عبد الكريم الوراكلي.
- 130- الموشحات الأندلسية بين القصيدة والغناء، إعداد: إسماعيل دليلة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة تلمسان سنة 2015-2016، تحت إشراف: محمد مهداوي.
- 131- الموشحات والأزجال وأثرها في الأدب الأوروبي القديم: شعر التروبادور أنموذجا، إعداد: نميش أسماء، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، 2015 – 2016. تحت إشراف: بوخاتم مولاي علي.
- 132- نزعة الزهد في الشعر الأندلسي من الفتح إلى نهاية الدولة دراسة تحليلية، إعداد: مشاعر عباس أحمد عوض السيد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في

الأدب والنقد، جامعة أم درمان الإسلامية، سنة 2010. تحت إشراف: عبد  
الرحمان عطا المنان محمد.

#### رابعاً: الدوريات

- 133- مجلة الإحياء، العدد السابع، 2003-1424.
- 134- مجلة بدر، المجلد 10 العدد 7، سنة 2018.
- 135- مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، المجلد الثالث  
عشر-العدد الثاني، يونيو 2005.
- 136- مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد 3، سنة 2010.
- 137- مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 17، العدد 7، تموز  
سنة 2010.
- 138- مجلة الصوتيات حولية دولية أكاديمية، جامعة البليدة 2، العدد 7.
- 139- مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد- اسبانيا، المجلد 4،  
العدد 2، سنة 2018.
- 140- مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد 4، العدد 2.

# الفهرس

أ.....	مقدّمة
5.....	مدخل: علاقة الأدب بالحضارة
6.....	أولاً: تعريف الأدب
10.....	ثانياً: تعريف الحضارة
19.....	ثالثاً: علاقة الأدب بالحضارة
22.....	الفصل الأول: التعريف بمملكة بني الأحمر
25.....	أولاً: التّحديد الجغرافي
31.....	ثانياً: الجوانب السياسية والإدارية
31.....	1- الجوانب السياسية:
42.....	2- الجوانب الإدارية:
45.....	ثالثاً: الجوانب الاجتماعية والاقتصادية
45.....	1- الجوانب الاجتماعية:
50.....	2- الجوانب الاقتصادية:
52.....	رابعاً: العمران
52.....	1- العمارة الدّينية:
53.....	2- العمارة المدنية:
56.....	3- العمارة العسكرية:
57.....	خامساً: الجوانب الفكرية والثقافية
58.....	1 - المؤسسات التعليمية:

59	2: أصناف العلوم ومشاهير العلماء.
59	أ- العلوم الدينية:
61	ب- علوم اللغة والأدب:
63	ج- العلوم الاجتماعية:
64	د - العلوم العقلية:
67	الفصل الثاني: ملامح الحركة الشعرية في عصر بني الأحمر.
68	أولاً: عوامل ازدهار الحركة الشعرية.
68	1- العوامل الداخلية:
69	2- العوامل الخارجية:
70	ثانياً: تراجم شعراء بني الأحمر.
70	1- شعراء مرحلة التأسيس:
74	2- شعراء مرحلة الازدهار:
82	3- شعراء مرحلة السقوط:
84	ثالثاً: الفنون الشعرية.
84	1- الموشحات:
91	2- الأزجال:
95	الفصل الثالث: موضوعات الشعر في عصر بني الأحمر.
96	1- الغزل:
101	2- المدح:
105	3- المديح النبوي:

111	4-الفخر:
113	5-الهجاء:
116	6- الوصف:
122	7- الرثاء:
133	8- الزهد:
138	9- التصوف:
144	الفصل الرابع: الأبعاد الحضارية للشعر في عصر بني الأحمر.
145	1- البعد التاريخي:
150	2- البعد السياسي:
156	3- البعد الاجتماعي:
166	4- البعد الديني:
177	5- البعد الإصلاحي:
181	6- البعد الثقافي:
190	7- البعد الإنساني:
196	8- البعد الفني:
204	خاتمة
209	الملاحق
210	ملحق الوثائق: معاهدة تسليم غرناطة
225	ملحق الخرائط:
229	ملحق الصور:

237 ..... قائمة المصادر

253 ..... الفهرس



# إشكالات في اللغة والأدب

985T-5EEZ : NSSI

مجلة نولية محكمة لصلة تصدر عن المركز الجامعي لتأمنست (الجزائر) تولى  
بالدراسات اللغوية والأدبية والنقدية بلغات العربية والفرنسية والإنجليزية



## من مواضيع العدد

- مفهوم تحليل الخطاب عند زليل هاريس

د. فريدة موسى

- مظاهر ميثاقية في رواية أمين الغواني للروائي فيصل الأحمر

د. هشام نومي

- عتبة العنوان في ديوان مرثية الجليل لجانر منصورى -

د. فريدة بولكهيبت

- الشواهد التنويرية على الأسماء والأفعال على منحنى باني بلعلم - برامسة نخوية.

محمد ولد الصالحي

- أثر تخفيف مناهج اللغة العربية في تطبيق المفارقة النصية: نشاط القواعد والصرف

في كتاب السنة الرابعة من التعليم المتوسط نموذجا

منال ناس

- الرواية الجزائرية والشعر، تداخل الأجناس وحدود النقص

د. عمر عاشور

- بلاغة التعبير عن المحظور النحوي في الحديث النبوي.

عاطف عمران

منشورات المركز الجامعي لتأمنست -



إشكالات  
مجلة في اللغة والأدب

مجلة 08 عدد 4 / المحرم 1441 - سبتمبر 2019

مجلة 08 عدد 4 / المحرم 1441 - سبتمبر 2019

Centre Universitaire de Tamanghasset

# ISHKELET

REVUE des études linguistiques & littéraires

Volume: 08 Issue No. 4 / septembre 2019

In this issue:

Academic Self-concept in EFL Learning: A Reflective Perspective towards  
Improving Students' Academic Performance

BENADDA Abdelouahid

Langues et francisation de l'Algérie à l'époque coloniale : quel rôle  
pour l'institution scolaire coloniale ?

CHIBANE Rachid

ISSN : 2335-1586

المدائح النبوية في شعر ابن جابر الأندلسي  
Prophetic Praise in the Poetry of the Andalusian Ibn  
Jaber

\* لعلو سمهان

Smahan Lahlou

جامعة أبو بكر بالقياد تلمسان/ الجزائر

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي من التأسيس إلى القرن العشرين

University of Tlemcen/ Algeria

تاريخ النشر: 2019/09/25	تاريخ القبول: 2019/08/28	تاريخ الإرسال: 2018/10/12
-------------------------	--------------------------	---------------------------

مُلَخَّصُ البَحْثِ

يعد ابن جابر الأندلسي من أشهر شعراء الأندلس الذين كتبوا في مدح النبي صلى الله عليه. ذكر لنا في قصائده صفاته الخلقية والخلقية، وشوقه لرؤيته وزيارة قبره، وكذلك الأماكن المقدسة التي ارتبطت بحياته، كما تحدث عن معجزاته ومراحل سيرته النبوية، بالإضافة إلى اعترافه بذنوبه طامعا في نيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم له.

الكلمات المفتاحية: مدح ; نبي; شعر ; ابن جابر الأندلسي

**Article Summary:**

Ibn Jaber al-Andalusi is one of the most famous poets of Andalusia who wrote in the praise of the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him). He mentioned in his poems the prophet's physical and moral qualities, his longing to see him and visiting his grave, as well as the holy places that were associated with the prophet's life. He also spoke about the prophet's miracles and the different stages of his prophetic life. Moreover, in his writings Ibn Jaber confessed his sins hoping to win the prophet's blessings and intercession.

**Keywords:** praise ; Prophet; poetry; Ibn Jaber Andalusia



\* سمهان لعلو . lahoul4smahan@gmail.com

تمهيد:

تعد المدائح النبوية فنا من فنون الشعر التي طرقتها شعراء الأندلس، ومنهم ابن جابر الأندلسي الضرير، وهي من الفنون التي كانت سائدة في البلاد الإسلامية لاعتبار قدسية الممدوح فيها، وبعد أن سُنت سنة الاحتفال بالمولد النبوي، أصبح الشعراء يخصصون القصائد بالمدح حتى تغني قصائدهم و تُذكر في هذه المناسبة، فكان لهذا الفن مكانة خاصة في الشعرية الأندلسية، وسنعالج المقال من خلال النقاط التالية:

- تعريف المدح والمديح النبوي.
- التعريف بابن جابر الأندلسي.
- المدائح النبوية في شعر ابن جابر الأندلسي.

### أولاً: تعريف المديح النبوي:

أ- لغة:

ورد المدح في العديد من المعاجم اللغوية تحت مادة (مَدَح) عرفه ابن منظور في معجمه قائلاً: « المدح نقيض الهجاء، وهو حسن الثناء. والمدائح: جمع المديح من الشعر الذي مُدِحَ به، كالمُدْحَةِ والأمدوحة ورجل مادح: وتمدَّح الرَّجُلُ: تكَلَّفَ أن يمدح. ورجل مُمدِّحٌ أي ممدوحٌ جداً: ومدح الشاعر وامتدح، وتمدَّح الرجل بما ليس عنده: تشبَّعَ وافتخر»<sup>1</sup>.

وهذا نفس ما جاء به الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتاب العين حين قال أن: « المدح: نقيض الهجاء وهو حسن الثناء. والمدحة اسم المديح، وجمعه مدائح ومُدْح، يقال مدحته وامتدحته»<sup>2</sup>. كما ورد معجم المقاييس على أنه « يدل على وصف محاسن بكلام جميل. ومدَّحُهُ يمدحه مدحًا: أحسن عليه الثناء»<sup>3</sup>. وقال فيه الجرجاني أنه « الثناء باللسان على الجميل الاختياري قصدا»<sup>4</sup>.

مما سبق نلاحظ أن التعريف اللغوي للمدح جاء بمعنى الثناء والتغني بالخصال الحميدة والإشادة بمحاسن الممدوح. وبهذا يكون المقصود بالمديح النبوي ذلك الفن الشعري الذي يتناول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بالثناء والإشادة بخصاله الحميدة ومعجزاته صلى الله عليه وسلم

ب- اصطلاحاً:

يعد المدح فناً من الفنون الشعرية ، موضوعه ذكر محاسن الممدوح سواء بمقابل أو بدون مقابل، يقول إميل ناصف في ذلك «هو فن من فنون الشعر الغنائي يقوم على عاطفة الإعجاب، ويعبر عن شعور تجاه فرد من الأفراد، أو جماعة أو هيئة ، ملك على الشاعر إحساسه، وأثار في نفسه روح الإكبار والاحترام لمن جعله موضع مديحه. »<sup>5</sup>

وقال أحمد الهاشمي: «هو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفيسة ، كرجاحة العقل والعفة والعدل والشجاعة»<sup>6</sup>

لقد تفتن الشعراء في فن المدح وتعددت شخصيات الممدوح وتنوعت، فنجد مدحاً موجهاً لشخص من عامة الناس ، ومدحاً لحبيب ، ومدحاً للشيوخ والعلماء، ومدحاً للسلطين والوزراء، ومدحاً للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ما يهتُننا في هذا المقام .

تتمثل المدائح النبوية في تلك القصائد التي نظمها الشعراء في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكروا فيها صفاته الخلقية والخلقية وشوقهم لرؤيته وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم ، وغيرها من الأماكن المقدسة التي ترتبط بحياته، كما تطرقوا لمعجزاته ومراحل سيرته النبوية ومتبعين لغزواته صلى الله عليه وسلم ومعترفين له بتقصيرهم في أداء واجباتهم الدينية، وطامعين في شفاعته عند الله يوم القيامة.

وهذا ما أكد عليه جميل حمداوي في مؤلفه لما قال: « هو ذلك الشعر الذي ينصب على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بتعداد صفاته الخلقية والخلقية، وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول الكريم مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية، ونظم سيرته شعراً والإشادة بغزواته وصفاته المثلى»<sup>7</sup>

كما عرفها شهاب الدين محمد بن أحمد الإشبيلي في كتابه فقال: « هو لون شعري صادر عن العواطف النابعة من قلوب مفعمة بحب صادق وإخلاص متين للنبي الكريم »<sup>8</sup>.

وهكذا اتفق المؤلفون والنقاد على أن المديح النبوي غرض من أغراض الشعر انبثق من غرض المدح واختص بشخصية عظيمة يقدها المسلم فاهتموا بالكتابة الشعرية في حضرته العلية ذاكرين مناقبه وخصاله الخلقية و الخلقية وكل ما تعلق بسيرته العامرة من أرض زارها أو منبر وقف عليه فأصبح غرض المدح الذي ارتبط بشخصية الرسول الأكرم فناً شعرياً قائماً بذاته .

بعد نشأة فن المديح النبوي ، تأثر المداحون بأغراض شعرية أخرى اقتترنت مع هذا الفن كشعر الزهد والتصوف وذلك لما بينهما من علاقة روحانية دينية . هذا ما أكده الدكتور زكي مبارك حين قال: « أن المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف ، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية ، وباب من الأدب الرفيع : لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص »<sup>9</sup> .

ظهر هذا الفن مع بداية الدعوة الإسلامية مع ما كان يتغنى به أهل المدينة ترحيباً بمقدم رسول الله إليهم في هجرته المباركة ، وكذا قصائد شعراء الرسول ك: **حسان بن ثابت** و**كعب بن مالك** و**كعب بن زهير** وغيرهم من الشعراء. ثم انتشر بانتشار دعوة الإسلام ، و تطور على يد شعراء المتصوفة الذين ظهروا في نهاية العصر العباسي ، في مقدمتهم **شرف الدين البوصيري** صاحب الهزمية والبردة المشهورتين في هذا الفن. وغيره من الشعراء الذين سلكوا مسلكه في هذا المجال ، فقد كان الشعراء يتنافسون على مر الأزمنة في مدح رسول الله واشتهر في كل زمن أدبي شعراء اختصوا بهذا الفن ، بعضهم اشتهرت له قصيدة و بعضهم أفرد لهذا الفن الدواوين الكثيرة ، ويمكن اعتبار قصيدة **الأعشى** التي يقول في مطلعها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعاداك ما عاد السليم المسهدا<sup>10</sup>  
يمكن اعتبارها أولى قصائد المديح التي قيلت في مدح خصال رسول الله ولعل قول الشاعر خير دليل حين قال:

نبي يرى ما لا ترون و ذكره أغر لعمري في البلاد و أنجدا  
وبعد ذلك مدحه شعراء عصر صدر الإسلام ممن عايشوا النبي ك**كعب ابن زهير** و **حسان بن ثابت** و**عبد الله بن رواحة** وغيرهم و هم من الصحابة ، ثم لحقهم بعض التابعين من بني أمية وبعض شعراء بني أمية و**بني العباس**، فظهر المدح أحيانا على شكل قصائد في مدح آل البيت نتيجة الاتجاهات المذهبية التي اشدت بروزها في هذه الأزمنة ، فنجد من القصائد المشهورة مدحية **الفرزدق** في زين العابدين بن الحسين بن علي كرم الله وجهه ، و قصيدة **الكميت** التي امتدح فيها آل فاطمة الزهراء وأبيها رسول الله ، وعلى هذا المنوال كتب **الشريف الرضي** ، وفي مصر ظهر الإمام **البوصيري** وقصائده المشهورات ، وابن نباتة المصري وغيرهم ، وكان لشعراء المغرب الإسلامي والأندلس حظ وافر من شرف الكتابة في مدح رسول الله ، وكثرت الكتابة في هذا

الفن مع بداية الاحتفالات بمولد رسول الله فأصبح يطلق على القصائد التي تغنى في هذه المناسبة " شعر المولديات " .

اشتهر الكثير من الشعراء والفقهاء في المغرب الإسلامي بمدح رسول الله ومنهم القاضي عياض ولسان الدين ابن الخطيب وابن جابر الأندلسي وهو المعني بالدراسة في هذا البحث .  
يعد ابن جابر الأندلسي من أهم شعراء الأندلس الذين تفتنوا في نظم المدائح النبوية.

#### ثانيا: التعريف بابن جابر الأندلسي:

« هو شمس الدين، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الأندلسي الهواري المالكي الأعمى. ولد بالميرية وهي من أعمال الأندلس سنة 698هـ، ونشأ فيها طالبا للعلم . تتلمذ على عدد من علماء عصره ، فقرأ القرآن والنحو على "ابن يعيش" ،والفقه على "محمد بن سعيد الرندي وسمع صحيح البخاري على " الزواوي"»<sup>11</sup>

في سنة 738هـ خرج ابن جابر من الأندلس قاصدا الحج، واتخذ لنفسه صاحبا في رحلته وهو أبو جعفر أحمد بن يوسف الرعيني، الذي لازمه في ترحاله حتى أخريات حياته.

مرّ في رحلته إلى مصر وأخذ فيها العلم عن بعض شيوخها منهم - أبو حيان النحوي محمد بن يوسف ، وتوجه إلى دمشق، بعد حجه فمكث فيها حتى سنة 743هـ، ثم توجه صوب البيرة حيث أمضى فيها بقية حياته.<sup>12</sup>

حج ابن جابر مع صديقه غير مرة بعد أن أقاما في البيرة، لكنه افترق عنه، لما تزوج ابن جابر في مدينة البيرة، وسكن فيها. توفي فيها سنة 780هـ<sup>13</sup>.

عرّفه لسان الدين ابن الخطيب في إحاطته قائلا: « رجل كفيف البصر، مدلّ على الشعر، عظيم الكفاية والمنة على زمانه، رحل إلى المشرق، وتضافر برجل من أصحابنا يعرف بأبي جعفر الإيبيري ، صارا زوحين في جسد، ووقع الشعر منهما بين لحيي أسد، وشمرا للكدية<sup>14</sup>، فكان وظيفة الكفيف النظم، ووظيفة البصير الكتب، وانقطع الآن خبرهما »<sup>15</sup>.

كان ابن جابر إماما وأديبا بارعا في النثر والنظم، له مؤلفات عديدة أولها "الحلة السيرا في مدح خير الوري" والتي عُرفت ببديعية العميان . و له كتب كثيرة في اللغة والنحو والبلاغة والعروض منها: "شرح ألفية ابن مالك"، "شرح ألفية ابن معطي" ، و"رسالة في مولد النبي صلى الله عليه وسلم"، و"المنحة في اختصار الملحّة"، وله قصائد وأراجيز عدة في العروض والنحو

واللغة منها "غاية المرام في تثلث الكلام"، "منظومة في المقصور والممدود"<sup>16</sup>، وديوان "المقصد الصالح في مدح الملك الصالح"، وديوان "نفائس المنح وعرائس المدح"، وديوان العقدين في مدح سيد الكونين". هذا الديوان الأخير يحتوي على أكثر من ثمانية آلاف بيت شعري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

### ثالثا: المدائح النبوية في شعر ابن جابر الأندلسي:

لقد برع شاعرنا في نظم المديح النبوية وتفنن في ذلك، فقد خلف لنا ديوانا كامل خصصه لهذا العرض وهو "ديوان العقدين في مدح سيد الكونين" أو "الغين في مدح سيد الكونين" تحدث محقق الديوان عن اختلاف التسمية قائلا: «رأينا اختلافا بسيطا في عنوان الديوان، ففي نسخة العراق وجدناه (نظم العقدين في مدح سيد الكونين) في بدايته ونهايته وكذلك وجدناه أيضا في نسخة دار الكتب المصرية. وأما في نسخة برلين، فأرأينا العنوان (الغين في مدح سيد الكونين) واعتمد ذلك العنوان خير الدين الزركلي وعمر فروخ. وبناء على ما سبق رجحنا العنوان الأول لأنه ورد في أقدم النسخ المخطوطة وأكملها، ولكننا مع ذلك لم نحمل العنوان الثاني وإنما جعلناه أسفل العنوان الأول بين قوسين إتمام للفائدة ومنعا لأي لبس»<sup>17</sup>. هذا يدل على أمانة المحقق إذ أنه لم يغفل العنوان الثاني، بل قام بوضعه أسفل العنوان حتى يَضَع القارئ للديوان في الصورة..

تحدث الشاعر عن مدحه لرسول الله قائلا:

بمدح رسول الله أهنا وأبجج وأوقن أن الضيق عني يُفرج

به أرجي دار النعيم وأتقي هيب جحيم حره يتوهج

وكيف تمس النار جسمي وخبه بلحمي وعظمي والمفاصل يُمزج<sup>18</sup>

حيث يعتبر الشاعر أنه بمدح رسول الله قد تباعد عنه النار وتستحي من أن تمس جسمه الذي تطهر بمدح رسول الله، وهذا اعتقاد منه بشفاعة رسول الله وإيمان بما جاء على لسان النبي أن المرء يحشر مع من أحب، وفيه ارتباط وثقة بفائدة مدح الرسول الكريم.

ولأن الشاعر كان يرى أن كل من مدح النبي يناله شرف كيفما كان، جعل للبحور الشعرية روحا تحس، ومدح النبي على أغلب بحور الخليل حتى ينالها كلها شرف مدح رسول الله، وفي هذه الأبيات ذكر للبحور التي كتب على وزنها تلك المدائح النبوية قائلا:

وكم بحر شعر خضت فيه لمدحه فمّن كل بحر درّ معناه أخرج

تَفَنَّنْتُ فِي نَظْمِي فَأَرْجُزُ تَارَةً وَأُرْمَلُ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ وَأَهْرَجُ  
وَمِنْ مَدْحِهِ عِنْدِي طَوِيلٌ وَوَاقِرٌ عَلَى كُلِّ ضَرْبٍ جَاءَ فِي النَّظْمِ يُنْسَخُ  
وَمُقْتَضَبٌ مِنْ كُلِّ مَعْنَى مُضَارِعٌ لَزْهَرِ الرُّبِيِّ إِذْ بَاتَ وَهُوَ مُدْبِجٌ  
خَفِيفٌ عَلَى الْأَسْمَاعِ مَنَا مَدِيدُهُ بَسِيطُ الْمَعَانِي كَامِلُ الْحُسْنِ مُبْهِجٌ  
وَلِي خَبَبٌ فِي مَدْحِهِ مُتَوَاصِلٌ وَمُنْسَرِّحٌ كَالْمَاءِ إِذْ يَنْسَجِّحُ  
مَدْبِجٌ بِهِ جَيِّدُ الْمَعَانِي مَذُوقٌ وَمُفَرِّقٌ أَنْوَاعِ الْمَعَانِي مَتَوَجِّحٌ<sup>19</sup>

نلاحظ من خلال هذه الأبيات الشعرية تنوع وتعدد البحور الشعرية التي كتب على وزنها منها: بحر الرجز، بحر الرمل، البحر الطويل، البحر الوافر، البحر المديد، البحر البسيط، البحر المنسرج، البحر المتقارب، البحر السريع، وهذا دليل على وفرة المادة الشعرية وكثرت المدائح النبوية لدى ابن جابر .

وقد تطرق ابن جابر الأندلسي في مدائحه النبوية لكثير من الموضوعات ضمنها قصائده ، فلم تكن المدحة عنده بقالب شعري أو موضوعي واحد ، ومن موضوعات مدائحه ما يلي:

### 1 - الشوق إلى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم:

يقول شاعرنا في أول قصيدة في ديوانه:

رَحَلُوا فَكَيْفَ يَطِيبُ بَعْدُ نَوَاءُ أَمْ هَلْ لِدَاءِ الشَّوْقِ مِنْكَ دَوَاءُ  
فَعَدَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ فَاثْتَهَضْتُ بِهِمْ هِمْمٌ بِمَا تَمَسَّكَ الْجُوزَاءُ  
قَوْمٌ تُضِيءُ مَعَ الدُّجَى عِزْمَانُهُمْ حَتَّى تُمِيطَ فِنَاعَهَا الظُّلْمَاءُ  
فَإِذَا هُمْ سَمِعُوا بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ طَرَدَ الْمِنَامُ تَأْوُةً وَبُكَاءُ  
إِنْ أَوْقَدُوا فَمِنْ الْجَوَانِحِ نَارَهُمْ أَوْ أوردوا فَمِنْ الْجُفُونِ الْمَاءُ<sup>20</sup>

صور لنا ابن جابر في هذه الأبيات شدة الاشتياق لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم وإذ بمجرد ذكر اسم الرسول يحرم النوم وتنزل دموع الشوق بغزارة ، والحنين في هذه الأبيات لرسول الله و صحبه الكرام، فهو يشفق لزمان رسول الله وصحابته الذين عاشوا معه بدايات البعثة الإسلامية .

وقال أيضا: أَرَانِي مِنْ أَلِيمِ الشَّوْقِ مَيِّتًا فَلَيْتَ الدَّهْرِ يَجْمَعُنَا وَلَيْتَا  
هُمُ رَحَلُوا وَهَا أَنَذَا مُقِيمٌ فَيَا نُومِي بِحَقِّكَ إِنْ نَأَيْتَا  
وَيَا دَمْعِي لَنْ أَصْبَحْتَ بَجْرِي فَلَا عَتَبَ عَلَيْكَ إِذَا جَرَيْتَا<sup>21</sup>

اعتبر الشاعر نفسه ميتا من شدة ألم الشوق وتمنى لنفسه الموت. كما خاطب دموعه وقال لها لا عتب عليك إن جريت من شدة ألم الشوق إلى الحبيب المصطفى.

وقال أيضا: **لله قَوْمٌ دُمُوعَ العَيْنِ قَدْ سَكَبُوا شَوْقًا إِلَيْهِ وَ جَادُوا بِالذِّي كَسَبُوا**  
**نُفُوسَهُمْ أَتَعَبُوا حَتَّى إِذَا وَصَلُوا أَرْاهِمَ وَصَلَهُ أَضْعَافَ مَا تَعَبُوا**<sup>22</sup>

لم يصور لنا الشاعر فقط شدة شوقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقط بل صور لنا كذلك شوق المسلمين المتعطشين للقاء الحبيب المصطفى الذين خسروا ممتلكاتهم وأتعبوا أنفسهم وشدوا الرحال عازمين على زيارته صلى الله عليه وسلم، وفي هذا يبين لنا من الناحية الاجتماعية كيف كان الناس يجهزون أنفسهم للخروج إلى الحج ببيع ممتلكاتهم، ينسيهم شوق الزيارة لرسول الله وحج بيت الله الحرام مالمهم و أنفسهم، وأنهم سيعودون من الحج تنقصهم كثير من أغراضهم الحياتية، لكن كل هذا فداء لزيارة روضته الشريفة شوقا إليه.

## 2 - مدح المدينة المنورة و مكة والأماكن المقدسة :

لقد تفردت المدينة المنورة عن جميع بلاد المسلمين لأنها ضمت جثمان الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا ما جعلها أشرف البلاد قال فيها ابن جابر:

**وَإِنْ أَرَدْتَ الثَّوَابَ حَقًّا فَاجْعَلْ لَدَى طَيْبَةِ الثَّوَابِ**  
**وَالثَّمَّ تَرَى ثَرِيحًا يُعْطَى فِي دَهْرِكَ الْأَمْنِ وَالثَّرَاءِ**  
**جَاوِزُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ أَضْحَى بِجَارِهِ يُكْتَبَرُ اعْتِنَاءً**<sup>23</sup>

وقال أيضا:

**لَوْ كَانَ يُصْنَعُ مِنْ كَرِيمٍ ثَرِيحًا كَحَلٍّ عَدَا لِلْعَيْنِ فِيهِ شِفَاءُ**  
**وَلَوْ أَنَّ مَوْرِدَهَا الْقَرَّاحَ يَذُوقُهُ ثَمَلٌ لَمَا طَابَتْ لَهُ الصَّبَاءُ**<sup>24</sup>

في هذه الأبيات وفق الشاعر في إعلان شوقه و وصفه لمدينة رسول الله، حيث ينام جسده الشريف، فبالغ في وصف الأرض الطاهرة حتى أنه تخيل لو أن ثرايحها يُصنع منه كحل لكان فيه شفاء للأرمد، ولو أن الثمل السكران شرب من مائها لنسي خمرته التي أدمنها و هذه تعابير قد تكون فيها بعض المبالغة التي تجوز للشعراء، لكنها تشرح لنا تعلق المسلم بطيبة الطاهرة، مدينة الرسول الأكرم.

**وَفِي مَاءِ زَمْرَمٍ قَالَ: وَرَدَ بِنَا زَمْرَمًا فَإِنَّا نُكْفَى بِهِ الْمَاءَ وَالغَدَاءَ**

فإن أصاب الجسوم سُقْمٌ      أصبح من سُقْمِهَا شِفَاءٌ  
طعامٌ طَعِمَ شِفَاءٌ سُقْمٍ      عن سيّد الخلق فيه جاء  
وحالة الشرب منه تُعطى      إجابةً تُنجحُ الدعاء<sup>25</sup>

هذا البيت تفصيل لما سبق ذكره ، فقد تحدث الشاعر عن بركة ماء زمزم وعدّه كافيا ، فهو الماء وهو الطعام قال انه شفاء للأجسام من الأمراض ومن شربه وتوجه بالدعاء يستجاب لدعوته ، وهذا مصداق لمعنى قول رسول الله أن زمزم لما شرب له .  
وفي منن وعرفات قال:

وفي منى تُبَلِّغُ الأمانى      وبالصفّا تُرزقُ الصّففاء  
في عرفاتٍ عَرَفْتُ جودًا      لله كمّ نعمةٍ أفاء<sup>26</sup>

وعن الحجّ قال:

ألا ليت شعري هل أراي ليلةً      أسوقُ المطايا بين مكّة والعرج  
إلى بلدٍ من حلّله كان آمنا      به وَقَّتَ اللهُ المواقيتَ للحجّ  
به كعبةُ الله التي لثم ركنها      بجاهُ من البلوى وأمنٌ من الهزج  
فتلك يميناُ الله في أرضه ومن      يُقبِلُ يميناُ الله يوماً فقد نجى  
هي الكعبةُ الغراءُ لا شيءٌ مثلها      ولا الكاعبُ العذراءُ تُلخِطُ عن عُنج  
فيا طيب أوقاتي إذا أنا جئتها      وللركبِ أصوتُ لدى النَّجِّ والعج  
بلادٌ بها كان الرسولُ وصحبُهُ      فمن أجلبها يسري لها الراكب المزجي<sup>27</sup>

تحدث الشاعر هنا عن ركن من أركان الإسلام ألا وهو الحج وأقر أن الكعبة المباركة لا شيء في الدنيا يضاهيها في بلاد كان بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ومدح منى وعرفات ، وكأنه يقتفي أثر رسول الله بمدح كل أرض زارها و مشى بقدمه الشريفة على ترابها فجعله طاهرا مطهرا إلى يوم القيامة .

### 3 - وصف النبي صلى الله عليه وسلم:

وصف لنا ابن جابر من خلاله مدائحه صفات النبي صلى الله عليه وسلم الخلقية والخلقية سنذكر منها على سبيل المثال قوله:

ولأنت أفصحُ ناطقٍ في موقفٍ      خرستَ لشدةِ هوله الفصحاءُ

يا خيرَ خلق الله فازت أمةٌ      قد تابعوكَ ولو عَصَوْا وأَسَأَوْا  
أنتَ الشهيدُ عليهمُ وهمُ على      كلِّ البريةِ غيِّ غدٍ شهداءُ  
أنتَ الأمينُ على رسالةِ ربِّهم      لهمُ وهمُ في أرضه أماناءُ  
أنتَ المَقْفِي الحاشِرُ الماحي الذي      يمحو ظلامَ الشركِ منه ضياءُ  
ولأنتَ أحمدُ في الورى ومحمدُ      ومع العناية تكثر الأسماءُ<sup>28</sup>

من بين صفاته صلى الله عليه وسلم التي أوردها الفصيح الأمين المقفى الحاشر وأشار إلى كثرة أسماءه: "ومع العناية تكثر الأسماء".

وقال أيضا:

ما أبصرت في الوجود عينٌ      أكثر من وجهه بهاءُ  
ما حملت كالرسول أنثى      فضلا من الله واصطفاءً<sup>29</sup>

هذه الأبيات وصف لنا جمال وجه النبي صلى الله عليه وسلم فلم تبصر عين في هذا الوجود وجهها كوجهه، وأضاف أيضا انه لم تحمل أنثى كمثلته عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وقال أيضا:

عَطُوفٌ على المساكينِ لا كَبَّرَ عنده      مُقِيلٌ مقيمٌ كلِّ من يتعوَّجُ  
حليمٌ كريمٌ لا يفوه بفاحش      ولا قائلٌ سوءا ولو جاء مُزعجُ  
فصيحٌ صبيحٌ أزهرُ اللونِ بادٍ      مليحٌ كحيلٌ الطرفِ أشكالِ أدعجُ<sup>30</sup>

ومن بين الصفات التي أوردها لنا ابن جابر الأندلسي في مقطوعاته الشعرية نذكر: الحليم، الكريم، ذو الوقار، الشفيق، العطوف على المساكين، الفصيح، المليح، و في هذا جمع بين وصف صفاته الخلقية و الخلقية .

#### 4 - معجزات النبي صلى الله عليه وسلم:

ذكر لنا في ديوانه العديد من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم واعترف هو بنفسه بأن عددها لا يعد ولا يحصى في قوله:

ولقد أتيت بمعجزات مألها      عددٌ يُحيط بها ولا إحصاءُ<sup>31</sup>

وقال أيضا:

وشقَّ له في أفقه قمرُ الدجى      وكم شاهد منهم لذاك ورأى

ولم يَخْفَ تَظْلِيلَ الْعَمَامَةِ فَوْقَهُ إِذَا هُوَ مَاضٍ فِي التَّهْجِيرِ وَجَائِي<sup>32</sup>  
أشار هنا إلى معجزة انشقاق القمر ومعجزة تظليل الغمامة له وهو يمضي في الصحراء.  
وعن معجزة غار ثور قال:

وَحَجَبَتْ يَوْمَ الْعَارِ عَنْ أَبْصَارِهِمْ فَمَضَوْا وَمَا بَجَحَتْ لَهُمْ آرَاءُ  
وَقَفَتْ حَمْتَمَ الْأَيْكَ فِيهِ وَأَسْبَلَتْ لِلدَّوْحِ أَغْصَانُهَا أَفْيَانُ  
وَالْعَنْكَبُوتُ أَحَادَ مُحْكَمِ نَسِجِهِ لِيَكُونَ فِيهِ عَنِ الْعِدَاةِ خَفَاءُ  
فَمَضَوْا وَقَالُوا لَوْ عَدَا أَحَدٌ هُنَا مَا سَدَّهُ لِلْعَنْكَبُوتِ رِءَاءُ<sup>33</sup>

تحدث هنا إلى قصة غار ثور لما احتفى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحبه أبو بكر الصديق رفيقه في الهجرة من ملاحقة كفار قريش لهما، وسرد لنا قصة العنكبوت التي نسجت ستارا غطى مدخل الكهف، فما جاء الكفار وشاهدوا ذلك النسج قالوا لو أن أحد دخله لتمزق النسيج، ونجى الله به رسوله وصاحبه في تلك الواقعة.  
وفي مُعْجِزَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ قَالَ:

أَسْرَى بِهِ لِلسَّمَاءِ حَتَّى زَانَ بِهِ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ  
وَقَابَ قَوْسِينَ كَانَ قَرِيبًا عَزَّلَ مِنَ اللَّهِ وَاحْتِفَاءً  
مَا كَانَ هَذَا دُنُوَّ جِسْمِ أَدْنَاهُ دُوَّ الْعَرْشِ كَيْفَ شَاءَ<sup>34</sup>

لمح الشاعر في هذه الأبيات إلى قصة الإسراء والمعراج لما أسرى الله بنبيه صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى وبعد الإسراء عرّج بيه جبريل عليه السلام إلى السماوات السبع إلى ان بلغ سردت المنتهى. وفي هذه الليلة المباركة فرضت الصلاة، فكانت خمسين صلاة لكن الرسول صلى الله عليه وسلم أشفق على أمته، وكان يناجي الله سبحانه وتعالى بأن يخفّضها حتى وصلت خمس صلوات في اليوم والليله وتعادل في أجرها خمسين صلاة.  
وعن حادثة شق صدر الرسول قال:

جَبْرِيلُ شَقَّ فُؤَادَهُ فَمَلَاهُ مِنْ عِلْمٍ وَإِيمَانٍ بِمَشْهَدِ قَرِيهِ<sup>35</sup>

في هذه الأبيات السابقات ، ظهر جليا تأثر الشاعر بالسيرة النبوية منذ ان كان النبي صبيا حين حدثت له حادثة شق الصدر ، إلى أن أصبح نبيا ، وبذكرة لحادثة غار ثور وحادثة الحمامة والعنكبوت ، وهي القصة التي يرى كثير من علماء التاريخ و السيرة أنها قصة ضعيف سندها

ولكن يظهر من ديوان ابن جابر أن القصة كانت مشهورة في زمانه ، حتى وإن كان سندها ضعيفا فقد توارثها الأقدمون قبلنا .

### 5- ذكر غزوة بدر:

تحدث ابن جابر الأندلسي عن غزوة بدر قائلا:

بدا يومَ بدرٍ وهو كالبدرِ حوله      كواكبٌ في أفقِ المواكبِ تنجلي  
وجبريلُ في جُنْدِ الملائكِ دونه      فلم تُغنِ أعدادُ العدوّ الميخِذِ  
رمى بالحصى في أوجهِ القومِ رميةً      فشرّدهم مثل النعامِ بمجهل  
فَفَرُوا سِرَاعًا يَهْرُيُونَ كَأَمَّا      تحوّل منهم بطشُ أيدٍ لأرجل<sup>36</sup>

أشاعر الشاعر في هذه الأبيات إلى "غزوة بدر" والتي وقعت في السابع عشر من رمضان في العام الثاني من الهجرة بين المسلمين بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبيلة قريش ومن حالفها بقيادة عمرو بن هاشم المخزومي القرشي، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى منطقة بدر التي وقعت فيها المعركة وانتهت بانتصار المسلمين على قريش.

### 6 - طلب الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال في ذلك ابن جابر الأندلسي:

وأقول يا خير البرية مذنبٌ      لَعِبْتَ به الآمال والأهواءُ  
وأنتاك يسألُ منك حُسنَ شَفَاعَةٍ      وفؤاده خوفَ الذنوبِ هواءُ  
صَعُرَتْ كبارُ ذنوبه لما أتى      ولعظمِ جاهك تصعُرُ الأشياءُ  
من أمِّ بآبِك لا يخيبُ رجاءُه      ومتى يخيبُ لدى الكَرِيمِ رجاءُ<sup>37</sup>

من بين الموضوعات التي وردت في مدائح ابن جابر هو الاعتراف بالذنوب والخطايا من تقصير في العبادات وارتكاب المنكرات وطلب الشفاعة من الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

### 7 - محبة الكائنات الحية للرسول صلى الله عليه وسلم:

حدثنا ابن جابر عن قصة الغزاة التي شكت إلى رسول الله قائلا:

لقد عطفَت على الغزاة عندما      دأبت لفرقة خشفها الأحشاءُ  
سرحتها فمضت وقلت لها ارجعي      فأنت وليس لعودها إبطاءُ  
سمّعوا أنينَ الجذع حين تركته      لو لم تعده لعاد وهو هباء<sup>38</sup>

سرد علينا في هذه الأبيات قصة غزاة تم اصطيادها ومر عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وشكت إليه أنها تريد إرضاع صغارها، فسرحتها الرسول بأن تذهب لترضعهم وتعود، ووفت الغزاة بوعداها وعادت بسرعة، وقد ورد ذكر هذه القصة في كتاب معجزات الرسول «إن معرفة الطيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بها، وهي أسيرة، مشدودة إلى العمدة، واستشفاعها به عند الأعرابي الذي صاها لتذهب كي ترضع خشفتيها ثم تعود إليه الأمر، لا يستبعد عقلا بعد ثبوت معرفة الشجر والحجر وسلامها عليه صلى الله عليه وسلم، وإيمانه برسالته

39 .«

### 8- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

كان شاعرنا في أغلب قصائده يهتمها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته الكرام من ذلك ما قاله في خاتمة البعض منها

قال:

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى النَّبِيِّ الْمُجْتَبَى مَا رَجَعْتَ فِي بَانَةِ وَرَقَاءُ  
وعلى صحابته الألى بهم علت في النَّاسِ هَذِي الْمَلَّةَ الْبَيْضَاءُ<sup>40</sup>

وقال أيضا:

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مَا صَدَعَ الدُّجَى صَبِيحٌ تَأْلَأُ ضَوْؤُهُ وَتَبَلَّجَا  
وعلى صحابيتك الكرام تحية كالمسك أضحى عرفه متأرجحا<sup>41</sup>

### خاتمة:

كانت هذه أهم الموضوعات التي طرقها ابن جابر الأندلسي في مدائحه النبوية، فهو كغيره من الشعراء المداحين لرسول الله، تحدث عن صفاته الخلقية من شكل ومظهر كما جاء في الأثر النبوي وفي آثار الصحابة، وكما اهتم بصفاته الخلقية، وكيف كان يعيش بين الناس، وكيف كان حديثه وتعامله مع المخلوقات من بشر وحيوان وجماد. كحادثة حنين الجذع، و ذكر لنا بعض الأماكن التي ترك النبي فيها أثرا، وبالإضافة إلى معجزاته الخالدة، بعضها أثبتته كتب السير وبعضها ضعفته، لكن ذكره لها يبين أنها روايات عن سيرة رسول الله قديمة توارثناها جيلا بعد جيل.

لقد تميز ابن جابر الأندلسي في فن المديح النبوي، إذ ترك لنا ديوانا كاملا خصصه لهذا الغرض محاولا أن يمدح النبي بكل بحور الخليل التي يكتب عليها الشعراء حتى يأخذ كل بحر حقه من شرف مدح نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وكان هدفه أن يربط الناس اسمه بهذا الفن، وقد كان له هذا الشرف ، فلا يمكن أن يذكر ابن جابر إلا ويذكر معه فن المديح النبوي ، هذا الفن الذي انتشر ولا يزال لارتباطه بأقدس شخصية في الإسلام ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة و السلام .

هوامش:

- <sup>1</sup> ابن منظور: لسان العرب ، دار المعارف النيل القاهرة .د.ت. المجلد الخامس مادة- مدح
- <sup>2</sup> الخليل بن احمد الفراهيدي: كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، ترتيب وتحقيق عبد الحميد هنداي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. الطبعة الأولى 2003م /1424هـ ، الجزء 4. ص126.
- <sup>3</sup> أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .د.ت، الجزء الخامس ص308.
- <sup>4</sup> على بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير القاهرة.د.ت.ص173.
- <sup>5</sup> إميل ناصف :أروع ما قيل في المدح، دار الجليل بيروت الطبعة الأولى 1413هـ/1992م ص7
- <sup>6</sup> أحمد الهاشمي: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف ،بيروت لبنان، د ط د ت، ج2، ص26
- <sup>7</sup> جميل حمداي: شعر المديح النبوي في الأدب العربي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ،سنة2007، ط1، ص2
- <sup>8</sup> شهاب الدين محمد بن أحمد الإشبهي: المستظرف من كل فن مستظرف، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، 1422هـ/2001م، ط1، ص342.
- <sup>9</sup> زكي مبارك: المدائح النبوية في الأدب العربي ، دار المحجة البيضاء د.ط.د.ت.ص27.
- 10 ديوان الأعمشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح و تعليق د. محمد حسين ، مكتبة الآداب مصر ، القصيدة 17 الصفحة 135 .

- 11 ابن جابر الأندلسي: الحلة السيرا في مدح خير الورى، تحقيق على أبو زيد، عالم الكتب دمشق الطبعة الثانية 1405هـ / 1985م ص11
- 12 ينظر المرجع نفسه ص12
- 13 ينظر المرجع نفسه ص12 بتصرف
- 14 أشار ابن الخطيب في حاشية الكتاب انه جاء في نفع الطيب للمقري: "وشمّر للعلم وطلبه، فكان وضيقة الكفيف...". راجع نفع الطيب ج 10 ص155.
- 15 ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ الدكتور يوسف على طويل، منشورات دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية سنة 2014 المجلد الثاني ص212
- 16 ابن جابر الأندلسي: نظم العقدين في مدح سيّد الكونين أو الغين في مدح سيّد الكونين، تحقيق الدكتور أحمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى 1426هـ / 2005م ص7
- 17 المصدر نفسه ص15
- 18 المصدر نفسه ص162
- 19 المصدر نفسه ص170
- 20 المصدر نفسه ص23
- 21 المصدر نفسه ص89
- 22 المصدر نفسه ص84
- 23 المصدر نفسه ص30
- 24 المصدر نفسه ص24
- 25 المصدر نفسه ص32
- 26 المصدر نفسه ص33
- 27 المصدر نفسه ص125-126
- 28 المصدر نفسه ص26
- 29 المصدر نفسه ص32
- 30 المصدر نفسه ص128
- 31 المصدر نفسه ص26
- 32 المصدر نفسه ص37
- 33 المصدر نفسه ص27
- 34 المصدر نفسه ص31
- 35 المصدر نفسه ص69

<sup>36</sup>المصدر نفسه ص449

<sup>37</sup>المصدر نفسه صفحة 24

<sup>38</sup>المصدر نفسه ص26

<sup>39</sup>ابن خليفة عليوي: معجزات النبي المختار من صحيح الأخبار، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى

1411هـ-1991م ص84

<sup>40</sup>المصدر نفسه ص28

<sup>41</sup>المصدر نفسه ص124

ملخص الأطروحة باللغة العربية

تعدُّ الحضارة الأندلسيَّة واحدة من أهم حضارات المغرب الإسلامي، فقد دام حكم العرب المسلمين فيها ما يقارب ثمانية قرون من الزمن، تناوب على حكمها عدد من الإمارات والدويلات. وتمثِّل مملكة بني الأحمر آخر الممالك الأندلسية سقوطاً، فقد استطاعت أن تصمد أمام الإسبان مدة قرنين ونصف قرن من الزمن. كما عرفت هذه المملكة نهضة حضارية وفكرية في مختلف المجالات، ويعدُّ الشعر أحد أهم الآثار التي خلفها هذا العصر، وبما أننا طلبنا في تخصص آداب المغرب الإسلامي والحضارة المتوسطية، فقد فضلنا أن نقفَ على حضارة بني الأحمر من خلال النصوص الشعرية. ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع مصادفة بل كان إملاءً لرغبة شخصية تمثَّلت في البحث في هذا المجال مُسبقاً، ولإعجابنا بجمال مملكة غرناطة وحضارتها، واهتدينا إلى عنوان بحثنا الموسوم: " الحركة الشعرية وأبعادها الحضارية في عصر بني الأحمر - مقارنة تاريخية وصفية - " وذلك بتوجيه من أستاذي المشرف.

موضوع هذه الدراسة يدور حول الشعر الغرناطي، والوقوف على المعالم الحضارية لمملكة بني الأحمر من خلال التعرض لمختلف الجوانب: السياسية الإدارية، الاقتصادية، الاجتماعية، العمرانية، الفكرية، والتعريف بعدد من رواد الشعر في تلك الفترة، مع ذكر المواضيع الشعرية وتبيان أبعادها الحضارية. هذه الدراسة لها حد جغرافي وحد زمني، الحد الجغرافي محدَّد بمملكة بني الأحمر، والحد زمني محدَّد من بداية تأسيس هذه المملكة إلى سقوطها.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، كون البحث يتضمن تفاصيل لحضارة سقطت من مئات السنين، فاستحضارها يستلزم المنهج التاريخي وذكر تفاصيلها يستلزم المنهج الوصفي.

وأما الصعوبات التي واجهتنا فتمثلت في طبيعة الموضوع الواسعة والمتشعبة، فهي تجمع بين الشعر والحضارة بأبعادها ومظاهرها في مدة تزيد عن القرنين ونصف قرن من الزمن، وعدم توفر العديد من الدواوين الشعرية، فاعتمدنا في أغلب الأحيان على الأشعار التي وردت في المصادر، وعدم ضبط أغلب الأبيات الشعرية بالشكل، قد حاولنا جاهدين ضبطها بالشكل قدر المستطاع، كما واجهنا صعوبة في تحديد أعلام الشعر في هذا العصر لاختلاف تواريخ الميلاد ووفيات الشعراء، وبخاصة امتداد عمر بعضهم إلى دول سابقة أو لاحقة، بالإضافة وجود بعض شعراء من العائلة نفسها، وكذلك اختلاف أصولهم وهجراتهم ورحلاتهم المتكررة صوب المشرق والمغرب، مما فرض علينا تضيق نطاق البحث والاكتفاء بما كان إبداعه أندلسياً سواء من حيث القائل أو البيئته.

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن مجموعة من الإشكالات، أهمها:

- ماهي طبيعة العلاقة التي تجمع بين الأدب والحضارة؟
- ما طبيعة النص الشعري الذي خلفته مملكة بني الأحمر؟
- هل نجحت الموروث الشعري في إظهار المعالم الحضارة النصرية؟
- هل تمكّن الشعر أن يواكب النهضة الحضارية التي شهدتها هذا العصر؟

- ماهي أهم الموضوعات التي تناولها الشعراء؟

- هل كان لهذه الحركة الشعرية أبعاد حضارية؟ إن كان كذلك فما هي هذه

الأبعاد؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، استعنا بخطة تمثلت في مقدمة ومدخل وأربعة

فصول مذيبة بخاتمة وملاحق، وبقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

تطرقنا في المدخل إلى علاقة الأدب بالحضارة، وحاولنا من خلاله الوقوف على

مفهوم اللفظتين، لغة واصطلاحاً، أولاً قمنا بتقديم تعريف لكلمة (أدب) الذي ورد في

المعاجم العربية، وبعد ذلك تحدثنا باختصار عن تاريخ هذه الكلمة بداية من العصر

الجاهلي حتى عصرنا الحاضر، وخلصنا أن مفهوم هذه الكلمة يضيق ويتسع باختلاف

العصور، فنجد أنه يتسع حيناً فيشمل كل ألوان المعرفة، ويضيق حيناً آخر فيقف عند

الكلام الجيد من الشعر والنثر وما يتصل بهما.

ثم عالجتنا مصطلح (الحضارة) وأوردنا بعض التعريفات التي وردت في المعاجم

العربية، والتي بينت لنا أن هذه الكلمة لها عدة معان منها: الحضور الذي هو نقض

الغاب والشهادة، والحضر خلاف البدو. ثم وجدنا صعوبة في تحديد مفهومها

الاصطلاحي، وهذا الإشكال نتج عن عملية الترجمة، ما أدى إلى التداخل في استخدام

المصطلحات التالية: الثقافة، الحضارة، المدينية. فبعض الباحثين جعلوا الثقافة جزءاً

من الحضارة، ويرى بعض الآخر أنه لا علاقة تجمع بينهما، وحصروا الحضارة في

الجانب المادي والثقافة في النتاج المعرفي، وهناك طرف ثالث اعتبرهما مصطلحين

المُسَمَّى واحد ولا فرق بينهما، وفي المقابل يقرب بعض الدارسين أن المدنية تشمل الجانب المادي فقط، أما الحضارة فتشمل الجانب المعرفي.

لكن الرأي الذي نميل إليه هو أن الحضارة شاملة للثقافة والمدنية لجمعها بين الجانبين المادي والمعنوي.

وثالثاً حاولنا إلى تبيان العلاقة التي تجمع بين الأدب والحضارة، وخلصنا أنها علاقة الجزء بالكل وكذلك "علاقة التأثير والتأثر"، فالأدب يتأثر بالحضارة ويُصوِّر مدى تقدُّمها وازدهارها، من خلال العمل الأدبي سواء كان منظوماً أو منثوراً، يكون بذلك مرآة للحضارة، وفي المقابل نجد أن الأدب يؤثِّر في الحضارة ويساهم في تطويرها لأنه جزء منها.

وخصصنا الفصل الأول للتعريف بهذه المملكة، مُبتدئين بتحديد التسمية التي عُرفت بها هذه البقعة الأندلسية، ثم حدّدنا موقعها وجغرافيتها، وعرفنا بأهم مدنها الثلاثة وهي: غرناطة، وألميرية، مالقة، وانتقلنا بعد ذلك إلى الحديث طبيعتها فقد جمعت بين مزيج مدهش من المروج والوديان الخصبة، والجبال الوعرة، والهضاب التي استمدت منها أسباب القوة والازدهار، وخلصنا إلى أنّ المملكة على الرغم من صغرها وانكماش رقعتها، كانت غنيّة بالموارد الطبيعية، إلى جانب وديانها الخصبة التي تفيض على البساط والجنت التي تزودها بأشهى الثمار، والجبال الوعرة التي تحيط بها من كل صوب، الغنيّة بالثروات المعدنية.

وانتقلنا إلى دراسة الحياة السياسية والإدارية، تبين لنا من خلالها أن هذه المملكة قد تربع على عرشها ثلاثة وعشرون سلطاناً، وكان نظام الحكم فيها وراثياً، لكن لم

تكن هناك قواعد وأصول محددة يتم بموجبه وراثته الحكم، فنجد أنّ محمداً الرابع تولى الكم وهو لم يبلغ العاشرة من عمره، وكذلك يوسف الأوّل تقلّد الحكم وهو لا يزال مُراهقاً. كما أشرك بعض السلاطين وليّ العهد في الحكم وهو ما حدث مع محمّد الفقيه. وكذلك لم يكن من الضروري أن يرث الابن الأكبر العرش. لقد اتّخذوا لقب "أمير المسلمين".

لقد كانت الوزارة تُسند غالباً لأحدِ أعلام الأدب، نذكر على سبيل المثال: ابن الحكيم اللُّخمي، ابن الخطيب، ابن زمرك. بالإضافة إلى ذلك كانت توجد مجموعة من الدواوين مقسّمة حسب المهام منها "ديوان الإنشاء"، و"ديوان الحسبة"، و"ديوان الجند" الذي تُثبّت فيه أسماء الجنود وكل المعلومات الخاصة بهم. وكان القضاة يجري على مذهب الإمام مالك، أرفع المناصب فيها كان منصب "قاضي الجماعة". وتبعه وظيفة الحسبة، يطلق على المحتسب تسمية "صاحب السوق"، لأنّه يقوم بمراقبة الحركة الاقتصادية من خلال السهر على مراقبة الأسواق. لقد كان هذا الجيش عبارة عن خليط من مختلف الأجناس منها: الفرق الأندلسية والبربرية والزناتية، والمماليك. وشكّل الجنود المغاربة النسبة الكبيرة تلقّب قاداته بلقب "شيخ الغزاة"، تألّف الجيش العسكري من الشرطة. كان يعرف صاحب هذا المنصب بـ "صاحب المدينة"، كما كان للقوات البحرية هي الأخرى دور بارز في الدفاع، من مهامها بعد حماية الشواطئ والمدن الساحلية، وتأمين الاتصال بين المملكة ودول الإسلامية.

ومن الناحية الاجتماعية تبين لنا أن هذه المملكة كانت تُعاني من اكتظاظ سكاني، ويرجع ذلك لتدفق الوافدين عليها من المدن أندلسية التي سقطت في أيدي

الاسبان. يمثّل المسلمون أكبر نسبةٍ من ساكنة المملكة، وهم خليطٌ من العربِ والبربرِ. ومذهبهم وهو مذهب الإمام مالك بن أنس، أما البربر فقد تجمّعوا في المناطق الجبلية، حيث تزايد عددهم إثر اختلاطِ جماعاتٍ منهم في صُفوفِ الغزاة. وقطن في ربوع هذه المملكة طائفة من النصارى واليهود عاشوا في ذمة المسلمين، كانت لهم حقوق وعليهم واجبات مقدّرة في الشريعة الإسلامية. إن هذا تنوعاً في تركيبة السكانية، أدّى إلى التنوع في الملبسِ والمأكَلِ والعادات والتقاليد، بالإضافة إلى تمتّع الساكنة بقسطٍ وافٍ من الحرّية، فهم لم ينسوا حياة المرح حتى في أيام المحن والحروب.

ومن الناحية الاقتصادية نجد أن المملكة كانت تزخر بثروات طبيعية وفيرة، وهذا ما جعل الزراعة تُمثّل أهم دعائم الاقتصاد. فلقد برع الغرناطيون في زراعة الأرض وتربية المواشي، وتنظيم طرق الري وغير ذلك. ومن جهة أخرى نجد الصّناعة كانت تمثل وجهاً آخر للنشاط الاقتصادي في المملكة، وذلك راجع إلى هجرة الحرفيين إليها. بالإضافة إلى وفرة المواد الأولية. من أهم الصناعات نذكر: صناعة الأسلحة، صناعة الحرير، صناعة الأقمشة والنسيج، صناعة الخزف. أما الصناعات الغذائية فقد عرفت تنوعاً كبيراً لكثرة الثمار ووفرتها منها: صناعة السكر، وصناعة الزبيب، وصناعة الخمر على الرغم من تحريم الدين الإسلامي لها. كانت تستورد ما ينقصها من المنتجات المختلفة كالتوابل والقمح، وقطعان البقر والأغنام من إفريقيا، والبخشب من الهند، والعاج. بالنسبة للصّادرات كان "الحرير" يحتلّ المراتب الأولى، ويليه السكر، بالإضافة إلى بعض مواد الغذائية الأخرى، خاصة الفواكه خشية فسادها لكثرة إنتاج المملكة لها، والعطور والحلي والرّخام. يتبين لنا قوّة الاقتصاد

النَّصري، ونلاحظ أن الحركة التجارية كانت نشيطة إلى حد بعيد، إلا أن فترة الحروب، كانت تؤثر على هذه المبادلات التجارية بشكل كبير.

أما من جانب العمران قد تنوعت المنشآت، يُمكن تقسيمها إلى ثلاثة أصناف كالآتي: أولاً العِمارة الدِّينية: تَمَثَّلت في المَساجِدِ والمصلَّيات. ثانياً العِمارة المدنية: تثل في المنازل، والحمامات، والقصور، والمستشفيات. ثالثاً العِمارة العسكرية: التي تَمَثَّلت في القلاع والبروج والحصون.

وبعد ذلك انتقلنا إلى الحديث عن الجوانب الفكرية والثقافية والمؤسسات العلمية، تبين لنا أن المملكة لم تُعرف نظامَ المدارس، بل كان التعليمُ يُمارسُ في المساجدِ، والزَّوايا، والكتاتيب. وتجدر الإشارة أنه خلال فترة حكم بني الاحمر تم بناء أول مدرسة بمعناها التقليدي، وهي "المدرسة اليوسُفية"، نسبة لمؤسسها أبو الحجاج يوسف الأول في سنة 750 هـ.

فلقد كانت مركز إشعاع ثقافي، ومَقْصِداً للعلماء من مختلف الدول الإسلامية، يمكن تصنيف هذه العلوم على النحو الآتي أولاً: العلوم الدينية والتي من فروعها علوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث، وعلوم التفسير، وعلوم الفقه، وعلوم التصوف. ثانياً: علوم اللغة والأدب، ثالثاً العلوم الاجتماعية من فروعها علم التاريخ، الجغرافيا، رابعاً: العلوم العقلية والتي من فروعها الرياضيات، والطب والصيدلة، والكمياء، الفلك، الفلسفة. وهذا يدل على أن المملكة شهدت نهضة ثقافية وفكرية فقد تنوعت فيها العلوم والمعارف.

بينما تناولنا في الفصل الثاني أهم العوامل التي ساهمت في ازدهار ونشاط هذه الحركة الشعرية، أولها العوامل الداخلية التي تمثلت في تشجيع السلاطين، وجمال المملكة، وتنوع تركيبة المجتمع. أما العوامل الخارجية فتمثلت في الهجرات المتلاحقة، والتأثر بالثقافات الأخرى، كانت هذه أهم العوامل التي ساهمت في تنشيط الحركة الشعرية وازدهارها في عصر بني الأحمر. وتحدثنا عن ملامح هذه الحركة الشعرية، فقد عرفت كل مرحلة انتشار أغراض دون أخرى. كانت هذه الحركة في مرحلة التأسيس تُعاني من الاضطراب والنشْط، ولمَّا عرفت المملكة نوعاً من الاستقرار في القرن الثامن ازدهرت تنوّعت مضامين الشعر، أما في مرحلة السُّقوط، فقد تراجعت لهجرة العديد من الأعلام، والوَضْعُ المُحزَن حيث كانت المملكة تُحتضر. ثم عرضنا تراجم لأهم أعلام الشعر هذه الفترة، ثم انتقلنا للحديث عن الموشحات والأجزاء.

وتناولنا في الفصل الثالث أهم الأغراض الشعرية التي عرفت رواجاً في تلك الفترة. أولها غرض الغزل انقسم إلى لَشِقِّين، غزل بالمؤنث وغزل بالمدكر، ركز أغلب الشعراء على الشَّقِّ الأول وصَوَّروا لنا المرأة على أنها حسناء جميلة الملامح، في حين نجد بعض الشعراء آثروا التَّغزُّل بالغلمان، فاختلطت أوصاف الغلمان بالنساء إلى حدِّ الالتباس على المتلقي في بعض الأحيان. أما غرض المدح، فنجد ان القصائد فيه كانت تكسُبية، نُظمت بُغية التَّقرب من السلاطين، ونيل الجاه والمال، كما مدحوا بعض الشخصيات كأقرانهم من الشعراء كنوع من التَّحفيز، ومدحوا أساتذتهم ومشايخهم اعترافاً بفضيلتهم عليهم.

وفي فن المديح النبوي تبين لنا أن الشعراء خلفوا لنا العديد من القصائد المتميّزة، ذاكرين فيها صفاته الخلقية والخلقية، وشوقهم لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدّسة، كما عرضوا فيها بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم، وتوسلوا وطلبوا شفاعته لهم يوم الحشر.

أما في غرض الفخر فقد اتّجه الشعراء إلى مدح النَّفس وتعداد محاسنها، ما لفت انتباهنا من خلال هذه الدراسة هو قِلة القصائد، وقد يرجع ذلك إلى طباع الشعراء الذين اتسموا بالتواضع والبعد عن التّكبر. كما عرف غرض الهجاء ندرة مقارنة بالأغراض الأخرى، ارتبط دائما بالخلافات الشّخصية والسياسية. ولقِيَ غرض الوصف رواجًا كبيراً، وعناية بالغة من قبل الشعراء في هذا العصر، تعرّضوا فيه لوصف جمال الطّبيعة السّاكنة والمتحرّكة ووصف روعة منشآتها المعمارية.

كما عرف غرض الرثاء انتشارا كبير، فقد لقد رثى بعض الشعراء أنفسهم وذلك لإيمانهم بحقيقة الموت وأن كلّ من عليها فان. وأحبّاهم وأقرباهم، ورثوا السّلاطين وكل من يتّصل بهم برابط القرابة، من باب الإخلاص والوفاء أحيانا، والمجاملة أحيانا أخرى. وذلك بُغية التّقرب منهم ونيل الجاه والمال. كما نُظمت فيه العديد من القصائد في رثاء المدن والقلاع السّاقطة في يد الإسبان.

وشهد الزهد أيضا انتشارا واسعا، فقد لقد سعى الزُّهاد إلى إرشاد النَّاس من خلال تذكيرهم بحقيقة الموت، وأن الدنيا فانية، والبقاء لله وحده، ودعّوهم إلى اغتنام العمر في طاعة الله، والتّفكير في دار الآخرة، بدل التّفكير في ملذات الحياة. كما تعددت قضايا التصوف من الحب الإلهي، والخمر وغيرها من القضايا. ما يمكن قوله إجمالا

أَنَّ الشعر الغرناطي كان غنياً بمختلف الموضوعات، وأنَّ الشخصية الأندلسية كانت جلية في شعرهم.

وتناولنا في الفصل الرابع إلى الأبعاد الحضارية التي عكسها شعر هذه الحقبة، أوَّلها البعد التاريخي الذي برز من خلال اهتمام الشعراء البالغ بالتَّاريخ وذكر تفاصيله الدَّقيقة، فقد وثَّقوا العديد من الوقائع في عصرهم بذكر الهزيمة والنَّصر على حد سواء، كما كانوا لا يُفوتون مناسبةً أو حادثة دون مَدحٍ أو وَصفٍ، وهذا يُبيِّن معرفتهم مُسبقاً بأهمِّية شعرهم تاريخياً، لهذا قدَّموا لِقصائدهم ذاكِرين تواريخها وزَّمن حُصولها.

وفيما يخص البعد السياسي فقد ظهر جلياً من خلال كثرة شعر الاستصراخ والاستغاثة، فقد سعى الشعراء لِدعم المملكة بأقلامهم، والاستنجاد وطلب العون من الممالك الإسلامية، والتحفيز على الجهاد، وكذلك شجاعتهم في الدِّفاع عنها من خلال الهجاء السياسي، حتى وصل بهم الامر لهجاء السلاطين بحد ذاتهم، لِإثارة عزائمهم لنصرة المسلمين.

أما البعد الاجتماعي فقد بينت لنا النصوص الشعرية أن المجتمع الغرناطي كان مُتفتِحاً ومُتحضِّراً ومُتديِّناً، تجلَّى لنا هذا من خلال الانسجام بين أفرادهِ على الرغم من اختلاف عقائدهم وثقافتهم، وكذلك لعنايتهم بالنظافة، وحُبِّهم للمرح واللهو على الرغم من الويلات والحروب التي عَرَفوها، لقد أبدع الشعراء في رسم معالم هذا المجتمع، وذكروا لنا الكثير من التفاصيل المتعلقة بمناحي الحياة، من ملبس، ومطعم، ومشرب، وعادات وتقاليد واحتفالات.

لقد أبدع الشعراء في رسم صورة مُتكاملة للبعد الديني في القصيدة الأندلسية، من خلال التَّنوع في المواضيع التي طرَّقوها، فقد جعلوا من المصادر الإسلامية رافدا لإبداعهم الشعري، كان القرآن الكريم على رأس تلك المصادر، فقد تنوعت طرق الأخذ منه، بحيث لم تقف عند التَّناس المباشرة أو غير المباشر، بل تعدى ذلك إلى الإشارة والاستفادة مما حمله لنا القرآن من قصص للرسول والأنبياء. كما تجسد هذا البعد أيضا من خلال ذكر العبادات والدعوة لتقوى الله وطلب الغفران، ومدح الرسول والصحابة، في المناسبات الدينية.

كما تضمَّن البعد الإصلاحي العديد من الحكم والوصايا التي قدمها الشعراء في قصائدهم، على اعتبار أن أغلبهم كانوا من المشايخ والفُقهاء وأهل العلم، فقد قدَّم هؤلاء الشُّعراء العديد من النَّصائح والإرشادات، واهتمُّوا بنشر الخصال الحسنة بين النَّاس، من خلال توعيتهم ودعوتهم إلى ذلك.

وتجلَّى لنا البعد الثقافي في هذه الحقبة الزمنية من خلال الرحلات العلمية، والمجالس العلمية والشعر التَّعليمي، حيث ظهرت قصائد تُعنى بتعليم النَّاس مختلف العلوم، وكذلك شعر الأحاجي، فقد كان اللغز يَبقى لعدَّة أيام قبل أن يُوجَد له حل، يتناقله الناس فيما بينهم، بالإضافة إلى وفرة صف المصنَّفات والمؤلفات، كل هذا يدل على مكانة الشعر في قلوب العامة والخاصة في المملكة.

ولقد صوَّر لنا الشعر الغرناطي العديد من المشاهد الإنسانية، التي استنبطها من تعاليم الدين الإسلامي، كالتهادي والرفق بالحيوانات، وجبر الخواطر، كذلك ما يتعلق بزيارة المرضى وتعزية، وغير ذلك من القيم الإنسانية.

كما تجسد البعد الفني في النقوش والرقوم الشعرية، فلقد حوّلوا اهتمامهم بالشعر من الكتابة إلى تخليده بنقشه على الجدران والقباب واقحامه في العمارة الغرناطية، ونقشه على السروج والأثاث والوانى والقبور، وتجاوزوا ذلك إلى رقمه في الجلود والأقمشة، وأصبح تقديم الهدية كلباس مرقوم من أفخم الهدايا التي قدمها الغرناطيون لبعضهم أو لغيرهم من خارج المملكة كدليل على الحضارة والرقى.

وختمنا البحث بخاتمة تضمّنت أهم النتائج التي توصلنا إليها. وأضفنا ثلاثة ملاحق لأهميتها في هذا الموضوع، الملحق الأول يتضمن بنود تسليم غرناطة، فيه نص الاتفاقية السرية والعلنية، كما تشير الدراسات إلى وجود معاهدة ثالثة، قد صيغت لترتيب عملية عبور أبو عبد الله الصغير إلى المغرب، بعد تنازله عن جميع ممتلكاته مقابل مبالغ مالية. أما الملحق الثاني به مجموعة من الخرائط توضح جغرافية المملكة، والملحق الأخير خصصناه لبعض الصور التي تبين معالم هذه المملكة. مما سبق يتبين لنا أن الشعر الغرناطي قد لامس كل جوانب الحياة، وعكس لنا قمة التطور والرقى الحضاري الذي شهده ذلك العصر.

وفي الأخير لا أدعي أنني قد بلغت درجة الكمال في هذه الدراسة، كما قال أبو البقاء الرندي لكل شيء إذا ما تم نقصان، فالكمال لله وحده، وما هذه النتائج التي توصلنا إليها إلا بداية مفتوحة لمزيد من الدراسات أمل ان يستفيد منها الباحثون.

# Introduction

The Andalusian civilization is one of the most important civilizations in the Islamic Maghreb, where Muslim Arabs ruled for nearly eight centuries, ruled by a number of emirates and small kingdoms. The kingdom of Beni al-Ahmar is the last Andalusian kingdom to fall. He survived the Spaniards for two and a half centuries. This kingdom experienced a cultural and intellectual renaissance in various fields, and literature is one of the most important relics left from this era. Since our specialty combines literature and civilization, we have chosen to focus on the civilization of Bani al-Ahmar from the point of view of their poetic heritage. Because the literary is the son of his environment, his product must be part of his civilization.

Our choice of this topic was not a coincidence, but rather a dictation of a personal desire represented in the research of the field of Andalusian studies in advance and for our admiration for the beauty of the Kingdom of Granada and its civilization, and we were guided to the title of our research titled: "The Poetic Movement and Its Civilizational Dimensions in the Age of Bani Al-Ahmar A Historical and Descriptive Approach" and this under the guidance of my supervising professor.

The theme of this research revolves around the poetic heritage and translation of a number of eminent poets during this period, while mentioning the poetic contents and explaining their cultural dimensions. This study has a geographic boundary and a time boundary. The geographical border is limited to the kingdom of Bani Al-Ahmar. The border in time is limited from the beginning of the foundation of this state to its fall.

One of the objectives of this study is the development of a dictionary to define the leaders of Andalusian poetry, not in this period alone, but in all eras, and by collecting their poems in individual books, as well as the research of unknown poets.

In this research, we sought to answer a set of questions, including:

- What is the nature of the poetic heritage and cultural achievement left by the Kingdom of Bani Al-Ahmar?

- Has the poetic movement succeeded in shaping Andalusian civilization?

- Could poetry keep pace with the civilizational renaissance of that time?

- What are the most important subjects tackled by poets?

- What are the cultural dimensions that poetry embodied at the time of Bani Al-Ahmar?

We relied on a plan that included an introduction, a preamble and four chapters appended to a conclusion, and appendices that contain some of what we mentioned in the brief.

In the preface, we dealt with the relationship of literature with civilization, and through it we tried to identify the concept of the two terms, language and idiom, and then we approached the clarification of the relationship between them.

We devoted the first chapter to the definition of the Kingdom of Bani Al-Ahmar, through geographic identification, mentioning the political, social and economic aspects. Then we moved on to

talk about intellectual, cultural and scientific institutions, highlighting their contributions in various sciences.

In the second chapter we dealt with the most important factors which contributed to the flourishing and activity of this poetic movement at that time, and which we presented translations of eminent poets, then we moved on to talk about muwashahat and al-jazal.

In the third chapter, we dealt with the most important poetic purposes which were popular at that time.

In the fourth chapter, we dealt with the cultural dimensions reflected in the poetry of this time to demonstrate that they went hand in hand with it. We ended the research with a conclusion that includes the most important results we have achieved.

And we have added three appendices for their importance in this topic. The first appendix contains a set of maps showing the geography of the queen, and the second appendix includes the conditions of the armistice and surrender of Granada, and the last appendix was devoted to a few images showing the characteristics of this kingdom, such as a photo of Sultan Abdallah and some poetic inscriptions.

The nature of this research necessitated relying on the historical method and the descriptive method, since the research includes details of a civilization that fell hundreds of years ago. Its evocation therefore requires the historical method and the mention of its details requires the descriptive method.

As for sources and references, we relied on a group that feeds this specialization, the most important of which are:

- al ihatat fi 'akhbar gharnatat Ibn Alkhatib
- nafah altayib fi ghasn al'undalus ilmaqari.
- janat alrida Ibn Assim.
- dawlat al'islam fi al'undilis Abd Allah Anan.
- madahir alhadarat fi al'undulus fi easr bani al'ahmar Ahmad Altuwkhi.
- afaq gharnatat Abd Alhakim Dannun.

And I used collections of poetry like Ibn al-Khatib, Ibn Zamrak, Ibn Farkoun, Ibn Khatmeh, Ibn al-Jiyab.

As for the difficulties that we encountered in this research, they are represented in the broad and complex nature of the subject, as it combines poetry and civilization in its dimensions and manifestations over a period of more than two and a half centuries, as well as the lack of 'a large number of poetic collections. We therefore used mostly on the poems mentioned in the sources, and we also found difficulties in identifying the poets of this time due to the different dates of birth and death, in addition to the presence of a few poets from 'same family, as well as their different origins and frequent trips; which forced us to narrow the search field.

Finally, we thank Prof. Dr. Muhammad Mortad for following up and correcting this research, and we thank the discussion committee for reading and discussing this thesis.

We also thank all those who offered us help and assistance from near or far.

And from Almighty God, we seek success and well-being.

# Conclusion

After completing this study which brought together literature and civilization during the time of Bani Al-Ahmar, we achieved a set of results as follows:

-The relationship between literature and civilization is the relationship of the part to the whole, because the writer is the son of his environment, therefore his literary product must be part of his civilization. Literature is affected by civilization and portrays the extent of its progress and prosperity, and it contributes to development of civilization because it is part of it.

- Despite the smallness of the kingdom of Bani Al-Ahmar and the shrinking of its territory, as well as all the tribulations and conflicts it has faced for two and a half centuries, it has left its mark throughout history and achieved the prosperity in various fields: political, military, social, economic, etc. It has also witnessed a cultural and intellectual renaissance, in which many researchers in various sciences and knowledge have emerged.

- The kingdom of Bani Al-Ahmar went through three stages (the founding phase, the prosperity phase, the fall phase). He had a clear impact on the poetic movement which suffered during the founding phase by many conflicts and wars. When the situation stabilized in the eighth century, it flourished and varied subjects of poetry, but in the final stage there was a regression of the poetic movement caused by the immigration of a large number of writers and poets.

- A number of factors contributed to the activity of the poetic movement, among them the internal factors which were represented by the encouragement and generosity of the sultans to the poets. The beauty of nature and town planning have nourished the imagination of poets and the composition of society which has contributed to cultural mixing. As for the external factors, they were embodied in the successive migrations of poets and scholars from Andalusia and fell under the influence of other cultures such as those of the peoples of the Middle East.

- These poets mixed eloquent (classical) language with colloquial language such as zajal and muwashahat, which was a poetic form specific to Andalusians in general.

- - The love poetry of this time was divided into two parts, specific to the feminine and the other to the masculine. Most of the poets have focused on the first part and portrayed for us the beauty and virtues of women, while we find poets who have chosen to attribute this poetry to men until the material confuses the reader. and no longer distinguish between the two types.

- Courteous poetry is ranked as one of the most common topics that poets of this era addressed. They mastered the praise of the sultans in order to get closer to them and gain prestige as well as the flattery of the people. and to excel in praising the Prophet, God bless him and grant him peace. They organized occasions and festivities for him.

- The poetry of asceticism was widespread at this time, and the ascetic sometimes used the method of counseling and guidance. Other times he used the warning of the horror of death at other

times, a call to obedience to God in order to aspire to paradise. The poets also paid great attention to the subject of the description, describing the beauty of static and moving nature with precision and detail, and describing the beauty of the architectural installation, which stems from their close observation.

- The poems of lamentation were varied as well as their contents including lamentation of the person, people, sultans, cities. These elegies included praise for the deceased, praising his virtues and regrets for his passing. Lamentation poems often containing judgment and sermons, as they combined sorrow and joy in congratulating the king who sits on the throne after the deceased king.

- Poets have not written much about pride in relation to other subjects, and perhaps this is due to humility, and the same that we find in satire, as these subjects are rarely found in the texts of the poets.

- The poetry of Granada has carried many dimensions of civilization, such as the historical, political, social, religious, human, cultural, artistic dimension. These dimensions reflect for us the breadth of development and progress of civilization that this era has witnessed.

- The poets recorded the history of this time in their poems, mentioning many events and occasions with the dates of their appearance and their precise details. They also spoke of political unrest and internal and external conflicts.

- The poets were interested in the religious aspect, and this was evident to us through the diversity of the subjects they discussed, such as Quranic intertextuality, the pillars of Islam, the praise of the Messenger and his companions, the occasions religious and feasts. They also paid attention to the ethical aspect by calling for honorable morals.

- The poets spoke about the social aspect and touched on everything related to the life of the Grenadian people, including clothes, restaurants, customs and traditions, and the joys of life of festivities and fun gatherings. , and the human appearance which is reflected in visiting the sick, mourning, exchanging gifts, kindness to animals and other scenes derived from the teachings of the Islamic religion.

- This period saw the phenomenon of poetic inscriptions, which had an aesthetic and artistic character. These poems adorned the walls of palaces and urban installations, and their uses varied in all areas of life, such as engravings on pots, furniture, ceramics, swords, tombs, etc., and this indicates the status of poetry at this time.

- The cultural and intellectual dimension has emerged through educational poetry, poetic advice, travel, scientific literature, the appeal to knowledge and learning, and the poetry of stories and mysteries. All of this indicates that the people of Granada had a cultural affiliation which was the product of years of civilization, the features of which are still clear to this day.

All that has been mentioned above is a summary of what was life in the days of Bani Al-Ahmar and how poetry portrays it and

immortalized in its details. poetic texts through a new extrapolation of these texts which have become an archaeological document of ancient nations.

## الملخص:

يتناول هذا البحث " الحركة الشعرية وأبعادها الحضارية في عصر بني الأحمر مقارنة تاريخية وصفية "، تطرقنا في ثناياه لعوامل ازدهار الحركة الشعرية وأوردنا فيه تراجم لأعلام الشعر في هذا العصر، وعرضنا أهم المضامين الشعرية مع تبيان أبعادها الحضارية، للتعرف على أهم المنجزات الحضارية التي خلفتها مملكة بني الأحمر، ذلك لأن الشعر مرآة عاكسة للبيئة يحاكي واقعها، ويعكس حضارتها.

-الكلمات المفتاحية:- الشعر – البعد - الحضارة – التاريخ - عصر بني الأحمر.

## Résumé :

Cette recherche porte sur « Le mouvement poétique et ses dimensions civilisationnelles à l'époque des Bani El Ahmar - Approche historique et descriptive ». Dans celui-ci, nous avons traité les facteurs de l'épanouissement du mouvement poétique, incluant les traductions de poètes, et présenté les contenus les plus importants, tout en montrant ses dimensions de civilisation, afin d'identifier les réalisations les plus importantes de la civilisation, car la poésie est un miroir reflétant son environnement qui imite sa réalité et reflète sa civilisation.

Mots clés : Poésie - Dimension - Civilisation – Histoire - Epoque Banu Al Ahmar -

## Summary:

This research focuses on "The poetic movement and its civilizational dimensions in the era of the Bani El Ahmar - Historical and descriptive approach" In this one, we have dealt with the factors behind the flourishing of the poetic movement, including translations of poets, and presented the most important contents, while showing its dimensions of civilization, in order to identify the most important achievements of civilization, because poetry is a mirror reflecting its environment that mimics its reality and reflects its civilization.

Keywords: Poetry - Dimension - Civilization - History- Banu Al Ahmar period.